الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

الجيش الأندلسي

(١٣٨-٤٢٢هـ / ٧٥٦-١٠٣١م)

سحر عبدالمجيد مناور المجالي

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ
من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

٢٧ذو الحجة ١٤١٥هـ / ٢٧أيار ١٩٩٥م.

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٥/٥/٢٧
واجيزت من قبل

أعضاء لجنة المناقشة

الاستاذ الدكتور محمد عبده حتامله	المشرف رئيساً
الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري	عضواً
الاستاذ الدكتور عبدالكريم خليفه	عضواً
الاستاذ الدكتور عبدالكريم غرايبه	عضواً

بسم الله الرحمن الرحيم

"....... إني رأيتُ أنّه لا يكتُبُ أحد كتاباً في يومه إلا قال في غَده: لو غُيِّرَ هذا لكـانَ أحسنُ، ولوْ زِيدَ هذا لكانَ يُستحسَن، ولو قُدِّم هذا لكانَ أفْضل ولَوْ تُركَ هَذا لكانَ أجْمَل. وهذا منْ أعظم العبَر، وهو دليل عَلى استيلاء النّقْص على جُمْلة البشر."

العماد الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: "...... وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوّ الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونَهم الله يعلمُهم وما تُنفقوا من شيء في سبيل الله يُوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلَمون(٦٠)"*

---

* الأنفال: ٦٠

الإهداء

إلى كل شهيد سقط في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله في أرض الأندلس..

إلى كل من ساهم في بناء الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس..

إلى كل عربي ومسلم وطئت قدماه أرض الأندلس..

إلى شهداء العروبة والإسلام من سور الصين إلى قرطبة..

أهدي هذا الجهد المتواضع.

سحر المجالي

٢٧ذو الحجة ١٤١٥هـ / ٢٧أيار ١٩٩٥م.

شكر وتقدير

أتقدم ببالغ التقدير وجزيل الشكر ووافر الإحترام لأستاذي الفاضل الأستاد الدكتور محمد عبده حتامله، الذي أشرف على إعداد رسالتي هذه، فواكب بصبر العالم وعطائه، وتأنّي المدقق وحرصه، ما بذلتُهُ فيها من جهد متصل طوال أعوام. وكانت توجيهاته وإرشاداته وملاحظاته العلمية صُوىً حدّدت معالم الطريق، ووضّحت سُبل الوصول إلى الحقيقة، ويسّرت الحصول على المعارف من مظانّها.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الأجلاء: الاستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري، والاستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، والاستاذ الدكتور عبدالكريم غرايبة، الذين كان قبولهم الإشتراك في لجنة المناقشة تكريماً لي، وتقديراً لما بذلته من جُهد في دراستي هذه. وهي دراسة ستزيدها غنىً وثراءً ملاحظاتهم وتوجيهاتهم.

وأتقدم بالشكر ايضاً إلى جميع العاملين في مكتبة الجامعة الأردنية لحُسن تعاونهم، وإلى مديرية المناهج التعليمية في وزارة التربية والتعليم، وإلى كل من ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى حيّز الوجود.

سحر المجالي

٢٧ذو الحجة ١٤١٥هـ / ٢٧أيار ١٩٩٥م.

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

بيان الرموز والمختصرات

الرمز	البيان
ت	توفي
ج	جزء
د	دكتور
(د. ت)	دون تاريخ
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
ق	قسم
م	ميلادي
هـ	هجري

الملّخص

الجيش الأندلسي

(١٣٨-٤٢٢هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م)

سحر عبد المجيد مناور المجالي
إشراف
الأستاذ الدكتورمحمد عبده حتامله

تقع الأندلس مقابل السواحل الشمالية للمغرب العربي، ويفصل بينهما ما كان يعرف ببحر الزقاق أو مضيق جبل طارق. وقد أطلقت هذه التسمية على المنطقة التي حكمها المسلمون من شبه الجزيرة الأيبيرية. ويقصد بالأندلس اليوم جنوبي اسبانيا حيث تقع مدن لعبت أدواراً سياسية مهمة أيام العرب المسلمين مثل: قرطبة، وأشبيلية، وغرناطة، والمرية.

وقد بدأ فتح الأندلس في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك على يد موسى بن نصير، وذلك بعد أن استقر أمر المسلمين في شمالي افريقية. فقد أرسل حملة استطلاعية بقيادة أبي زرعة طريف بن مالك المعافري سنة ٩١هـ / ٧١٠م، أتبعها في العام التالي بحملة أكبر بقيادة طارق بن زياد، ثم عبر إلى الأندلس موسى بن نصير نفسه، وانطلقت حركة الفتح الإسلامي التي استمرت نحو أربع سنوات تم خلالها فتح البلاد من أقصى الجنوب إلى جبال البرت وشاطىء خليج بسكاي في الشمال.

وكانت قوات الفتح الأولى المكونة من رجال العرب والبربر قد شكلت طلائع الجيش الأولى، ولكنها لم تكن جيشاً بالمعنى المعروف.

وبدأت الملامح الأولى لجيش أندلسي منظم تظهر للعيان في تجنيد الأجناد على يد أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الذي وصل الأندلس سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م. وازدادت هذه

الملامح وضوحاً عندما أُلزم الشاميون فقط بالخدمة في الجيش والإستعداد للجهاد، وخاصة في عصر الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨-٤٢٢هـ / ٧٥٦-١٠٣١م).

ففي هذا العصر الذي يعتبر عهد عبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٦-٧٨٨م) بداية انبعاثه، زاد الإهتمام بالجيش، وبالتنظيم العسكري. وكان العنصر الرئيسي في تشكيل فرق الجيش ووحداته العسكرية هو طوائف الأجناد التي كانت تمثل القاعدة الأساسية العريضة لبناء الجيش وتنظيمه وإمداده بالاحتياجات الإدارية والتموينية.

وما يمكن استنتاجه من استقراء مصادر التاريخ الأندلسي أن الجيش في عصر الأمويين كان يتألف من: فرق قتالية، ووحدات إدارية، ووحدات خاصة ترتبط مباشرة ببلاط الخلفاء في وقت السلم، وتعاون الفرق القتالية النظامية زمن الحرب.

وإضافة إلى الفرق القتالية والوحدات الإدارية والخاصة التي تألف منها الجيش الأندلسي، كانت هناك فرق عسكرية تنتمي إلى مدن الأندلس وأقاليمها المختلفة، وأهمها: فرق الفرسان والرجالة والرماة، والفرق الاحتياطية من المتطوعة والمرتزقة، وكذلك أهل الكور المجندة.وقد اقتضى التنظيم العسكري للجيش الأندلسي وجود عدد من المناصب، وفي مقدمتها: منصب القيادة، فقد كان هناك قائد أعلى للجيش، وقادة للفرق، وقادة للمدن، وقادة للثغور.

ومن المناصب المهمة الأخرى: صاحب الخيل الذي كان يتولى خطّة الخيل أو تنظيم الخيل وهو المسؤول الإداري والمشرف على شؤون الخيل وما يتصل بها.

ومنها: صاحب البريد الذي يتولى نقل الأخبار بين العاصمة وقادة الجيش في جبهات القتال، ويساهم في نقل الأموال إلى تلك الجبهات.

ومنها: صاحب اللواء، والعريف، وصاحب العسكر المسؤول عن ترتيب الجند وتعبئتهم للقتال، وعن أمن المعسكرات وحمايتها أثناء العمليات العسكرية. ومنها: العارض الذي يتولى عرض الجند بين يدي الأمير لإظهارهم واختبار أحوالهم. ومنها ايضاً: الخازن، وهو المسؤول عن توصيل الأموال والإمدادات إلى الجند في جبهات القتال. ومنها كذلك: الطبال، وكان الطبالون يسيرون في مقدمة الحملات العسكرية المتجهة للحرب لاستثارة حماس الجنود. وعرف الجيش الأندلسي أيضاً: العيون (الجواسيس).

ولم تغفل التنظيمات العسكرية الأموية موضوع التعبئة وأساليب القتال، فقد كانوا يقسمون الجيش إلى قلب ومقدمة وميمنة وميسرة وساقة.

وكان للحملات العسكرية المتجهة من قرطبة إلى الشمال الأسباني نظام خاص في التجميع والسير. وكانت تعتمد أحياناً على نصب الكمائن للأعداء. ومما يذكر في هذا المجال أن الحملات العسكرية كانت تعرف - حسب الفصول التي ترسل خلالها - بالصوائف والشواتي.

وقد استخدم الجيش الأندلسي أنواعاً مختلفة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة، منها: السيف والرمح والدرع والترس والسهم والقوس والمنجنيق والبرج المتحرك والقنبلة الحارقة والدبابة. وقد انتشرت صناعة هذه الأسلحة في المدن الأندلسية وخاصة قرطبة.

وكانت الحملات العسكرية تودع وتُستقبل وتعقد ألويتها بمراسم واحتفالات منظمة.

ومثلما اهتم الأمويون في الأندلس بإعداد جيش قوي منظم، اهتموا أيضاً ببناء أسطول حربي قادر على حماية شواطئها الطويلة، ولذلك انتشرت دور صناعة السفن على طول السواحل وخاصة الشرقية منها. فقد أعاد عبدالرحمن الداخل الحياة إلى دور صناعة السفن القديمة التي كانت منتشرة هناك، وأمر ببناء السفن الحربية، ومع مرور الزمن أصبح للأندلس أسطول ضخم.

وفي عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ومن بعده ابنه الحكم المستنصر تمكن الأسطول الحربي من السيطرة على سواحل (فرنسا) الجنوبية. وقد لعب دوراً اساسياً في الفتوحات ودرء الأخطار. وكان البحارة الأندلسيون يتحلّون بنشاط كبير في حوض البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

وقد تألف الأسطول الحربي من أنواع عديدة من السفن منها الصغير ومنها الكبير، وقد تميزت جميعها بدقة الصنع، وحسن الإعداد. وكانت مزودة بأنواع مختلفة من الأسلحة. وكان قائد الأسطول لا يقل أهمية عن قائد الجيش البري، ولذلك فإن الخليفة نفسه هو الذي كان يختارهما.

ولا بد من الإشارة في ختام هذا الملخص إلى أن الجيش الأندلسي والأسطول البحري قد ساهما متعاضدين في بناء حضارة إسلامية عريقة في الأندلس استمرت ثمانية قرون، وما تزال آثارها ممتدة حتى اليوم.

المقدمة

تبحث هذه الرسالة في الجيش الأندلسي خلال عصر الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨-٤٢٢هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م)، هذا العصر الذي شهد بناء جيش وأسطول حربي قويين منظمين، لعب كل منهما دوراً مؤثراً في الحياة العامة في الأندلس.

ويرجع السبب في تناول هذا الموضوع إلى أنه لم يحظ مثل غيره من الموضوعات الأندلسية: السياسية والاقتصادية والتاريخية، بدراسة أكاديمية متخصصة جادة، على الرغم من أهمية الجيش الأندلسي كأداة هيأت الاستقرار والأمن الداخليين في فترة مزدحمة بالكثير من الأحداث التي فرضت وجودها على الساحة الأندلسية خلال فترة الدراسة، وساهمت في بقاء المسلمين في الأندلس، وفي بناء الحضارة الإسلامية التي استمرت فيها طوال ثمانية قرون.

وتقع هذه الدراسة في **تسعة فصول** تناول **أولها** سبب تسمية شبه الجزيرة الآيبيرية بالأندلس، وموقع الأندلس الجغرافي، وأسباب فتحها، وبدايات هذا الفتح المتمثلة في الحملة الاستطلاعية التي قادها طريف بن مالك المعافري، المكنى بأبي زرعة سنة (٩١هـ / ٧١٠م). ثم حملة طارق بن زياد في السنة التالية (٩٢هـ / ٧١١م)، ثم حملة موسى بن نصير سنة (٩٣هـ/ ٧١٢م). كما تناول هذا الفصل استقرار هؤلاء الفاتحين الأوائل من عرب وبربر الذين سموا بـ (البلديين) في مناطق مختلفة من الأندلس، وتشكيلهم مع من تبعهم من الشاميين بقيادة السمح بن مالك الخولاني سنة (١٠٠هـ / ٧١٩م) - الذين استقروا هناك أيضاً - نواة الجيش الأندلسي، وذلك في عصر الولاة (٩٢-١٣٨هـ / ٧١١-٧٥٦م).

وتناول **الفصل الثاني** قيام الدولة الأموية في الأندلس على يد عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الملقب بـ (الداخل) الذي يعدّ عهده (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٦-٧٨٩م) بداية انبعاث هذه الدولة، لا سيّما وأنّ عبدالرحمن الداخل تمكّن من القضاء على مناوئيه والثائرين عليه، وعلى رأسهم يوسف بن عبدالرحمن الفهري، وذلك في موقعة المسارّة (١٣٨هـ/٧٥٦م).

أما **الفصل الثالث** فقد تناول بناء الجيش والأسطول الحربي، ووضّح كيف أن الأمير عبدالرحمن الداخل اهتم بإنشاء جيش قوي ليكون أداته وسنده في تثبيت حكمه، ذلك الجيش الذي ضم إضافة إلى العرب عنصراً أساسياً آخر هم البربر. الذي تألف في عهد من جاؤوا

بعده من الرقيق والصقالبة بشكل أساسي. كما تناول هذا الفصل نشأة البحرية العربية في الأندلس، التي بدأت على يدي موسى بن نصير، وزاد الاهتمام بها في عهد عبدالرحمن الداخل، ثم تواصل هذا الإهتمام وتزايد حتى بلغ أوجه في عهد الخليفة الأموي الأندلسي عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) حيث أصبح الأسطول الحربي في عهده هو أقوى قوة في البحر المتوسط.

وأما **الفصل الرابع** فقد تناو ل التشكيلات والمناصب العسكرية، حيث بيّن أن الجيش الأندلسي خلال فترة الدراسة كان يتألف من فرق نظامية مكونة من الفرسان والمشاة، ووحدات إدارية، ووحدات خاصة تخدم بلاط الأمير أو الخليفة وقت السلم وتعاون الفرق النظامية وقت الحرب. وإضافة إلى هذه التشكيلات كانت هناك الفرق العسكرية العاملة التي تنتمي إلى مدن الأندلس وأقاليمها وكورها المختلفة، والتي كانت تُستنفر وقت الحاجة. كما بيّن هذا الفصل المناصب العسكرية وأنواعها، فتحدث عن القيادة، وصاحب الخيل، والعيون وصاحب البريد، وصاحب اللواء، والعريف، وصاحب العسكر، والعارض، والخازن، والطبّالين، ومن إليهم.

وتناول **الفصل الخامس** التنظيمات التعبوية والمراسم، فدرس التعبئة والأساليب القتالية والصوائف والشواتي. ثم عرّف بالأسلحة التي استخدمها الجيش الأموي في الأندلس سواء الخفيفة منها مثل: السيف، والرمح، والدرع، والترس، والقوس، والسهم، أم الثقيلة مثل: البرج، والمنجنيق، والقنبلة الحارقة، والدبابة. ودرس بعد ذلك تطور صناعة الأسلحة، ثم مراسم وداع الحملات الحربية واستقبالها.

بينما تناول **الفصل السادس** دور الجيش في الحياة العامة، وخاصة دوره في القضاء على الثورات والفتن مثل ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي سنة (١٤٦هـ/ ٧٦٣م)، وثورة سعيد اليحصبي المعروف بالمطري سنة (١٤٩هـ/ ٧٦٦م)، وثورة ابي الصباح اليحصبي سنة (١٤٩هـ/ ٧٦٦م). ثم ثورات البربر، وفتنة الربض، وحركات المولدين والمستعربين.

وتناول **الفصل السابع** القواعد البحرية ونشاطاتها، ثم الرباطات والمجارس الساحلية ونشاطاتها.

أما **الفصل الثامن** فقد تحدث في بدايته عن صناعة السفن في عهد الدولة الأموية في الأندلس ومراكز هذه الصناعة، ثم تعرض للمواد اللازمة لصناعة السفن والأسلحة البحرية ومدى توافرها في الأندلس، وبعد ذلك بيّن خصائص السفن الحربية وأنواعها، وهي: الشواني، والأغربة، والحربيات، والحراريق أو الحرّاقات، والطرائد، والمسطحات، والشلنديات وغيرها.

وأما **الفصل الأخير (التاسع)** فقد تناول تنظيم الأسطول الحربي ودوره في الحياة العامة. وفي مجال التنظيم تحدث هذا الفصل عن قيادة الأسطول، والنواتية، والرؤساء، ثم تناول تعبئة الأسطول والأساليب القتالية التي استخدمها عند مواجهة الأعداء. ثم بيّن هذا الفصل دور الأسطول الحربي في صد هجمات النورمان، وفي الصراع مع الفاطميين، في حين استعرضت **الخاتمة** أهم ما جاء في هذه الدراسة من نتائج.

وقد اعتمدت هذه الرسالة على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع من أهمها:

* **الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م):**

يعد هذا الكتاب كتاباً شاملاً، إذ تميز بالدقة والإبتعاد عن الإسهاب ونقد الروايات، وقد اعتمد ابن الأثير فيه على طائفة من المؤرخين الذين سبقوه مثل الطبري وغيره ممّن لم يفصح عن اسمائهم، وقد استقيت كثيراً من الأخبار التي أوردها عن الأحوال التي سادت شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي لها، وعن فتحها، كذلك اعتمدت عليه في ذكر الثورات التي حصلت إبان عصري الإمارة والخلافة الأموية.

* **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بها بينهم، (لمؤلف مجهول عاش في القرن الرابع الهجري):**

وقد اعتمدت عليه كثيراً خاصة فيما يتعلق بالوقائع التاريخية منذ الفتح الإسلامي إلى عهد عبدالرحمن الناصر، وكذلك المادة المتعلقة بدخول طارق بن زياد وموسى بن نصير إلى الأندلس، والقبائل العربية والبربرية التي دخلت معهما، ومناطق استقرارهما فيها، ومن ثم

دخول بلج بن بشر إلى الأندلس، والحروب والفتن التي ثارت بين العرب البلديين والعرب الشاميين، وذكرت أسباب هذا الصراع وانتهاءه بقدوم الوالي اليمني أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي، وتوزيع الجند الشاميين على الكُور المجندة ومساندة اليمنيين للأمير عبدالرحمن الداخل ضد الوالي يوسف الفهري والصميل بن حاتم زعيم القيسيين.

كذلك أفادني هذا المصدر في ذكره الأحداث التي مرّت بالأندلس منذ دخول عبد الرحمن الداخل وحتى نهاية عهد عبدالرحمن الناصر.

* **المقتبس في أخبار أهل الأندلس، لإبن حيان، ابي مروان حيان بن خلف القرطبي، (المتوفى عام ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م):**

يُعدّ ابن حيان شيخ الأدب ومؤرخ الأندلس دون منازع، وهو نزيه صادق. ويتميز كتابه (المقتبس) بالدقة والتفصيل.

وقد أفادني هذا المؤلَّف كثيراً خاصة فيما يتعلق بوظائف الدولة والخطط والمؤسسات التي كانت الإدارة الأندلسية تقوم عليها، كما انه أغنى دراستي بشكل كبير فيما أورده من أمور تتعلق بنظم بني أمية بالأندلس وإدارتهم، فقد قدم وصفاً دقيقاً لشؤون الإدارة والمراتب والخطط المتعلقة بالأمور العسكرية من تعبئة ومراسم واحتفالات ومناصب.

أما الجزء الذي نشره الدكتور الحجي من كتاب المقتبس والمتعلق بالأحداث التي مرّت على الأندلس خلال السنوات الخمس من عهد الحكم المستنصر (٣٦٠هـ - ٣٦٤هـ) فله أهمية خاصة ، فقد أفادني في معرفة تنظيمات الجيش الأموي بالأندلس في تلك الفترة، كما أفدت منه في دراسة فرق الجيش الأموي ووحداته العسكرية، حيث بلغت التنظيمات الحربية في عهد المستنصر درجة كبيرة من الرقي والتطور.

وأما الجزء الخامس من هذا الكتاب الذي عنى بنشره ب. شالميتا فقد ألقى الضوء على الأحداث المهمة في عهد الخليفة الناصر لدين الله وخصوصاً ما يتعلق بالقوات العسكرية، سواء البرية منها أم البحرية، ومدى مساهمة الخليفة الناصر في تطورها وتقدمها.

* **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لإبن عذاري المراكشي، ابي العباس احمد بن محمد (ت٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) :**

يقدّم هذا الكتاب تاريخاً عاماً للمغرب والأندلس، وقد أفادني كثيراً وخاصة الجزء الثاني، الذي يتحدث عن فتح الأندلس حتى قيام الدولة العامرية، إذ يذكر بعض الروايات التي

تتحدث عن الصراع بين العرب البلديين والعرب الشاميين، وأثر هذا الصراع في اتاحة الفرصة لعبد الرحمن بن معاوية إلى دخول الأندلس وانشاء الدولة الأموية فيها.

ثم يقدم مادة تاريخية قيّمة عن التنظيم الإداري للمؤسسة العسكرية في الأندلس في العهد الأموي، سواء للقوات البرية أم البحرية، وعن القوات العسكرية التي اعتمد عليها الأمير أو الخليفة الأموي، وأعداد القوات التي تقدمها الكُور المجندة اثناء الحرب، هذا بالإضافة إلى ذكره أهم القادة الذين اعتمد عليهم خلفاء بني أمية في قيادة جيوشهم، والذين تمتعوا بمنزلة رفيعة. ومن ثم يذكر الأساليب القتالية التي اتبعها الجيش الأموي البري والبحري اثناء الحروب، والإنفاق العسكري والعطاء وأنواع الخطط العسكرية.

* **جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد بن حزم القرطبي (٤٥٦هـ / ١٠٦٣م):**

يُعدّ كتاب جمهرة أنساب العرب من الكتب الفريدة التي تناولت دخول القبائل العربية والأسر الأندلس، واستقرارها، والأماكن التي استوطنت فيها منذ الفتح حتى سقوط دولة بني أمية، حيث شكّلت هذه القبائل والأسر الطلائع العسكرية الأولى، التي ألقي على عاتقها مهام الفتح وإعلاء كلمة الإسلام، هذا ويعد كتاب جمهرة أنساب العرب من أوسع كتب النسب وأغناها وأدقها.

* **أعمال الأعلام، لإبن الخطيب، الوزير لسان الدين بن الخطيب الغرناطي (ت عام ٧٧٦هـ):**

من الكتب المهمة التي استعنت بها، في تناول إعداد الجيش الأموي والإصلاح العسكري الذي واكب نموه، والقوات التي يتكون منها هذا الجيش، والأساليب القتالية التي استعملها الأندلسيون اثناء معاركهم، وكذلك أنواع الأسلحة التي استخدموها، هذا بالإضافة إلى العطاء العسكري الذي يعتبر من الأمور المهمة في المؤسسة العسكرية.

* **تاريخ افتتاح الأندلس، لإبن القوطية، أبي بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز القرطبي (٣٦٧هـ / ٩٧٧م)**

يُعدّ من المصادر التاريخية الأولى لدراسة الفتح العربي، وواقع العرب في الأندلس من الفتح حتى نهاية إمارة الأمير عبدالله بن محمد المتوفى سنة ٢٩٩هـ / ٩١٢م.

وابن القوطية من حفدة ساره القوطية حفيدة غيطشه التي قصدت الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك في دمشق لترفع إليه أمرها في ظلم لحق بها، فأحسن وفادتها وزوجها من أحد مواليه. لهذا نجد في كتاباته النزعة المتعصبة ضد الإنسان العربي وضد السيادة العربية، وهي أخبار تظهر العرب في صورة الجهلاء والأجلاف، وتصور ارطباس القوطي في صورة الرجل ذي المواهب العظيمة، والخلق الحميد اللطيف، ويهاجم القائد العربي الصميل بن حاتم زعيم القيسية، ويصفه بأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

ورغم ذلك فقد أورد معلومات مهمة عن القبائل التي دخلت الأندلس، وكيف أنها كانت مقسمة إلى فرق حسب أصولها، ثم تحدث عن كيفية استقرار هذه القبائل في الأندلس، والصراع الذي دار بين البلديين والشاميين حول تقسيم الأرض، وتنظيم خراجها، والأحداث التي مرّت على الأندلس حتى نهاية إمارة الأمير عبدالله، وقد استرسل في الحديث عن الثورات والفتن والإستعدادات العسكرية البرية والبحرية خلال هذه الفترة.

إضافة إلى هذه المصادر هناك مجموعة أخرى من المصادر والمراجع التي أُفدْتُ منها، وسيرد ذكرها في ثبت المصادر والمراجع في نهاية هذه الرسالة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي الذي يعني الاستقصاء المنهجي للحدث، ومن ثم الإطلاع على أكثر من وجهة نظر ورواية، وبعد مناقشتها ومقارنتها مع غيرها من الروايات، أُعتمد أقرب الروايات إلى الدقة والعلمية. وبناءً على ذلك فقد تم تتبع المراحل التاريخية لتطور الجيش الأندلسي منذ تأسيسه، وتحليل التنظيمات الهيكلية لقطاعات الجيش البرية والبحرية، وما أسهمت به هذه القطاعات من دور جليل في بناء الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

والله ولي التوفيق.

الباحثة

سحر المجالي

٢٧ ذو الحجة ١٤١٥هـ / ٢٧ أيار ١٩٩٥م

الفصل الاول

استقرار طلائع الفتح الاولى في الأندلس
وتأسيس الجيش

الفصل الأول

استقرار طلائع الفتح الأولى في الأندلس وتأسيس الجيش

تمهيد:

أُطلقت على الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا أسماء متعددة عبر التاريخ، منها: شبه الجزيرة الآيبيرية (Peninsula Iberica)، وشبه الجزيرة الأسبانية (Peninsula Espanola)، وأوفيوسا (Ophiousa)، وغيرها(١).

وقد أطلق الرومان اسم (اسبانيا) على شبه الجزيرة عندما كانت تابعة لهم(٢)، أما كلمة ايبيريا (Iberica) فقد كانت معروفة عند الإغريق الذين أخذوها من (الإيبيريين) الذين كانوا يسكنون هناك(٣)، وظلت شائعة لزمن طويل منذ القرن الثاني قبل الميلاد، غير أن هذا المصطلح قلّ تداوله، وأخذ يتلاشى، وحلّ محلّه مصطلح اسبانيا (Spaina O Hispania) الذي ما زال شائعاً حتى اليوم(٤).

أما مصطلح (الأندلس) (Andalucia) الذي أطلق على المناطق التي حكمها المسلمون من شبه الجزيرة فقد اشتقه الجغرافيون والمؤرخون العرب من : الأندليش أو الأندلش أو

---

(١) حتامله، محمد عبده، ملامح حضارية في الأندلس، بحوث ودراسات مهداة إلى الأستاذ الدكتور عبدالكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، تحرير ناظم كلاس ، عمان، ١٩٨٩م، ص١٨١. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: حتامله، ملامح حضارية؛ العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، ط٢، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦، ص١٩. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس.

(٢) بدأت محاولات الرومان للسيطرة على شبه الجزيرة منذ عام ١٩٧ ق.م، غير أن القبائل القاطنة في اواسطها حالت دون تحويل البلاد إلى منطقة ذات صبغة رومانية، إلا أن القائد الروماني بومبي (Pompeius) استطاع أن يثبت حكم روما في اسبانيا سنة ٧٠ ق.م.انظر: أوراسيوس، تاريخ العالم، تحقيق عبدالرحمن بدوي، ط١، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ١٩٧٠، ص٣٦٢ و ٣٧٢. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: أوراسيوس، تاريخ العالم.

(٣) الإدريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٥، ص٥٢٥. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الإدريسي، نزهة المشتاق؛ حتامله، ملامح حضارية، ص١٨٤.

(٤) حتامله، ملامح حضارية، ص١٨١.

الأندلس. وهي الأسماء التي أطلقت على الوندال الذين سيطروا على أجزاء من شبه الجزيرة الآيبيرية في الفترة من (٤٠٨-٤٢٩م)(١).

ويرى بعض المؤرخين العرب أن أول من أطلق هذه التسمية على شبه الجزيرة هم أهالي طنجة الذين شاركوا في جيش طارق بن زياد عند فتح الأندلس (رجب ٩٢هـ / نيسان ٧١١م)، فقد حرّفوا كلمة (الوندال) إلى (وندلس)، ولما كانت (الواو) في لغتهم تحل محل (أل) التعريف في اللغة العربية، فقد أطلق المسلمون اسم (الأندلس) على شبه الجزيرة متأثرين بتسمية أهالي طنجة لها(٢).

ومدلول كلمة (الأندلس) المتداول حتى اليوم يقصد به جنوبي اسبانيا، وهو الجزء الذي يضم مدناً شغلت أدواراً سياسية مهمة أيام العرب المسلمين مثل: قرطبة، واشبيلية، وغرناطة، والمرية، وقادش، وولبة، وجيّان ومالقة(٣).

وتقع الأندلس مقابل السواحل الشمالية للمغرب، حيث يفصل بينهما ما كان يعرف قديماً ببحر الزقاق(٤) أو أعمدة هرقل، وقد عُرف بعد الفتح العربي الإسلامي باسم مضيق جبل طارق. وتتصل من الشمال بغاله (بلاد الفرنجة قديماً) بواسطة سلسلة جبلية تعرف بجبال البرت (Pirineos) أما بقية حدودها فتنتشر ما بين البحر المتوسط في الشرق والمحيط الأطلسي في

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٣٦؛ البكري، أبو عبيد، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالرحمن الحجي، دار الإرشاد للطباعة، بيروت، ط١، ١٩٦٨، ص٥٩. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: البكري، جغرافية الأندلس؛ ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٥، ج٢، ص٥٥٦، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الأثير، الكامل في التاريخ؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وليفي بروفينسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ج٢، ص٢. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد : ابن عذاري، البيان المغرب.

(٢) حتامله، ملامح حضارية، ص١٨١.

(٣) المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، ص١٣٤. وسيشار له فيما بعد: المقري، نفح الطيب؛ حتامله، ملامح حضارية، ص١٨٢.

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، المجلد ١، دار صادر، بيروت ١٩٧٧، ص٢٦٢، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الحموي، معجم البلدان.

الغرب والشمال الغربي(١).

وقد أشار المؤرخون إلى أسباب مختلفة لفتح الأندلس(٢) أهمها وأرجحها نشر الدعوة الإسلامية. وقد كانت بدايات الفتح في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م) الذي استأذنه موسى بن نصير(٣) في فتح الأندلس بعد أن استتب أمر المسلمين في المغرب، فكتب إليه الوليد: "خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شانها، ولا تغرر بالمسلمين

---

(١) أنظر حدود الأندلس في: الاصطخري، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨١هـ، ص٤١، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الاصطخري، المسالك والممالك؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٦٥، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن حوقل، صورة الأرض؛ الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٣٩؛ والإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٥؛ والحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤،ص٢، ٤-٥. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الحميري، الروض المعطار.

(٢) ذكر المؤرخون أسباباً أخلاقية وسياسية واقتصادية. أنظر ذلك في عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القسم الأول، المجلد الرابع، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٥٨، ص١١٧. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله الطباع، دار النشر للجامعيين، ص٣٤. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة ، ١٩٥٩، ص٥٩-٦٠. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: مؤنس، فجر الأندلس؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٣؛ ابراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ/ ١٧٧-١٣٠١م، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨، ص٦٢-٦٧. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: بيضون، الدولة العربية.

(٣) هو موسى بن نصير بن عبدالرحمن بن زيد البكري، ولد سنة تسع عشرة للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي في المدينة. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد ١٩٧١، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس.

في بحر الأهوال"(١).

وعندئذ أرسل موسى حملة حربية استكشافية إلى جنوبي شبه الجزيرة الأيبيرية بقيادة طريف بن مالك المعافري المكنى بأبي زرعة سنة ٩١هـ / آب – ايلول ٧١٠م(٢). وقد اجتازت هذه الحملة المؤلفة من خمسمائة مجاهد منهم اربعمائة من المشاة ومائة من الفرسان البحر، ونزلت في مكان يعرف بإسم لاس بالوماس las Palomas في موضع أصبح يعرف حتى اليوم باسم طريف (Tarifa)، محققةً نجاحاً شجّع طارق بن زياد(٣) على المضي في خطة الفتح، فعبر المضيق المسمى باسمه في رجب سنة ٩٢هـ / نيسان ٧١١م(٤) على رأس جيش قوامه اثنا عشر ألف رجل(٥). ورست مراكبه عند جبل كالبي Monte Calpe الذي عُرف فيما بعد بإسم جبل طارق، ثم باشر عملية الفتح، وزود موسى بن نصير بأخبارها.

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٩٦٧، ص٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص٤٤؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٥٣.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥؛ المقرى، نفح الطيب (برواية الرازي)، م١، ص٢٥٤؛ مجهول، ذكر فتح الأندلس ومن استخلف فيها من الأمراء إلى ملوكها الثوار، الجزائر، ١٩٨٩، ص٩٨. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: مجهول، ذكر فتح الأندلس.

(٣) هو طارق بن زياد بن عبدالله بن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، كان عاملاً لموسى بن نصير، قبل فتح الأندلس. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥.

(٤) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص٧. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الضبي، بغية الملتمس؛ البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧، ص٣٢٣، وسيشار له فيما بعد: البلاذري، فتوح البلدان؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ق٢، ج٤، ص٢٥٤.

(٥) المقري، نفح الطيب (برواية ابن حيان)، م١، ص٢٣١-٢٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، ج٩، ص٨٣. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن كثير، البداية والنهاية.

ثم جهّز موسى بن نصير حملة قادها بنفسه، وذلك في رمضان عام ٩٣هـ / ٧١٢م(١). وكانت هذه الحملة تتألف من جيش قوامه ثمانية عشر ألف رجل(٢)، عشرة آلاف من العرب (القيسية واليمنية ومعهم أتباعهم)، وثمانية آلاف من البربر والتابعين(٣)، وكان يرافق موسى ابناه عبدالعزيز وعبد الأعلى(٤).

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢؛ الرسالة الشريفية، منشورة ضمن كتاب افتتاح الأندلس لابن القوطية، مدريد، ١٩٢٦، ص١٩٨. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الرسالة الشريفية؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٦٤؛ ابن الشبّاط، محمد بن علي، وصف الأندلس، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م١٤، مدريد، ١٩٦٦، ص٤٥-٤٦. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الشبّاط، وصف الأندلس.

(٢) مجهول، اخبار مجموعة، ص١٥؛ المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين)، تقديم محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ط١، ١٩٤٩، ص١١. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: المراكشي، المعجب؛ أما ابن تغرى بردى، جمال الدين ابو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٩، ج١، ص٢٢٦ "فيجعل عدد الجيش عشرة آلاف مقاتل". وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن تغردى، النجوم الزاهرة.

(٣) ابن عبدالحكم، فتوح افريقيا والأندلس، تحقيق وتقديم عبدالله انيس الطبّاع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤، ص٧٦. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس؛ المراكشي، المعجب، ص٨؛ ابن خلدون، المقدمة، م٤، ق١، ص٢٥٥-٢٥٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، (برواية الرازي)، ج٢، ص١٦.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٨-٥١.

وقد نزل موسى بهذا الجيش في شبه الجزيرة، بالقرب من الجزيرة الخضراء (Algeciras)، وعُرف المكان الذي نزل فيه باسم مرسى موسى(١). وقد طلب موسى من أدلائه أن يرشدوه إلى طريق لم يسلكه طارق، وقال لهم: "ما كنت لأسلك طريقه ولا أقفو أثره"(٢)، ويبدو أن السبب في ذلك هو رغبة موسى في سلك خط سير اثناء عمليات الفتح، لم يسبق لطارق ان مرّ بها وذلك لفتح مدن وحصون جديدة، وهكذا سلك موسى الإتجاه الشمالي الغربي، ووصل إلى مدينة شذونه فافتتحها عنوة(٣)، ثم وصل إلى قرمونه فافتتحها عنوة كذلك، ثم تقدم إلى قلعة رعواق (وهي من أعمال مدينة اشبيلية* ففتحها)(٤) فحاصرها لعدة شهور ثم دخلها عنوة (٥)، وفرّت حاميتها الى مدينة باجه، وتابع القائد موسى فتوحاته الى لبله وباجه واكشونبة في جنوبي البرتغال، وافتتحها جميعها سلماً(٦). ثم واصل سيره حتى وصل مدينة مارده(٧)، وكانت من المدن المنيعة، فضرب حصاراً حولها واستطاع أن يفتحها بعد حصار دام

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٩ (ويذكره باسم جبل موسى).

(٢) ابن الشبّاط، وصف الأندلس، ص٣٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٩-٥٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٠-٢٧١.

* اشبيلية: تعتبر من أعظم المدن الأندلسية شأناً واعجاباً، وبنياناً، وأكثرها آثاراً، وتقع على نهر الوادي الكبير. الحميري، الروض المعطار، ص٥٨-٦١؛ الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩-٢٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٠-٢٧١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٠؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٧٠-١٧١.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٩٩.

(٧) المصدر السابق، ص١٩٩؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٧٠-٢٧١.

عدة أشهر وذلك في مستهل سنة ٩٤هـ / ٧١٣م وقد عقد صلحاً مع أهلها (١)، وخلال حصار مارده ثار أهل اشبيلية وأعلنوا العصيان، فبعث موسى ابنه عبدالعزيز بجيش استطاع القضاء على العصيان، وإعادة الأمور إلى طبيعتها(٢).

ومن مدينة مارده اتجه موسى الى طليطلة، فخرج طارق بن زياد لاستقباله(٣)، فالتقيا في مدينة طلبيره ليشكلا قوة واحدة، تهدف إلى نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله في جميع شبه الجزيرة الإيبيرية(٤).

وسار القائدان معاً باتجاه طليطلة، حيث استراحا طيلة فترة الشتاء، ولما حلّ الربيع توجها نحو مدينة سرقسطه ففتحوها صلحاً إذ لم يجدوا فيها مقاومة تُذكر(٥).

ومن سرقسطه توجها إلى طرطوشه ففتحاها ثم طركونه ومناطق قطلونيه ثم عادا إلى سرقسطه، وفي هذه المدينة انقسم الجيش إلى قسمين: الأول بقيادة طارق لفتح المناطق الواقعة على ميمنة نهر الايبرو (Ebro)، والثاني بقيادة موسى وذلك لفتح المناطق الشمالية الغربية على أن يكون اللقاء في مدينة استرقة، وذلك بعد اتمام عمليات الفتح(٦).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠-٢١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٠.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٧١.

(٤) ابن غالب، محمد بن أيوب، فرحة الأنفس، مجلة معهد المخطوطات العربية، نشر د. لطفي عبد البديع، م١، ج٢، نوفمبر ١٩٥٥، ص١٨٩. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن غالب، فرحة الأنفس؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٧.

(٥) ابن الشبّاط، وصف الأندلس، م١٤، ص١٢١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٥؛ ابن الشبّاط، وصف الأندلس، م١٤، ص١٢٣؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٧١.

وهكذا توجه جيش القائد طارق بن زياد إلى الشمال فاستولى على مدينة لارده، ووشقه، وبرشلونه، واربونه، وصخرة آبنيون، وحصن لوذون على وادي رودنه، ثم توجه نحو الغرب فاستولى على أمايا، وليون، واسترقه، وفيها انتظر قدوم جيش موسى بن نصير.

أما جيش القائد موسى بن نصير فقد توجه إلى الشمال الغربي، فتوغل في منطقة جليقية، وفتح جميع المدن والحصون التي مرّ بها، وأثناء وجوده في منطقة جليقية جاءه خبر مغيث الرومي(١)، رسول الوليد بن عبدالملك، الذي أمره بترك الأندلس وعدم التوغل فيها، والعودة إلى دمشق. فأقنع مغيثاً الرومي بالتريث قليلاً لحين اتمام عملية الفتح، والتي لم يبق منها سوى جزء من منطقة جليقية، وواصل سيره فافتتح حصن بازو (Biezo) وحصن لك (Lugo)، ومن منطقة لك بثّ السرايا حتى وصل إلى صخرة بلاي (Pelayo)(٢)، ثم إلى خيخون (Jijon) على خليج بسكاية (Vizcaya)(٣). فأقر فيها حامية يقودها زعيم بربري اسمه مونوسه(٤)، أما سائر النصارى الذين كانوا في المعاقل المنيعة* والجبال الشامخة، فأقرّهم موسى على أموالهم ودينهم بأداء الجزية(٥).

---

(١) ابن الشبّاط، وصف الأندلس، م١٤، ص١٢٢- ١٢٣؛ ابن حبيب، عبدالملك بن حبيب الالبيري، مبتدأ خلق الدنيا، الجزء الخاص بتاريخ الأندلس من (تاريخ عبدالملك بن حبيب)، نشر د. محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م٥، عدد (١-٢)، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م، ص٢٢٧. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن حبيب، مبتدأ خلق الدنيا.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥١.

(٣) المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٧٦.

(٤) مونوسه، كان من رؤساء الجند في جيش طارق، والغالب أن موسى وطارق تركاه حاكماً على اشتريس وما يجاورها من نواحي جليقية حوالي سنة (١٠٦-١١١هـ)، وأنه كان ذو همّة ونشاط، فاتصل بالدوق أودو، دوق اكيتانيا، فنشأت بينهما علاقات صداقة زادت أواصرها، عندما وقع النفور بين العرب والبربر، لدرجة أن أودو زوّجه ابنته.

* يُقصد بالمعاقل المنيعة، قمم جبال أوروبا في منطقة اشتوريس.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٠٥.

ويمكن القول أن طارقاً وموسى قد فتحا جميع شبه الجزيرة الإيبيرية، باستثناء بعض الأجزاء من اشتوريس* وجليقية،التي لم يتعرفا على طبيعتها الجغرافية فاكتفيا بأخذ الجزية من أهلها، كما فعل موسى بن نصير.

وقد قلق الخليفة الوليد بن عبدالملك على مصير الجيوش الإسلامية، بسبب تأخر مغيث الرومي في الرد عليه، فأرسل رسولاً آخر يسمى أبا نصير، لاستدعاء موسى إلى دار الخلافة بدمشق(١).

فعاد موسى إلى مدينة استرقه، حيث كان طارق في انتظاره، وسار القائدان من مدينة استرقه إلى طليطلة فقرطبه ثم إلى اشبيلية، وقد استخلف ابنه عبدالعزيز والياً على الأندلس، وترك معه حبيب بن أبي عبده بن عقبه بن نافع وزيراً له(٢).

---

* كانت المناطق التي صالح موسى أهلها والواقعة في الشمال الغربي من شبه الجزيرة ا لإيبيرية، بالإضافة إلى هجر المسلمين إلى بعض المناطق فيها بسبب القحط الذي مرّ بالبلاد، كان سبباً مباشراً لإعلان النصارى الحرب على القوات الإسلامية المرابطة على الثغور هناك، فكوّنوا النواة الأولى لمملكة نصرانية، عُرفت بمملكة اشتوريس، والتي كان لها آثاراً سلبية على مراحل سقوط الثغور الأندلسية فيما بعد.

(١) المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٣٣-٢٣٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥١.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٦؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٢١٠؛ ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٥٥؛ القيرواني، أبو اسحق ابراهيم الرقيق، تاريخ افريقيا والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، ١٩٦٨، ص٨٥. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٥، ١٩٨٧، ص٢٣٣. وسيشار له فيما بعد: القلقشندي، صبح الأعشى.

أولاً – نواة الجيش الأندلسي ابتداءً من عصر الولاة:

وبتولية عبدالعزيز بن موسى بدأ عصر الولاة في الأندلس (٩٥-١٣٨هـ / ٧١٤-٧٥٦م)، ومنذ بداية هذا العصر أصبح الجيش يتدخل في الأمور الإدارية للبلاد، وثار الجند(١)، وقام قادتهم بقتل عبدالعزيز سنة ٩٧هـ / ٧١٦م(٢)، وولّوا مكانه أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير، بعد شهور من مقتل عبدالعزيز إلى ذي الحجة ٩٧هـ / ٧١٦م(٣) الذي سرعان ما استبدل به الحر بن عبدالرحمن الثقفي (٩٧- ١٠٠هـ / ٧١٦-٧١٩م).

وكان أول ما قام به الحر بن عبدالرحمن هو تنظيم الجيش والإهتمام بشؤونه(٤)، وقد أصبح الإهتمام بشؤون الجيش وتنظيمه من السمات المميزة لعصر الولاة؛ فعبدالرحمن الغافقي في ولايته الثانية (١١٣-١١٤هـ / ٧٣١-٧٣٢م) عُني بالجيش، وأنشأ فرقاً قوية مختارة من فرسان البربر بإشراف نخبة من العرب. وبعد مقتل عبدالرحمن الغافقي (١١٤هـ/ ٧٣٢م) كان الولاة يحرصون على انتخاب جيشهم من جند افريقيا، وذلك لتعزيز مكانتهم(٥).

وقد تعاقب على حكم الأندلس في عصر الولاة عدد كبير من الولاة ولّى بعضهم خلفاء المشرق مباشرة، وولّى بعضهم الآخر ولاة افريقيا(٦)، واختار الجند عدداً منهم فأقرت الخلافة هذا الاختيار(٧).

وعصر الولاة – على قصره – يعتبر بالغ الأهمية، إذ ترسخت فيه مقوّمات الحكم الإسلامي في الأندلس، ونشأت خلاله عوامل الخلاف التي صاحبت هذا الحكم حتى نهايته.

---

(١) عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس (من الفتح إلى بداية عصر الناصر)، ق١، (د. ت) ، ص٧١. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: عنان، دولة الإسلام.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٢١٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٣؛ ابن القوطية، تاريخ أفتتاح الأندلس، ص٧٧.

(٤) عنان، دولةالإسلام، ق١، ص٨٤ .

(٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٤٤، ٦١٢.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٥٦.

(٧) المقري، نفح الطيب، م١، ص١٠٩.



ثانياً - استقرار الطلائع:

تشكلّت القوات المجاهدة من رجال القبائل العربية والبربرية التي كانت بقيادة كل من القائدين طارق بن زياد وموسى بن نصير، وكان هؤلاء هم طلائع الجيش الأندلسي ونواته، وقد بلغ عددهم ثلاثين ألفاً(١) منهم اثنا عشر ألفاً وصلوا مع طارق بن زياد(٢) وثمانية عشر ألفاً مع موسى بن نصير(٣)، وتبعت هؤلاء فيما بعد أعداد كبيرة من أهل الشام، وسأتحدث عن ظروف وصولهم إلى الأندلس، وأسباب ذلك في الصفحات التالية من هذا الفصل.

ويُسمى العرب والبربر الذين رافقوا القائدين طارق وموسى بـ (البلديين)(٤) لأنهم اعتبروا أنفسهم المالكين الحقيقيين للمناطق المفتوحة(٥)، ولاستقرارهم في المناطق التي سلكتها الحملات العسكرية.

وهكذا يلاحظ أن نواة الجيش الأندلسي وطلائعه الأولى تشكلت من البلديين والشاميين. وقد استقرت هذه الطلائع في مختلف مناطق الأندلس وفق ترتيبات فرضتها الأحداث، وذلك على النحو التالي:

---

(١) ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي، الحلة السّيراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣، ص٦٣. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الأبار، الحلة السيراء.

(٢) القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص٧١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٣٣؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ط١، مجلد٤، ص١١. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الطبري، تاريخ الرسل والملوك.

(٣) ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٢٥٤؛ المراكشي، المعجب، ص١١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥.

(٤) ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه وقدم له محمد عبدالله عنان، دار المعارف بمصر، م١، ص١٠٧. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، الإحاطة؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص٢٠٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١-١٢؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٧٦-٢٩٠.

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٣٨، ص١. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، اللمحة البدرية؛=



١ - البلديون (عرباً وبربر):

أ- العرب:

ينتمي البلديون العرب الذين رافقوا موسى بن نصير خلال فتحه شبه الجزيرة الأيبيرية إلى أشهر العشائر العربية التي تنتمي إلى مختلف القبائل اليمنية، ومع ذلك فقد كانت قلّةً منهم تنتمي إلى قبائل أخرى من مضر، وربيعة، ولخم، وجذام، ومعافر، والأوس والخزرج (الأنصار)، وغيرهم(١).

أما البلديون من مضر فمنهم بنو تميم الذين استقروا في اشبيلية، وفي منطقة قرب طلبيرة إلى الغرب من طليطلة تسمى (زبارقة) نسبة إلى الزبرقان بن بدر (٤٥هـ/ ٦٦٥م)(٢) أحد شخصيات تميم المشهورة.(٣)

ومنهم هذيل الذين استقروا في أوريوله (Orihuela) في منطقة مرسية الحالية(٤)، وفي سرقسطة ومناطق أخرى في الشمال الشرقي(٥).

= عبدالواحد ذنون طه، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، ميلانو، ١٩٨٢، نشر دار الرشيد، القاهرة، ص٢٢٥. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبدالواحد ذنون، الفتح والإستقرار؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٧.

(١) المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩٠-٢٩٨؛ ابن حزم، الأنساب، ص٤٦٧-٤٧٢و ٤٧٧و ٤٨٣.

(٢) الزركلي، خيرالدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٩، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص٨٥-٨٦. وسيشار له فيما بعد: الزركلي، الأعلام.

(٣) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص٢١٩. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب.

(٤) المقري، نفح الطيب (برواية ابن غالب)، م١، ص٢٩١.

(٥) ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، ١٩٦٦، ق١، ص١٢٨. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس؛ الضبي، أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٦١. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الضبي، بغية الملتمس.

ومنهم بنو فهر الذين ينتمي إليهم اثنان من ولاة الأندلس، هما: عبدالملك بن قطن الفهري الذي ولي الأندلس مرتين، الأولى في الفترة من ١١٢ - ١١٤هـ/ ٧٣٠ - ٧٣٢م، والثانية من صفر ١٢٣ - ذي القعدة ١٢٣هـ / كانون الثاني ٧٤١ - أيلول ٧٤١م. ويوسف بن عبدالرحمن الفهري (١٢٩ - ١٣٨هـ / ٧٤٦ - ٧٥٦م)(١).

ومن مضر أيضاً بنو زهرة الذين استقر بعضهم في مدينة باجه (Beja) في جنوبي البرتغال، وفي بطليوس واشبيلية(٢)، كما استقرت جماعات منهم في سرقسطة في الشمال الشرقي(٣).

ومنهم بنو عبدالدار الذين استقروا في قرية قربلان* في منطقة سرقسطة(٤). والفهميون، وهم عشائر متفرقة من قيس، أقاموا في أماكن قريبة من طليطلة(٥). وسليم الذين استقروا في مدينة المرية(٦)، والعبسيون الذين استقر بعضهم في آبده (Ubeda) وفي مدينة جيان (Jaen) الحالية(٧).

---

(١) المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩١، م٣، ص١٨؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٥٥ و ١٩٦٤، ج١، ص٣٤٠. وسيشار له فيما بعد : ابن سعد، المغرب في حلى المغرب.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٣٢؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١٠٨.

* قربلان وتعني قربليان، الحميري، الروض المعطار، ص١٥١.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢٦-١٢٧.

(٥) الحموي، معجم البلدان، م٤، ص٢٨١.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٤٣.

(٧) عبد الواحد ذنون، الفتح والإستقرار، ص٢٣٨.

أما البلديون من قبائل ربيعة فقد كانوا قلّة، ومن أشهرهم جماعة سعدون بن عبدالله الربعي الذي رافق حملة عبدالعزيز بن موسى (٩٤هـ / ٧١٣م) إلى تدمير، وشهد الصلح ووقع على معاهدة* بذلك مع قائدها القوطي تدمير بن عبدوش، وربما سكن هو وعشيرته في هذه المنطقة(١).

ومن أشهر القبائل اليمينة التي استقر رجالها في الأندلس قبيلة لخم التي ينسب إليها أيوب بن حبيب اللخمي، وقد استقر في اشبيلية، بينما انتقل أحفاده إلى كورة ريه (مالقه الحالية)(٢). كما ينسب إليها بشر بن قيس اللخمي الذي وقّع على معاهدة الصلح بين عبد العزيز ابن موسى وبين الحاكم القوطي تدمير(٣)، وعبدالرحمن بن علقمة اللخمي (١٣٦هـ/ ٧٥٤م) (حاكم اربونه) في ولاية عبدالملك بن قطن الفهري (١١٤-١١٦هـ/ ٧٣٢-٧٣٤م) (٤).

---

* نص هذه المعاهدة: "بسم الله الرحمن الرحيم،

كتاب من عبدالعزيز بن موسى بن نصير، لتدمير بن عبدوش إنه نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم، ألا يُقدّم له ولا لأحد من أصحابه ولا يُؤخر، ولا يُنزع من ملكه، وإنهم لا يُقتلون ولا يُسبون، ولا يفرّق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا تُحرق كنائسهم، ولا يُنزع عن كنائسه ما يُعبد، وذلك ما أدى الذي اشترطناه عليه، وإنه صالح على سبع مدائن: أوريوله (Orihuela)، وبلتنه (Baltana)، ولقنت (Alicante)، ومولة (Mula)، وبالانه (Villena)، ولورقه (Lorca)، وأله (Ello)، لا يأوي لنا آبقاً، ولا يأوي لنا عدواً، ولا يُخيف لنا آمناً، ولا يكتم خبر عدو علمه، وان عليه وعلى أصحابه ديناراً كلّ سنة، وأربعة أمداد قمح، واربعة أمداد شعير، واربعة أقساط خل، وقسطا عسل، وقسطا زيت، وعلى العبد نصف ذلك. وكُتب في رجب سنة ٩٤ من الهجرة."

انظر: الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥٩.

(١) العذري، أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الولائي، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥، ص٥. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: العذري، ترصيع الأخبار.

(٢) ابن القوطية، افتتاح الأندلس، ص١٢.

(٣) ابن عذاري، ج٢، ص٣٥؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٥.

(٤) ابن القوطية، افتتاح الأندلس، ص١٦-١٧؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٣-٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٢

وقبيلة جذام وهي من القبائل اليمنية(١) التي استقرت في أكثر من منطقة، مثل شذونه، والجزيرة، وتدمير، وقلعة رباح والثغر الأعلى(٢).

وقبيلة معافر، وقد جاءت مع حملة طارق بن زياد، وكانت بقيادة عبدالملك بن أبي عامر المعافري الذي لعب دوراً بارزاً في افتتاح الجزيرة الخضراء (Algeciras)، وحصن قرطاجنة، وقد استقر في الجزيرة الخضراء. ومن معافر الوزير المشهور والحاجب محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور، الذي استطاع أن يسيطر على الأندلس زمن الخليفة هشام الثاني (٣٦٦-٣٩٩هـ / ٩٧٦-١٠٠٩م)(٣).

ومن الأسر المعروفة التي استقرت في الأندلس: الأوس والخزرج الذين ينتهي إليهم أحفاد سعد بن عباده (١٤هـ/ ٦٣٥م)(٤)، أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد استقروا بالقرب من سرقسطة(٥)، ومع ذلك فقد استقرت جماعات منهم في أماكن متفرقة، وكانت لهم أماكن وقرى منفصلة تُعرف بهم، مثل جزء الأنصار الواقع بالقرب من طليطلة، وقرية شويش الأنصار قرب اشبيلية(٦). واستقرت جماعات منهم في وادي الحجارة، وفي شريش ووانده، واقليم إلبيره، وفي قرطبة، وباجه، وقلعة رباح، ومدينة أورش الواقعة في منطقة ولبه الحالية(٧). أما الخزرج فقد استقروا بقرطبه، وفي منطقة شارقه الواقعة بناحية بلنسيه،

---

(١) السمعاني، الأنساب، تحقيق عبدالرحمن بن علي اليماني، نشر محمد أمين دمج، بيروت، ١٩٧٦-١٩٨١، ج٢، ص٢٠٩. وسيشار إليه فيما بعد: السمعاني، الأنساب.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٠-٤٢١؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٦-٢٥٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨؛ صاعد، طبقات الأمم، منشورات المكتبة الحيدرية،النجف، ١٩٦٧، ص٨٦. وسيشار له فيما بعد: صاعد، طبقات الأمم.

(٤) الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٨٥-٨٦.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٨٢.

(٦) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٣٤٣، ٣٦٤-٣٦٥؛ المقري، نفح الطيب (برواية ابن غالب)، م١، ص٢٩٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٩.

(٧) ابن دحيّة، المُطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: ابراهيم الأبياري وآخرون، بيروت، ١٩٥٥، ص٢١٦. وسيشار له فيما بعد: ابن دحيّة، المُطرب؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٦؛ ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٣٤١؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، تحقيق: إحساب عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣، ص٣٩. وسيشار له =

التي اصبحت تُعرف باسم قلعة الأشراف نسبة إليهم(١).

واستقر بعض الأنصار في مناطق أخرى، منهم: بنوحبيب وبنو قطين في قرية قرب قبرة* (Cabra) (٢). كما استقر بعضهم في قلعة رباح (Calatrava) ووادي الحجارة (Guadalajara) وشلب (Silves) الواقعة جنوب البرتغال الحالية(٣).

وقد تركّز الأزد في منطقة تدمير (مرسيه)Murcia ، وكان أحد زعمائهم الكبار- يعيش ابن عبدالله الأزدي – أحد القادة المرافقين لعبدالعزيز بن موسى، والذي شهد على معاهدة الصلح التي عُقدت بين المسلمين وتدمير(٤). وسكن بنو دوس، وهم فرع من الأزد، في تدمير ايضاً، وكان من أشهرهم قوم يُعرفون ببني هارون(٥). واستقر أزديون آخرون في مناطق أخرى مثل بني المهلب بن أبي صفره في شون Jun قرب غرناطه، وفي منطقة أخرى قرب جيان(٦)، وبني وهب في لوره ثم اشبيلية(٧).

= فيما بعد: السلفي، أخبار وتراجم؛ ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، التكملة لكتاب الصلة، نشر وتصحيح عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦، م١، ص٢٨٧-٢٨٨. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الأبار، التكملة.

(١) ابن الأبار، التكملة، م١، ص٤٢٠-٤٢٤، م٢، ص٥١١-٥١٢؛ الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج٥، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٥. وسيشار له فيما بعد: الأنصاري، الذيل والتكملة.

* قبرة تبعد نحو ثلاثين ميلاً جنوب غرب قرطبة.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٤٩-١٥٠؛ ابن الأبار، التكملة، ج١، ص١٤.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٤١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٦.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص٥.

(٥) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٣٨٣.

(٦) ابن الأبار، التكملة، م١، ص٣٦٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٢٩، ٣٢٠، ج٢، ص٢٩٣؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩٣.

(٧) ابن الأبار، التكملة، م١، ص٣٦٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٢٩، ٣٢٠، ج٢، ص٢٩٣؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩٣.

أما رجال القبائل من غافق، فقد استقروا على طول الطريق التي سلكتها حملة موسى بن نصير، مثل الجزيرة الخضراء، وشذونه في الجنوب، وسرقسطه في الشمال الشرقي(١)، ولكن تجمعات سكناهم الرئيسة كانت في مناطق اشبيلية، وقرطبة، وإلى حد ما في طليطلة والبيرة. وكان اقليم الشرف الذي يقع الى الغرب من اشبيلية، موطناً للعديد من الغافقيين، ومن هؤلاء عبدالرحمن الغافقي والي الأندلس - الولاية الأولى (١٠٢-١٠٣هـ / ٧٢١-٧٢١م)، والولاية الثانية من (١١٢-١١٤هـ / ٧٣٠-٧٣٢م)- الذي استشهد في معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م، وقد استمر اعقابه في العيش غربي اشبيلية على ضفة نهر الوادي الكبير(٢).

وهناك مناطق أخرى لاستقرار قبيلة غافق تقع إلى الشمال من قرطبه(٣)، وفي حصن يدعى بحصن غافق، يقع الى الشمال الغربي من قرطبه. وقد برز من هؤلاء قاضيان مشهوران في عهد الإمارة، وهما سعيد بن سليمان الغافقي، وسليمان بن اسود الغافقي(٤).

وقد ضمّت حملة موسى بن نصير مجموعة من رجال القبائل، الذين ينتمون الى قبيلة تجيب، وكانوا بقيادة قادة من أمثال سليمان بن قيس التجيبي، الذي شهد على معاهدة الصلح مع تدمير(٥)، وقد سكن عدد كبير من هذه القبيلة في منطقة الثغر الأعلى في الشمال الشرقي، الذي أصبح الموطن الرئيسي لتجيب في الأندلس، لا سيما سرقسطه ودروقه، وقلعة ايوب(٦).

وهناك قبائل يمنية أخرى استقرت في الأندلس، مثل خولان، الذين استقروا في كورة الجزيرة الخضراء، حيث كان لهم قلعة تسمى بقلعة خولان(٧)، وخثعم، حيث كانت شذونه

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٣٢٣، ٣٠٠، ق٢، ص١٦٩-١٧٠؛ ابن الأبار، التكملة، م١، ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٣، ٧٦؛ ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٢٢٩.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٤) المصدر السابق، ص٥٩، ٧٢؛ الخشني، قضاة قرطبة، ص٩٢-٩٤؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١٥٨-١٦٢.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص٥.

(٦) المصدر السابق، ص٢٢.

(٧) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٤١٨؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩٥.

موطناً رئيساً لاستقرارهم(١). أما بجيلة، فقد كان موطنها بالقرب من مدينة اربونه(٢)، وقد عاش عدد كبير من المراديين في قرطبه ومناطقها، حيث كان لهم غربي المدينة حصن يُعرف باسمهم(٣). وسكن الجد الأعلى لبني مزين، الذين ينتمون إلى قبيلة أود في اكشوبنه جنوبي البرتغال الحالية. وقد استمرت هذه الأسرة بالعيش في هذه المنطقة واستطاعت أن تنفرد بحكمها في عصر الطوائف، حيث اتخذت من مدينتي باجه وشلب قاعدة لها(٤).

وتُعد قبيلة بلى من القبائل القضاعية التي استقرت في الأندلس، ضمن جماعة البلديين. وكان من زعماء هذه القبيلة زياد بن عذره البلوي الذي شارك في عملية اغتيال عبدالعزيز بن موسى بن نصير(٥). وقد استقرت هذه القبيلة إلى الشمال الغربي من قرطبه، في مكان سُمي بلّي -على اسمهم- يقع في فحص البلوط(٦).

واستقرت قبيلة خشين القضاعية في أماكن مختلفة لا سيما في الجنوب، حيث كان لهم مكان يسمى بجزء خشين(٧). أما قبيلة عذرة، فكان موطنها الرئيس في ولاية Dalias في منطقة المرية الحالية، وفي الثغر الأعلى لا سيما في سرقسطه(٨). وإلى هذه القبيلة ينتمي الجغرافي العربي المعروف احمد بن أنسب العذري، صاحب كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأخبار.

---

(١) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٣٩٢؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩٦.

(٢) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٣٩٠.

(٣) الحموي، معجم البلدان، م١، ص٩٢؛ ابن سعيد، المغرب، م١، ص٢٣٢؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٩٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٧٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٩٢-١٩٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤.

(٦) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٤٤٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٤٢.

(٧) العذري، ترصيع الأخبار، ص١٢٠.

(٨) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٤٥٠.

ب- البربر:

دخل البربر الأندلس في أعداد كبيرة ضمن حملة طارق بن زياد، فقد شكلوا غالبية الحملة التي بلغ عدد رجالها نحو اثني عشر ألف رجل(١). كما دخلتها أعداد كبيرة منهم بصورة غير منتظمة، وخاصة بعد سماعهم بأنباء انتصار طارق على لذريق ملك القوط في موقعة دارت بين الطرفين بالقرب من ضفاف نهر وادي برباط - أو على نهر وادي لكه (Guadalete) في كورة شذونه- واستمرت ثمانية أيام (٢٨ رمضان - ٥ شوال ٩٢هـ/ ١٩-٢٦ تموز ٧١١م)، حيث انهزم فيها القوط(٢). ودارت هذه المعركة في أكثر من منطقة في الكورة، ولذلك سميت بعدة أسماء مثل: معركة وادي لكه، ومعركة البحيرة، ومعركة وادي البرباط - أو معركة شريش- أو معركة شذونه، وجميعها تقع في كورة شذونه(٣). وتباينت المصادر العربية حول مصير لذريق، فمنها من قال أنه قُتل(٤)، ومنها من قال أنه لم يُعثر له

---

(١) القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص٧١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٣٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، م٤، ط١، ص١١؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق حسان عباس، دار الثقافة، بيروت، م٥، ص٣٢٠. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص٨٥؛ القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص٧٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٧؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٥٨-٢٥٩؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ١٩٨٠، ص٢٣٥-٢٣٦. وسيشار اليه فيما بعد: مؤنس، معالم تاريخ المغرب.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص٧٧؛ ابن قتيبة، الإمامة، ص١٢٢-١٢٤؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص٤٦٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٦١؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٣٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص٤١١؛ ابن عذري، البيان المغرب، ج٢، ص٧، (ولا يقطع ابن عذاري بموت لذريق، حيث يقول: "ولم يعرف للذريق موضع، ولا وجدت له جثة، وإنما وُجد له خف مفضض، فقالوا: إنه غرق، وقالوا إنه قتل، والله أعلم")؛ ابن حبيب، مبتدأ خلق الدنيا، ص٢٢٢؛ العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، (رواية بقي بن مخلد)، تحقيق: سهيل زكار، ق١، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٧، ص٤٠٤. وسيشار له فيما بعد: العصفري، تاريخ خليفة.

على أثر – إلا خفه وفرسه الأبيض-(١)، ويتوقع أنه غرق في نهر الوادي الكبير(٢)، وهناك من قال أنه جُرح ولم يُعرف مصيره(٣)، ومن المصادر من رأى أنه أثقل نفسه بالسلاح ورمى بنفسه في وادي لكّة ولم يُعثر عليه(٤). وهناك خبر ابن الشبّاط الذي قال إنه أفلت من المعركة الأولى إلى المكان الذي يُقال له السواقي(٥).

وعلى الرغم من عدم وجود تقديرات صحيحة لعدد البربر الذين دخلوا الأندلس، إلا أن المرجح أنه كان كبيراً، وربما فاق عدد العرب الذين دخلوها في حملتي طارق وموسى(٦).

ويذهب الدكتور حتامله في تفسيره لمجموعة البرابرة التي شاركت في الفتح مع طارق ابن زياد وموسى بن نصير لفتح شبه الجزيرة الإيبيرية، على أن هؤلاء هم من أصلاب عربية، بعد استقرار العرب في شمالي افريقية ما يقارب ثلاثة وسبعين عاماً، وهؤلاء الأبناء هم الذين حملوا راية الفتح الإسلامي لفتح شبه الجزيرة الإيبيرية(٧).

وقد اختار البربر أماكن سكنهم في المناطق الجبلية المشابهة للمناطق الأصلية التي جاؤوا منها في شمالي إفريقية.

ففي الشمال: تمتد مناطقهم من جبال البرت الى الأراضي التي تشمل كلاً من لارده (larida) ، ووشقه (Huesca)، ثم مجرى وادي نهر ايبره (Ebro)الى مصابه، ومناطق جليقية (Galicia) ، واستورقه (Astorga)، واشتريس (Asturias)، وخيخون (Gijon)، وشرطانيه (Cerretania)، والمناطق التي تشمل وادي الحجارة، ومدينة سالم، ووبذه، وقلعة أيوب وشنتبريه، وتيروال، وأوريه(٨).

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩، (ذكر أنه لم يسمع له خبر، ولم يعثر عليه حياً أو ميتاً).
(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٦٢-٥٦٣.
(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٥٨.
(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧.
(٥) ابن الشبّاط، وصف الأندلس، م١٤، ص١٠٧.
(٦) المقري، نفح الطيب (رواية الرازي)، ص٢٥٩-٢٦٠.
(٧) قال تعالى: "وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث وربع، فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، ذلك أدنى ألاّ تعولوا". النساء: ٣
(٨) مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣١؛ مجهول، مفاخر البربر، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٧، ص٦٠. وسيشار له فيما بعد: مجهول، مفاخر البربر؛ ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٥٠١.

أما في **الجنوب**، فقد كانت مراكز استقرارهم الرئيسية في الجزيرة الخضراء، وشذونه، واشبيليه، وقرطبه، وجيان، والبيره، ورنده، ونبله، وشقنده، وقادش، واستجه ومرشانه(١).

وفي **الشرق**، كانت مناطق استقرارهم في بلنسيه، وتدمير (مرسيه)، وقسطليون، ولقنت، ومنطقة شاطبه(٢)، في حين كانت مراكز استقرارهم في **الغرب** في الأقاليم التي عُرفت في المصادر العربية باسم الجوف(٣). ولكثرتهم في هذه المنطقة، نجد ابن حيان يطلق عليها اسم بلاد البربر فيقول "ارض الجوف بلاد البربر"(٤)، وكذلك في منطقتي مارده ومدلين، اللتين تقعان على ضاف نهر وادي آنه، وقوريه ولجدانيه، وشنترين بالقرب من مصب نهر تاجه، ولشبونه، وقلمرية وبطليوس(٥).

أما في **الوسط**، فتمتد مناطق استقرارهم عبر وديان نهر تاجه Tajo من شمال طليطله وطلبيره إلى وادي آنه في الجنوب، وفي منطقتي طليطلة وطلبيره. وكانت جبال المعدن مأهولة

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص٣٥٤؛ ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٤٩٩-٥٠٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٠؛ مجهول، مفاخر البربر، ص٦٣، ٧٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٩، ٢٥٦، ٢٨٦؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص١٠١.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص٣٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٦٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٠، ٥٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٦٨.

(٣) استخدمت كلمة (الجوف) في المصادر العربية بشكل عام لتشير إلى الشمال. انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٤٧.

ولكن مصطلح (الجوف) هنا يقابل (استرا مادورا Extremadura) الحديثة، وهي منطقة غربي اسبانيا، وتشمل محافظتي القصر (Caceres) وبطليوس (Badajoz). انظر: عبد الواحد ذنون طه، استقرار القبائل، مجلة أوراق، ع٤، ١٩٨١، ص٤٢. يضاف إلى ذلك أن ياقوت الحموي يعتبر الجوف جزءاً من منطقة أكشونبه (Ocsonoba) جنوبي البرتغال الحالية. أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٨٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس، نشر انطونيا، ص١٣٩.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧؛ البكري، المسالك والممالك، ص٦٣؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٦٣، ٦٤٠-٦٤٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٦٤؛ ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٥٠١.

بالبربر.التي تقع الى الجنوب من وادي نهر آنه، وفي منطقة قلعة رباح(١).

وينتمي البربر * الذين دخلوا الأندلس الى قبائل البرانس، والبتر، ومصموده، وهواره، ونفزه، وزناته، ومكناسه ومطغره(٢).

حيث استقرت قبائل البرانس في الجنوب في الجزيرة الخضراء، وكان لهم فيها اقليم يسمى اقليم البربر(٣)، وكانت أعدادهم تفوق أعداد العرب. كما استقر هؤلاء في شذونه، واشبيلية، وقرطبة، ورنده، وجيان والبيره(٤).

أما قبيلة مغيلة فقد استقرت في اقليم سمي باسمهم في كورة شذونه(٥). في حين استقرت قبيلة هواره بالقرب من جيان، وكان لهم حصن يدعى حصن الهواريين(٦). وقد استقرت قبيلة لمايه البترية في إقليم لماية –نسبةً لها– في ريه (٧).

كما استقرت مجموعات كبيرة من قبائل البربر من مصموده ونفزه في المنطقة المحيطة بمدينة رنده، التي كانت تُعرف باسم تاكرنا(٨).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر انطونيا، ص٢٩٢، تحقيق مكي، ص٣٣٠- ٣٣١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٦٥؛ مجهول، مفاخر البربر، ص٧٩.

* البربر الموجودون في الأندلس وبلاد المغرب صنفان: صنف يقال لهم: البتر، وصنف يقال هم: البرانس، فنفرة ومكناسة وهوارة ومديونة من البتر. وكتامة وزناتة ومصمودة ومليلة وصنهاجة من البرانس. انظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٦.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص١٢٠.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص٣٥٤.

(٤) مجهول، مفاخر البربر، ص٦٣، ٧٨؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٠، ٥٦.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٣؛ ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٤٩٩؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٣٦.

(٦) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢١؛ الاسطخري، المسالك والممالك، ص٣٦.

(٧) ريه: كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء، ولها من الأقاليم نحو ثلاثين كورة، انظر: الحموي، معجم البلدان، م٣، ص١١٦.

(٨) تاكرنا: مدينة بالأندلس قرب استجه، واقليم تاكرنا تابع لإقليم استجه، ومن مدنها رنده. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص١٢٩؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٤.

أما الوسط، فقد استقرت فيه قبائل البرانس - وكانت جبال المعدن تدعى بجبال البرانس لأن غالبية سكانها من هؤلاء البربر-(١). وفي **الشمال** استقرت مجموعات كبيرة من قبائل البربر مثل زواغه، وهواره، وصنهاجه، ومكناسه في منطقة سرقسطه(٢).-كما استقرت جماعات من مغيله، ومصموده في منطقة وادي الحجارة، وشنتبريه، ووبذه ومدينة سالم(٣). كما استقرت جماعات من هواره في منطقة شنتبرية بقيادة السمح بن ورد -حيقن الهواري- وهو الجد الأعلى لبني ذي النون الذين حكموا طليطلة في عصر الطوائف(٤). واستقرت قبيلة مكناسه في الشمال، حيث كانت المنطقة التي استقروا بها تسمى باسمهم -مكناسة- والتي تقع على ضفة نهر الابرو(٥).

وفي **الشرق** استقرت قبيلة نفزه في منطقة شاطبه، وكانت كثيرة العدد، وينتمي إلى هذه القبيلة بنو عميره، وبنو ملهان، وبنو غزلون. وهناك موقع في شاطبه ما زال يُعرف حتى الآن باسم (Nifzies) (٦).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٣١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٤٢.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٣؛ مجهول، مفاخر البربر، ص٨٠.

(٣) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٤٩٩-٥٠١؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٤٤.

(٤) دخل السمح بن ورد الأندلس زمن الفتح، واستقر هو وأتباعه منطقة شنتبرية. وقد لعب أحفاده بنو ذي النون دوراً مهماً في المنطقة، وشيّدوا الحصون مثل وبذه وإقليش (Ucles) ولبه. وقد جعلوا طليطلة - بعد استيلائهم عليها - عاصمة لهم. كما أسسوا سلالة مستقلة حكمت هذه المدينة في عهد الطوائف (٤٢٧-٤٧٨هـ/١٠٣٦-١٠٨٥م). انظر: العذري، ترصيع الأخبار ص٤-١٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٤٩-٥٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٩٠.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩؛ ذنون، استقرار القبائل، مجلة أوراق، ع٤، ١٩٨١، ص٤٤.

واستقرت جماعات من زناته في بلنسيه (Valencia) ، ومرسيه (Murcia)، ولقنت (Alicante)، وكان أحد أقاليم بلنسية يسمى باقليم زناته- نسبة اليها-(١).

وقد كانت بعض القبائل البربرية تشترك مع بعضها في سُكنى بعض المناطق، فقد استقرت جماعات من قبائل البتر والبرانس في منطقتي بلنسيه وتدمير (مرسيه)(٢).

وقد استقرت بعض القبائل البربرية خاصة التي تنتمي إلى مصموده، ومكناسه، وهواره وكتامه المناطق الغربية من شبه الجزيرة الإيبيرية(٣). فبنو دانس - من مصموده - استقروا في الأجزاء الجنوبية من البرتغال وتحديداً في قصر نُسب اليهم يُعرف باسم قصر أبي دانس(٤). كما استقرت جماعات تنتمي إلى مصمودة ومكناسة في قورية* ولجدانيه(٥). وأقامت جماعات من نفزه ومديونه في حصن يدعى - حصن ام جعفر -، يقع في كورة مارده في الجنوب(٦).

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٠.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص٣٥٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٠-٥٦؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٠.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٢، ص٢٨٩.

(٤) ابن حزم، أنساب العرب، ص٥٠١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٧٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٦١-١٦٢.

* قورية: بالضم ثم السكون، والراء مكسورة، وياء خفيفة: مدينة من نواحي ماردة بالأندلس، بينها وبين قنطرة السيف مرحلتان، ولها سور منيع. الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٥؛ الحموي، معجم البلدان، ص٤١٢.

(٥) أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي جمال الدين، تقويم البلدان، طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ مسيحية، ص١٨٤-١٨٥، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: أبو الفداء، تقويم البلدان.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٠؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٠.

٢ - الشاميون:

قام موسى بن نصير - بعد أن فتح غرب الأندلس إلى أقصى أكشونبة - بقسمة الأراضي بين الجيوش التي دخلتها، كما قسم بينهم سبيها ومغانمها بعد أن أخرج الخُمس، وتركه في يد بعض المسلمين من أجل تعميره لصالح بيت المال، وقد عرف هؤلاء بالأخماس، وسمي أولادهم (بني الأخماس)(١).

أما سائر النصارى الذين كانوا في المعاقل المنيعة والثغور أو في مناطقهم فقد أقرهم موسى على أموالهم ودينهم لقاء دفع الجزية، وسميت الأراضي التي ظلّت بحوزتهم بأرض الشمل أو أرض الصلح(٢).

وعندما ولي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخلافة (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م) عيّن على الأندلس السمح بن مالك الخولاني، وذلك سنة ١٠٠هـ / ٧١٩م، ودخل السمح الأندلس ومعه جيش من العرب، وقد أراد هؤلاء الداخلون الجدد النزول مع الأولين ومشاركتهم في أرضهم وأموالهم فرفضوا، وتوجهت طائفة منهم إلى عمر بن عبد العزيز يشكون ويهددون بإخلاء الأندلس، وأخبروه بما قام به موسى بن نصير، حيث قسّم الأراضي بعد خراج الخُمس، وبأن الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م) أقرّهم على ذلك. وعندئذ وافق الخليفة عمر بن عبدالعزيز على ما أقرّه الوليد، وكتب إلى السمح بن مالك الخولاني يأمره بأن يقطع الجند الذين دخلوا معه من أراضي الأخماس خُمس الخلافة. وقد أصبح هذا الإجراء مثلاً يحتذى لإسكات من دخل الأندلس من العرب فيما بعد(٣).

---

(١) الرسالة الشريفية، ص٢٠٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٩٩.

(٣) الرسالة الشريفية، ص٢٠٧-٢٠٨؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٨.

ثم أمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز عام ١٠٠هـ / ٧١٩م عامله السمح أن يخمّس ما بقي من ارض الأندلس وعقارها، وأن يكتب إليه بصفتها(١)، وكان رأيه أن يعود أهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين(٢). فميّز السمح أرض العنوة من أرض الصلح، وخرجت من الخمس البطحاء المعروفة بالربض(٣).

وعندما أتم السمح ذلك أخبر الخليفة بما فعل، وبأن أهل الأرض التي فتحت صلحاً صالحوه على الجزية مع أجزاء من الأرض، بلغت ثلثها وربعها وذلك حسب خصوبتها(٤). كما

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م١، ص٢٥٧؛ الرسالة الشريفية، ص٢١٠-٢١١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٢-٢٣؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٣٥ "روى أحمد الرازي في تاريخه في صحة تخميس الأندلس أن الخلفاء من بني أمية إذا وردت عليهم الجبابات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال من وجوه رجالها وخيارهم، فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم، حتى يحلف الوفد بالله الذي لا إله إلا هو، ما فيها دينار ولا درهم أخذ إلا بحقه،...، قال: فأتى وفد افريقيا بخراجها في آخر أيام سليمان (بن عبدالملك)، قال: فلما أُمروا أن يحلفوا حلف ثمانية، وأنكر رجلان وهما: اسماعيل بن عبيدالله مولى بني مخزوم، والسمح بن مالك الخولاني، فأعجب عمر بن عبدالعزيز بهما، فلما ولي الخلافة ضمهما إلى نفسه، فولّى اسماعيل افريقيا، وولى السمح الأندلس" انظر: الرسالة الشريفية، ص٢١٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٢- ٢٣.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٢-٢٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦؛ الرسالة الشريفية، ص٢١٠-٢١١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٢-٢٣ "حيث أمر الخليفة عمر أن يُتخذ بها مقبرة للمسلمين".

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٢-٢٣.

كتب إليه يعرفه بقوة الإسلام، وكثرة مدائنهم، وشرف معاقلهم(١).

وعندما توفي الخليفة عمر بن عبدالعزيز (١٠١هـ/ ٧١٩م)، وكذلك عامله السمح بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ/ ٧١٩-٧٢١م) الذي استشهد في معركة قرب طولوشه* عام ١٠٢هـ/ ٧٢١م توقفت عملية تقسيم الأرض في الأندلس، وظلّت وضعية الأرض، وسيادة البلديين من عرب وبربر عليها دون تغيير حتى وصل الشاميون في ولاية أبي الخطار الكلبي(٢).

وقد مهد لدخول أبي الخطار إلى الأندلس ما وقع فيها وفي شمالي افريقية من أحداث تمثلت في ثورة البربر وتمردهم أثناء خلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٣م)، فقد بعث الخليفة هشام كلثوم بن عياض إلى افريقية على رأس جيش من أهل الشام مؤلف من اثني عشر ألفاً، وأمر عمّاله على مصر وطرابلس وبرقة أن يخرجوا معه، وكان على طلائعه ابن عمه بلج بن بشر القشيري(٣).

وتجمع لديه جيش بلغ عدده ثلاثين ألفاً: عشرة آلاف من بني أمية، وعشرين ألفاً من العرب الآخرين. وقد دارت بينه وبين البربر معركة وقعت عند بليدة بقدوره علىمقربة من طنجة في مكان يعرف بوادي نهر سبو سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م وقد انهزم في هذه المعركة أهل الشام، وقتل كلثوم وعدد من قواده. وانهزم أهل افريقية، وركب من نجا من عرب شمالي افريقية منهزماً إلى القيروان ومصر، وتبعهم البربر يقتلونهم ويأسرونهم. ونجا بعض الشاميين من هذه المعركة، فتوجهوا إلى الغرب بقيادة بلج بن بشر، ودخلوا سبتة وتحصنوا فيها، إلا أن البربر حاصروهم حصاراً شديداً حتى شارفوا على الهلاك جوعاً، وكان عددهم نحو عشرة آلاف(٤).

وأثناء الحصار كاتب بلج، عبدالملك بن قطن الفهري أمير الأندلس وطلب منه أن يدخله ومن معه من الشاميين إلى الأندلس فلم يأمنهم عبدالملك، وماطلهم وذلك لخشيته من أن يبعده بلج ابن بشر عن الولاية، ولخشية البلديين على الأرض التي افتتحوها واعتبروها ملكاً لهم(٥).

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩؛ مجهول أخبار مجموعة، ص٢٢-٢٣.

* تذكر بعض المصادر العربية، أنه قُتل في طرسونه من أرض الأندلس (شمالي تطيله من اقليم أرغونه)، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٥؛ بينما يذكر المقري أنه استشهد غازياً بأرض افرنجه، (المقري، نفح الطيب، م١، ص٢١٩) في بلدة طرسكونه على مقربة من طولوشه عند مصب الرون، في موقعة بينه وبين دوق اكويتانيه، مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٤٦.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٣٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٥٤، ج٢، ص٣٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٠-٣١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٥٤-٥٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٠-٣١؛ القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص ١١٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٥٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٧-٣٨؛ القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص١١٣.

غير أن عبد الملك اضطر إلى تغيير رأيه عندما ثار البربر في الأندلس ضد العرب تضامناً مع بربر شمالي افريقية، وسمح للشاميين بالدخول إلى الأندلس على أن يقيموا فيها لمدة سنة واحدة، ثم يخرجوا بعد القضاء على ثورة البربر، فدخلها بشر ومن معه(١).

وعندما حلّ الشاميون بالجزيرة الخضراء سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م اجتمع بهم عبدالملك بن قطن الفهري، وقاتلوا البربر معاً فهزموهم في شذونة وقرطبة وطليطلة، وقضوا على كثيرين منهم، وانتصروا عليهم. وبعد أن استتب الأمر قام صراع مرير بين المستقرين الأوائل أو البلديين وبين الشاميين الذين سمتهم بعض المصادر (**الطالعة البلجية**)، حيث طالب البلديون الشاميين بالخروج عن بلدهم الذي فتحوه، ودارت بينهم الحروب إلى أن وصل إلى الأندلس وال جديد هو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م(٢).

وقد قدم أبو الخطار من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية (١٢٤-١٢٧هـ/ ٧٤١-٧٤٤م)*، فدانت له الأندلس، وكثر أهل الشام عنده، ولم تحملهم قرطبة(٣). فأشار أرطباس قومس*** أهل الذمة**

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠-٣١، ج١، ص٥٦؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢؛ ابن الخطيب؛ الإحاطة، م١، ص١٠٧-١٠٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٨-٣٩.

(٢) ابن عذاري، ابيان المغرب، ج٢، ص٣٠-٣١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٧-١٠٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٨-٤٠.

* كانت الأندلس عقب الفتح تعتبر ولاية تابعة لإفريقيا من الناحية الإدارية، ووالي افريقيا هو الذي يختار حاكمها، وقد استمر ذلك حتى عصر الولاة.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٧-١٠٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، نشر دي كونثاليت، ص٣٥.

** ارطباس: هو الأسقف أمباس أخو الملك وتيزا، وكان قد تحالف مع العرب منذ الفتح فعيّنوه حاكماً لطليطلة، ورئيساً للنصارى الذين انضموا تحت لواء الفاتحين. ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٩.

*** المقوس: تعريب لكلمة (Comes) اللاتينية، وتعني: الزعيم أو الرئيس. وقد أنشأ المسلمون منذ الفتح منصب (المقوس) ليتزعّم النصارى في القواعد الأندلسية، ثم تطور المنصب حتى غدا منصباً دينياً يتولاه أسقف أو مطران للنصارى يرعى شؤونهم الروحية.

==

ومستخرج خراجهم لأمراء المسلمين، أشار على أبي الخطار بتفريق القبائل الشامية على الأندلس، وإنزالهم بالكور المشابهة لمنازلهم في الشام، ففعل ذلك علىاختيار منهم(١). وأنزل جند دمشق البيرة* (Elvira)، (Illibera) لشبهها بها، وسماها: (دمشق)(٢).

وأنزل جند حمص اشبيلة** وسمّاها: (حمص)، لشبهها بها(٣) ، كما أسكنهم

== والقومس: جمعها قوامس، وقد كانت هذه الكلمة في الأصل تعني: نديم الملك، وربما أطلقت فيما بعد على وجوه القوم، وقد تطور هذا اللفظ في اللغات الأوروبية، حيث نجد اليوم في الاسبانية (Conde)، وفي الانجليزية (Count)، وفي الإيطالية (Conte)، وفي الفرنسية (Comte) وكلها بمعنى حاكم منطقة متمتع باستقلال محدود، أو بمعنى الرجل الشريف. وكان استعمال كلمة (قومس) مألوفاً عند الأندلسيين. انظر: البكري، جغرافية أوروبا والأندلس من كتاب المسالك والممالك، ط١، ص٩٩.

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٩.

* البيرة: ويسميها بعضهم: يلبيرة، وهي كورة كبيرة من الأندلس، ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلاً، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار. وفيها عدة مدن، منها: قسطيلية وغرناطة وغيرهما، وفي أراضيها من المعادن: الذهب والفضة والحديد والنحاس والتوتيا، وينسب إليها كثيرون من أهل العلم، مثل: أسد بن عبدالرحمن الألبيري الأندلسي، والي قضائها، الذي روى عن الأوزاعي. انظر: الحموي، معجم البلدان، م١، ص٢٤٤.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. مكي، ص٢٤٩؛ الأنصاري، شمس الدين أبو عبدالله محمد الأنصاري الصوفي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣، طبعة ليبزيخ، ١٩٢٣، ص٢٤٢. وسيشار له فيما بعد: الأنصاري، نخبة الدهر؛ ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٢٥٩؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٦٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٦؛ ابن اقوطية، أخبار افتتاح الأندلس، ص٤٤؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣.

** سميت بهذا الأسم لانبساط أرضها، فهي المدينة المنبسطة، وهذا هو معنى: اشبيلية. انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٥، وص ١٧١.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٩؛ ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٢٥٩؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٦٢؛ ابن حيان، المقتبس، ص٢٤٩؛ الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٤٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣.

كورة لبله(١)*.

وأنزل جند قنسرين في جيان**، وسمّاها: (قنسرين)(٢). وجند الأردن في ريه***، وهي مالقة، وسمّاها: (الأردن)(٣).

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٠؛ ابن الأبار، محلة السيراء، ج١، ص٦١؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣.

* لبلة: بفتح ثم سكون قصبة كورة كبيرة بالأندلس، يتصل عملها بعمل اكشونبة، وتقع شرقها وغرب قرطبة، وبينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة أيام (أربعة وأربعون فرسخاً)، وهي برية بحرية كثيرة التمر والزرع والشجر، ولها مدن، وتعرف لبلة بـ (الحمراء)، وتجلب منها الجنطيان (من عقاقير العطارين).
انظر: الحموي، معجم البلدان، م٥، ص١٠.

** جيان Jaen: مدينة تقع شرق قرطبة وتبعد عنها نحو كيلو متر، وتبعد عن غرناطة إلى الشمال بمثل هذه المسافة. انظر: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص٤٦؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. مكي، ص٣٠٧.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٥٩-٢٦٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٦١-٦٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. مكي، ص ٢٥٠؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣؛ الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٤٤؛ ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطابع بريل، ١٨٩١م، م٧، ص٣٥٥. وسيشار له فيما بعد: ابن رسته، الأعلاق النفيسة.

*** ريه (بفتح أوله وتشديد ثانيه): كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء. وهي قبلي قرطبة، كثيرة الخيرات، لها مدن وحصون، ولها من الأقاليم نحو ثلاثين كوره. وفيها عين حارّة وماء بارد، فهي من أفضل حمامات الأندلس. انظر: الحموي، معجم البلدان، م٣، ص١١٦.
ومالقه (بفتح اللام والقاف): مدينة عامرة من أعمال ريه، سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، قال الحميدي: "هي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق"، وقد كانت مدينة قديمة ثم عمرت وازدهرت. انظر: الحموي، معجم البلدان، م٥، ص٤٣.

(٣) ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٢٥٩-٢٦٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٦١-٦٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. مكي، ص٢٥٠؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، م٧، ص٣٥٥؛ الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٤٤.

وأنزل جند فلسطين شذونه* (وهي شريش)، وسماها (فلسطين)، وكذلك استقر بعضهم في الجزيرة الخضراء(١)**.

وأما جند مصر فقد قسّموا قسمين، أحدهما استقر في كورتي أكشونبه (Faro Ossonaba) وباجة، والقسم الثاني استقر في كورة تدمير (مرسية Murcia)***(٢).

ويُستدل من التقسيمات السابقة على أن الأندلس كانت في ذلك الوقت المبكر مقسّمة إلى كور**** محددة وواضحة تميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة تيسيراً لضبط الأمن وربط

---

* شذونه (بفتح أوله): مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس. وهي منحرفة عن موزور إلى الغرب مائلة إلى القبلة. وينسب إليها قاضي شذونة المحدث المشهور: خلف بن حامد بن الفرج بن كنانة الكناني الشذوني. انظر: الحموي، معجم البلدان، م٣، ص٣٢٩.

(١) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٥٩-٢٦٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٦١-٦٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. مكي، ص٢٥؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، م٧، ص٣٥٥؛ الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٤٤؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣.

** الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس، تقع قبالة سبته، وأعمالها متصلة بأعمال شذونه، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة، وسورها يضرب به ماء البحر، ولا يحيط بها البحر كما توحي التسمية. ويعتبر مرساها من أجود المراسي، وهي أقرب من البحر، وبينهما ثمانية عشر ميلاً، وبينها وبين قرطبة خمسة وخمسون فرسخاً، وتقع على نهر برباط. انظر: الحموي، معجم البلدان، م٢، ص١٣٦.

*** تدمير: سميت بهذا الإسم نسبة إلى الملك الذي كان يحكمها في أيام الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وهو Teodomiro ، وهي كورة نزلها جند مصر، وانتقلت عاصمتها أيام عبدالرحمن بن الحكم إلى مدينة مرسية وذلك سنة (٢١٠هـ/ ٨٢٥م).
انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. مكي، ص٢٤٩.

**** الكور: جمع كورة ويتبع كل كورة عدة مدن ويتبع المدينة عدة أقاليم (قرى كبيرة) ثم أجزاء / مزارع أو أرياف)، مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٨٥ وما بعدها.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٦١؛ الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٤٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣؛ ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٦٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣.

المال(١). وقد ظلّ هذا التقسيم كما هو حتى آخر أيام الخلافة. وعرفت هذه الكُور بالكور المجندة، وتقع جميعها على الوادي الكبير أو جنوبه أو في مستواه، وقد تكون معظم جنوبي شبه الجزيرة(٢).

ومن الجدير بالذكر أن هذه الكور جُندت على نظام أجناد الشام، مع أن أجناد الشام لم تكن كوراً ككور مصر مثلاً، وإنما كانت مناطق عسكرية أطلق على كل منها لفظ (الكورة) فيما بعد. ويبدو أن هذا النظام، أي نظام الكور، فيما يتصل بنواحي الجنوب، عمّم منذ أيام عبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦ - ٧٨٩م)، أما نواحي الثغور* فقد ظلّت مدناً عسكرية ذات أحواز حتى نهاية أيام الخلافة(٣)، ولعل من أسباب ذلك أن الأراضي الواقعة جنوب نهر شنيل، وعلى طول حوض الوادي الكبير وفروعه، وفي إقليم اشبيلية وقرمونه، ونواحي لبله وأونبه وقرطبة وغرناطه واستجّه وجيان ولورقه وبسطة وشذونه، والممتدة من حوض الوادي الكبير إلى الشرق فيما يعرف بشرق الأندلس، وهي نواحي تدمير (مرسيه) ولقنت ومالقه(٤) قد فتحت عنوة، ولذلك تم توزيعها على المحاربين، وأعطيت لهم سجلات بتمليكها(٥).

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٥٤.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٦٢.

* **الثغور**، جمع: ثغر، ويعد كل موضع قريب من أرض العدو ثغراً، كأنها مأخوذة من الثغرة، وهي الفُرجة في الحائط ونحوه. وقد استعمل الأندلسيون اصطلاح: الثغور للدلالة على حدودهم المجاورة لأسبانيا المسيحية. انظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٩٤-٩٥. والثغور في الأندلس ثلاثة:

- **الثغر الأعلى**: ويشمل عاصمته سرقسطه، ويواجه هذا الثغر برشلونه ومملكة نافار (منطقة أرجون اليوم).
- **الثغر الأوسط**: ويشمل مملكتي ليون وقتشالة، وكانت عاصمته أول الأمر مدينة سالم، ثم استبدلت بها طليطلة.
- **الثغر الأدنى**: ويشمل المناطق الواقعة بين نهري دويره وتاجه.

انظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٩٥.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٧٧.

(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢١٧.

(٥) الرسالة الشريفية، ص٢٠٧-٢٠٨.

وأما الأراضي الواقعة شمال الوادي الكبير، والتي تشمل أراضي طليطلة وطلبيرة، وسرقسطه، وطرطوشه Tartosa، وطركونه Tarrgona، ومناطق قطلونيه Catoluna ولارده Lerida، ووشقه Huesca، وبرشلونه Barcelona، وأربونه Narbona، وصخرة آبنيون، وحصن لوذون على وادي رودنة، وإماية Amoya، وليون Leon، واسترقه Astorga وصخرة بلاي Pelayo، وخيخون Jijon على خليج بسكايه Vizcaya، وبعض اجزاء من جليقية واشتريس(١) فقد فتحت صلحاً، ورضي أهلها بدفع الجزية، والعيش بسلام في ظل حكم الفاتحين، الذين نزلوا في الأماكن غير المأهولة بالسكان بسبب هروب أصحابها من النبلاء ورجال الكنيسة، فقد تقاسموها على أساس نزول كل قوم فيما طاب لهم من الأرض(٢)، وزاولوا فيها الزراعة، وكانوا يؤدون العُشر للدولة(٣).

ومما يذكر هنا أن الشاميين الذين دخلوا الأندلس في بدايات الفتح سكنوا في مناطق مختلفة مع البلديين، وذلك قبل ترتيبات الإستقرار التي وضعها أبو الخطاز، وظلوا في هذه المناطق، ولذلك سموا بالشادة، لأنهم شذوا في أماكن استقرارهم عن بقية أخوانهم الشاميين(٤).

وقد كان الخليفة يقطع الأراضي لمن يشاء ومتى يشاء(٥)، وهذا الإقطاع صنفان: مدني وعسكري.

ومن الأمثلة على الإقطاع المدني ما قدّمه عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله لأبي علي القالي* عندما وفد عليه في قرطبة سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م، وما أقطعه أيضاً لأفراد أسرته(٦) مثل

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٤، ١٨؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٦٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٦٦؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٢٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥١؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٥٨.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ج١، ص٧٣.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٤٨٠.

* اسماعيل بن القاسم (أبو علي القالي)، اللغوي العراقي الأصل، مؤلف كتاب الأمالي، وفد إلى الأندلس سنة ٣٣٠هـ / ٩٤٢م في أيام عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله، فأكرمه وأحسن وفادته، وكان من رواد مجالس الحكم المستنصر فيما بعد، وله مكانته المرموقة في البلاد.

(٦) المصدر السابق، ص٤٨٠؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٦٤.

أم الحكم مرجان التي كانت تملك حقولاً واسعة عن طريق الإقطاع(١).

وأما الإقطاع العسكري فمن أمثلته ما قام به أبو الخطار الكلبي، حيث وزع ثلثي الأراضي والمزارع على الشاميين الذين شاركوا في فتحها، وأبقى الثلث الأخير في أيدي السكان المحليين الذين استمروا في الزراعة والعمل على ازدهار قراهم وأراضيهم(٢).

وهؤلاء السكان المحليون هم الذين أطلق عليهم (أهل الذمة)، وقد سمي الذين عاهدوا المسلمين منهم بالمعاهدين. أما اليهود فكانوا يسمون باليهود فقط، وأحياناً يسمون (الذميين)(٣).

والسكان المحليون هم أصحاب الأراضي الأصليون من المعاهدين واليهود، فقد بقوا في أراضيهم وجرى التعامل بينهم وبين الفاتحين بموجب شروط معاهدات معقودة بين الطرفين، وهذه الشروط بصورة عامة شملت أمرين: الأول أن يدفع هؤلاء جزية على رؤوسهم، والثاني خراجاً على أراضيهم، وكان على الأغلب جزءاً من غلّة الأرض يعادل الثلث حيناً، والربع حيناً آخر، حسب طيب الأرض وغلّتها(٤). وتنص هذه المعاهدات ايضاً، أن يدفع العبد نصف ما يدفعه الحُر(٥). ويقوم أشياخ من أهل الذمّة المعاهدين بجباية هذا الخراج وإعطائه للدولة(٦)، بينما النواحي التي نزل فيها الجنود الشاميون، فقد كان يقوم رئيس الجُند في كل كورة بجباية خراجها، ويحتفظ لنفسه ولجنوده بثلثه ويعطي ثلثيه الباقيين للدولة(٧).

ويلاحظ على تجمع العرب واستقرارهم في الأندلس أن التنظيم القبلي كان هو السائد، فقد استقرت كل قبيلة مع ما يتبعها من عشائر في مناطق خاصة بها، وهذا يعود – بطبيعة الحال – إلى أن الجيوش التي دخلت الأندلس كانت تتألف من مجموعات عديدة من القبائل التي انتظمت في معظم الأحيان تحت قيادة زعمائها، فكان من الطبيعي أن تتجمع وتستقر حسب هذا التنظيم القبلي. وهكذا نجد في الأندلس أماكن خاصة بكل قبيلة تسمى باسمها، مثل: احياء البكريين، أحياء اللخميين، وإقليم همدان، وإقليم بني أسد، وإقليم بني أوس، وإقليم بني كنانة، وغيرها(٨).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص١٣.

(٢) الرسالة الشريفية، ص٢٠٧-٢٠٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٢٩.

(٤) الرسالة الشريفية، ص٢١١؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٥٨.

(٥) انظر نص المعاهدة التي عقدها عبدالعزيز بن موسى بن نصير مع تدمير بن عبدوش سنة ٩٤هـ في: الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥٩.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ص١١٢-١١٣.

(٧) المصدر السابق.

(٨) عبد الواحد ذنون، الفتح والإستقرار، ص٢٠٣-٣٢٨.



ثالثاً- تأسيس الجيش:

لم تشكل طلائع الفتح الأولي جيشاً بالمعنى المعروف، وإنما كانت مجموعات قبلية، انطلقت بإمرة قادتها لفتح الأندلس، وانضم إليها وهي في طريقها إلى غايتها مجموعات أخرى وأفراد آخرون من هنا وهناك، من العرب والبربر.

وقد بدأت الملامح الأولى لجيش أندلسي منظم تظهر للعيان في تجنيد الأجناد على يد أبي الخطار الكلبي الذي وصل الأندلس سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م. وازدادت هذه الملامح وضوحاً عندما أُلزم الشاميون فقط بالخدمة في الجيش، والاستعداد للجهاد(١). وعندما أصبح الخليفة يعقد لهم الألوية. فقد كان يعقد للشاميين لواءين: لواء غازياً ولواء مقيماً، وكان رزق الغازي بلوائه مائتي دينار، بينما يظل المقيم بلا رزق ثلاثة أشهر حتى يعود اللواء الغازي ويخرج اللواء المقيم(٢). أما الجند وأقارب صاحب اللواء فكان الواحد منهم يرزق عشرة دنانير في نهاية كل غزوة، وكانوا مقابل هذه الخدمة الحربية المستمرة يعفون من أداء العُشر(٣). وكان صاحب اللواء يتعهد مع قائد الجيش المركزي بأن يكشف عمّن غزا حتى يستحق العطاء(٤).

وهكذا فإن هذه الترتيبات العسكرية التي أشار إليها ابن الخطيب وغيره، إنما تدل على أن الجيش أصبح مؤسساً وفق قواعد تنظيمية محددة. ومن هذه القواعد أنّ قيادة الجيش الشامي كانت تستعرضه قبل خروجه إلى القتال، ومن كان من الشاميين غازياً من غير بيوتات أصحاب الألوية ارتُزق خمسة دنانير عند انقضاء الغزو. أما البلديون فقد سقط عنهم التكليف العسكري، غير أنهم كانوا يستطيعون الإنخراط في ألوية خاصة بهم، ولا يقدر عطاء إلا لرؤسائهم أصحاب الألوية، إذ كان يكتفي المقاتلون منهم بما يحصلون عليه من الغنيمة(٥).

وكان البلديون أيضاً يعقد لهم لواءان، لواء غاز ولواء مقيم، وكان يرتزق الغازي بلوائه مائة دينار، وينتظر المقيم ستة أشهر حتى يصبح غازياً(٦).

وعرفت الأندلس في هذه الفترة قوات الاحتياط، فأهل البلاد الأصليون لم يكونوا ملزمين بالغزو، ولكن كان يتطوع منهم من يريد، ويقيد اسمه في سجلات العسكر، ولكنهم كانوا لا

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

يرزقون، شأنهم في ذلك شأن البربر والعرب البلديين، وكانت تؤلف منهم قوات احتياطية يستعين بها الحاكم إذا خرج الجيش للغزو(١).

وكانت هناك طائفة ثالثة يسمون: (النظراء) من الشاميين والبلديين يغزون كما يغزو أهل البلد من الفريقين(٢).

وكانت مراتب الشاميين في التقدم معروفة، فلواء جند دمشق (كورة إلبيره) يأتي ضمن أول الألوية في الميمنة، ويتبعه جند حمص (كورة اشبيلية) ومعهم أيضاً جند لبله، ويتبعهم جند قنسرين (كورة جيان)، ويأتي بعد هؤلاء في الترتيب جند فلسطين (كورتا شذونه والجزيرة الخضراء)، ويكونون في الميسرة، ويتبعهم لواء جندي الأردن (كورة ريه) ومصر (كورة باجه)(٣)*.

وكان عدد الشاميين ثمانية آلاف عربي، معهم ألفان من الموالي. وينتمي العرب إلى مختلف العشائر التي استقرت في إلبيره وما حولها واشبيلية وشذونة وريه وجيان، وغيرها من المناطق(٤).

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ص١٠٤-١٠٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٠٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ص١٠٤-١٠٥، مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٠٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٥٧-٩٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢١ و ص٣٦.

* ألغى عبدالرحمن الداخل جند باجه من الديوان، وحذف لواءه، وذلك بسبب تمرده بقيادة زعيمه العلاء بن مغيث اليحصبي. انظر: الروض المعطار، ص٣٦.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤١؛ العذري، ترصيح الأخبار، ص٩٠.

الفصل الثاني

قيام الدولة الأموية في الأندلس

الفصل الثاني

قيام الدولة الأموية في الأندلس

أدّت التدابير العسكرية التي اتخذها والي الأندلس أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)، بما في ذلك تجنيده الأجناد إلى استقرار البلاد وهدوئها، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، اذ ثارت النزعات القبلية والمنافسات على الحكم، ففي سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م قام الصُميل ابن حاتم الكلابي أحد زعماء القبائل المضرية(١)، الذي جاء إلى الأندلس في ذي القعدة سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م مع قوات بلج القشيري، ومعه ثوابة بن سلمة الجذامي، زعيم قبيلة جذام اليمنية، قاما بالإدعاء أن الأراضي التي أعطيت لقبائلهم غير كافية، مما أدى إلى اضطرام الأحقاد والمنافسات القبلية القديمة، وزحف ثوابة بإيعاز من الصميل إلى قرطبة حيث دارت بينه وبين أبي الخطار الكلبي في رجب سنة ١٢٧هـ/ سنة ٧٤٥م معركة في شدونه على ضفاف وادي لكه(٢) انتهت بهزيمة أبي الخطار الذي ما لبث أن قتل غيلة فيما بعد(٣).

وبعد ذلك نشب الخلاف بين اليمنية والمضرية على الإمارة، ثم اشتد هذا الخلاف متحولاً إلى معارك شديدة بين الطرفين، إلا أن زعماء القبائل اجتمعوا وتدارسوا الفتنة ومخاطرها، واتفقوا في نهاية الأمر على تولية يوسف بن عبدالرحمن بن نافع الفهري امارة الأندلس، وذلك سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م. وقد استهلّ يوسف حكمه بالعمل على إعادة الهدوء والاستقرار إلى البلاد، وقام بإصلاحات واسعة، إلا أن التنافس بين زعماء القبائل ثار مجدداً في أنحاء البلاد، وخاصة أن تولية يوسف الفهري على الأندلس عام ١٢٩هـ / ٧٤٦م كانت إجراءً مؤقتاً ريثما يعين الخليفة الأموي مروان بن محمد والياً على البلاد(٤). ومع ذلك تمكن يوسف

---

(١) هو الصميل بن حاتم بن شمر ذي الجوشن الكلابي، وجدّه شمر بن ذي الجوشن الذي اشترك في قتل الحسين بن علي في كربلاء، وقد قدم إلى الشام مع عائلته خشية الإنتقام منه، وكان الصميل من أشراف الشام الذين انتظموا في جيش بلج القشيري، وجاء معه إلى الأندلس. انظر: المقري، نفح الطيب (رواية ابن حيان) ج٢، ص٦٢؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ص٤٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٣٦.

(٣) المقري، نفح الطيب، نقلاً عن ابن حيان، ج٢، ص٦١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٩؛ المقري، نفح الطيب (رواية ابن حيان)، ج٢، ص٦٢.

الفهري من القضاء على معظم الزعماء الثانويين(١)، فقد قضى على عبدالرحمن بن علقمة اللخمي الذي ثار عليه بأربونه سنة ١٣٦هـ / ٧٥٤م، كما قضى على ثورة تميم بن معبد الذي ثار عليه سنة ١٣٦هـ / ٧٥٤م. وكان تميم قد اجتمع مع عامر بن عمرو بن وهب بسرقسطة سنة ١٣٧هـ / ٧٥٥م، فتولى محاربتهما الصميل بن حاتم. وفي سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م خرج إليهما يوسف الفهري بنفسه، وحاصرهما في سرقسطة، ثم ظفر بهما وقتلهما(٢).

وكان يوسف الفهري في طريقه إلى طليطلة للإجتماع مع حليفه الصميل بن حاتم عندما وصلته الأنباء بأن فتى من بني أمية يدعى عبدالرحمن بن معاوية دخل الأندلس، وكان ذلك سنة ١٣٨هـ / ٧٥٥م(٣).

وعبدالرحمن بن معاوية هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف(٤)، وقد لقب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من بني أمية، وتغلّب عليها(٥). كما عـُرف بعبد الرحمن الأول لأنه أول خمسة

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ص٥٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٣-٤٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٨.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٥٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٠.

(٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق د. أحمد كمال زكي، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ج٢٣، ص٣٥٠. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: النويري، نهاية الأرب؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٢؛ مجهول، ذكر فتح الأندلس، ج١، ص١٠٩؛ ابن عذاري، المغرب، ج٢، ص٤٧.

(٥) ابن خلدون، ق ٢، م٤، ص٢٦٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٧؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥؛ ص٢٣٥؛ المراكشي، المعجب، ط١، ص١٩. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني، تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإسحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢، بيروت، لبنان، آذار ١٩٥٦، دار المكشوف، ص ٢٣٥. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، أعمال الأعلام.

حكّام من أسرته في الأندلس اسم كل منهم عبدالرحمن(١). ويكنّى ابا مطرف وصقر قريش(٢).

وقد ولد عبدالرحمن في قرية تعرف بدير خنان من أعمال قنسرين* سنة ١١٣هـ / ٧٣١م(٣). وقيل كان مولده بالعلياء من أعمال تدمير(٤)، بينما يذكر الضبي أنه ولد بدير حنينا بالقرب من دمشق، وأن أمه أم ولد بربرية اسمها: راح أو رداح(٥)، أما ابن عذاري فيجعل مولده في موضع يعرف بدير حسينة من دمشق(٦). وأما المقري فيجعل مولده في دير حنا من أرض دمشق وقيل بالعليا من تدمير(٧).

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٦٤؛ ابن عبد ربه، الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، ج٥، دار الفكر، ص٢١٤، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن عبد ربه، العقد الفريد.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٩؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢١٤. وقد ذكرا "أن أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه: أخبروني من صقر قريش؟ قالوا: ذلك أمير المؤمنين الذي راض الملوك، وسكن الزلازل وأباد الأعداء وحسم الأدواء. قال: ما قلتم شيئاً. قالوا: فمعاوية. قال: لا. قالوا: فعبدالملك بن مروان. قال: ما قلتم شيئاً. قالوا: فمن يا أمير المؤمنين؟ قال: صقر قريش عبدالرحمن بن معاوية الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلداً أعجمياً، منفرداً بنفسه، فمصّر الأمصار، وجنّد الأجناد، ودوّن الدواوين، ونال ملكاً بعد انقطاعه...".

* قنسرين: بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده ثم سين مهملة: مدينة فتحها المسلمون على يد القائد أبي عبيدة عامر بن الجراح سنة ١٧هـ، بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٠٣.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٠.

(٤) المقري، نفح الطيب (برواية ابن خلدون)، م١، ص٣٣٣.

(٥) الضبي، بغية الملتمس، ص١٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٠٩؛ ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٢٦٩. ويذكر المراكشي "أن أمه راح البربرية من بني نفره في طرابلس". المراكشي، المعجب، ص١٦.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٧.

(٧) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٣٣.

وكان الأمير عبدالرحمن أصهب الشعر*، خفيف العارضين، في وجهه خال، نحيف الجسم، طويل القامة، له ضعيرتان، أعور، أخشم**(١). كما كان صاحب عزيمة متحمساً لا يركن إلى الحياة الهادئة الخاملة، تسيطر عليه أحلام المجد وهو ابن العشرين ربيعاً، فهيأ له القدر من المواهب والقدرات ما قلّ أن يتوافر لأحد من أقرانه(٢).

وكان عبدالرحمن بن معاوية قد فرّ إلى الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م، وتسلّم مدينة قرطبة حيث بويع بالإمارة وكان ذلك في ذي الحجة سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م(٣)، وبذلك انتهى عصر الولاة في الأندلس حيث كانت ولاية عربية تابعة للخلافة الأموية بدمشق، يحكمها وال يتبع أمير افريقية عبدالرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧-١٣٨هـ / ٧٤٥-٧٥٦م).

وقد امتد عصر الولاة منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الأموية في الأندلس، أي من سنة (٩٢-١٣٨هـ / ٧١١-٧٥٦م).

ويعتبر عهد عبدالرحمن الداخل بداية انبعاث الدولة الأموية في الأندلس وذلك بعد انهيارها في المشرق على يد العباسيين في جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ / كانون الثاني ٧٥٠م اثر مقتل مروان بن محمد أو مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية في المشرق، وذلك في معركة الزاب التي وقعت في تلك السنة(٤).

وقد وصل عبدالرحمن الداخل – بعد نجاته من مطارديه العباسيين – إلى المغرب، عن طريق فلسطين ومصر وبرقه، وكان والي افريقيا في ذلك الوقت عبدالرحمن بن حبيب الفهري(٥) الذي كان يتطلع إلى الاستقلال بافريقية عن الخلافة العباسية. ولذلك فإنه لم يرحب

---

* أصهب الشعر: في شعر رأسه حمرة أو شقرة.

** الأخشم: فاقد حاسة الشم.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٨؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٣٢.

(٢) بيضون، الدولة العربية، ص١٧١؛ ابراهيم ياس خضير الدوري، عبدالرحمن الداخل في الأندلس سياسته الداخلية والخارجية، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢، ص٢٩. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: ابراهيم الدوري، عبدالرحمن الداخل.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص٢١٤.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م١، ص٤٨٩؛ المراكشي، المعجب، ص١٧.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٤؛ المراكشي، المعجب، ص٧.

بقدوم عبدالرحمن، بل قام بقتل اللاجئين إليه من الأمويين ومصادرة أموالهم(١).

وعندما علم عبدالرحمن بما حدث للأمويين أصبح يتنقل بين القبائل متخفياً، وظل كذلك نحو أربع سنوات جاب خلالها المغربين الأوسط والأقصى(٢)، وانتهى به المطاف – في هذه المرحلة– عند أخواله قبيلة نفزة البربرية التي كانت تقيم قرب سبتة(٣).

وفي تلك الأثناء كانت الأندلس تمزقها الحرب الأهلية ما بين المضرية واليمنية، فاستغل عبدالرحمن الوضع فيها، وبعث مولاه بدراً إلى الأمويين المقيمين في الأندلس، وخاصة في جيان والبيره يخبرهم بأنه قرر الرحيل من افريقيا ليقيم مع موالي أسرته، طالباً معونتهم، واعداً إياهم بأرفع المناصب إن ساعدوه. وقد سلّم بدر الرسالة إلى عبيدالله بن عثمان وعبدالله بن خالد زعيمي(٤) جند دمشق، فطلب – وقد قررا مساعدة عبدالرحمن – من يوسف بن بخت، زعيم قنسرين، الانضمام إليهما. وقبل الإقدام علىأية خطوة استشار الزعماء الثلاثة الصميل بن حاتم(٥) بعد ان أطلعوه على مضمون رسالة عبدالرحمن، غير أن الصميل لم يعدهم بشيء في بداية الأمر، ثم وافق على أن يدخل الأندلس، ووعد بتأييده(٦). ولكنه بعد أن فكّر في الأمر خشي من مغبة ما وافق عليه، وعدل عن رأيه، وخاصة أنه من (المضريه) الذين تمتعوا بالمال والسلطان، ولا يرغب في أن ينازعهم أحد ذلك(٧). وعندئذ طلب موالي بني أمية المساعدة من اليمنيين المغلوبين على أمرهم، وأجّجوا صدورهم ضد القيسية، فوعدوهم بالمساندة(٨).

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، ص٢٦٢؛ المراكشي، المعجب، ص٧؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٤.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٥؛ المراكشي، المعجب، ص١٧؛ ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٦٢.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٥؛ ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٦٢؛ المراكشي، المعجب، ص١٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٢٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٠.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٧.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٨.

(٧) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٨-٦٩؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٤؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٤٩.

(٨) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٠.

وعندما أصبحت الفرصة مواتية لدخول عبدالرحمن إلى الأندلس(١) توجه بدر وثمامة ابن علقمة الثقفي ووهب بن الأصفر وشاكر بن أبي الأسمط ومعهم أحد عشر رجلاً آخرون إلى افريقيا(٢).

وكان عبدالرحمن في هذه الأثناء يقيم في مدينة مغيلة في طاعة ابن قرة المغيلي(٣)، فوصلوا إليه، وأبلغوه بطاعتهم، ودعوه للعبور إلى الأندلس ففعل، وقد أرسى مركبه في مدينة المنكب* في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م(٤).

وعندما وطئت قدم عبدالرحمن أرض الأندلس أقبل عليه عبدالله بن خالد وابن عثمان ونقلاه إلى قرية طرش** التابعة لكورة إلبيرة(٥)، حيث قلعة أبي عثمان التي اتخذها عبدالرحمن قاعدة له، ومقراً للقيادة العامة لجيشه.

وما أن استقر في القلعة حتى وفد عليه الأمويون وكثير من مواليهم(٦).

وعندما نمى خبره إلى والي الأندلس يوسف بن عبدالرحمن الفهري، وكان يحاصر سرقسطة (عام ١٣٨هـ / ٧٥٦م) التي اعتصم بها بعض أعدائه الثائرين عليه، شدّد الحصار

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٤.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٤-٧٥؛ ابن الأثير، م٥، ص٤٩٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٨٦.

* المنكب: بالضم ثم الفتح وتشديد الكاف وفتحها: بلد على ساحل الجزيرة من أعمال إلبيرة بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً. أنظر: الحموي، معجم البلدان، م٥، ص٢٢٦.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٥؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٤.

** طرش: بضم أوله وتشديد ثانيه وضمه أيضاً: قرية صغيرة، وأصبحت فيما بعد مدينة كبيرة تتبعها قرى عديدة، وهي الآن مركز إداري في مديرية مالقه، وتقع على بعد ٤٧ كم منها. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩. وابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٤٦.

(٥) عنان، دولة الإسلام، ج١، ص١٥٠؛ دوزي، رينهارت، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبش وآخرين، القاهرة ١٩٦٣، ص١٩٧. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٨.

فاستولى عليها، ثم قفل عائداً إلى طليطلة(١) ليبحث مع الصميل وسائل الرد على هذا الخطر، وخاصة أن الدعوة الأموية انتشرت في جنوبي الأندلس بسرعة كبيرة(٢)، والتف حول عبدالرحمن عدد من زعماء القبائل والجند، منهم: حسان بن مالك من زعماء اشبيلية، وجدار بن عمرو المذجحي من زعماء ريه، ويوسف بن بخت الذي أخذ له بيعة جند الأردن، وعبدالله بن خالد الذي أخذ له بيعة جند حمص وغيرهم(٣).

وقد أشار الصميل على يوسف بالخروج إلى عبدالرحمن بحملة كبيرة، إلا أن غالبية زعماء القيسية رفضوا الإشتراك في الحملة(٤). ومع ذلك خرج الصميل ويوسف ومعهما جماعة من القيسية وبعض المقاتلين من القبائل(٥)، ولكن طول السير أنهكهم، فطالبوا بالعودة إلى قرطبة متعللين بصعوبة الغزو في الشتاء، وخاصة في جبال ريه، على أن يعيدوا الكرة في وقت ملائم(٦). وعندما تبين ليوسف الفهري استحالة تنفيذ هذه الخطة مال إلى تاييد الراغبين في العودة، وأمر رجاله بالرجوع إلى قرطبة(٧).

أما عبدالرحمن الداخل فقد تجمّع حوله أنصاره، وخاصة جند الأردن في كورة ريّه بقيادة جدار بن عمرو، وجند فلسطين في شذونة بقيادة عبدالله بن خالد. كما انضم إليه سادة اشبيلية، ومنهم: أبو الصباح اليحصبي وحيوة بن ملامس الحضرمي اللذان ضمنا تأييد اليمنيين في أجناد الأردن وفلسطين وحمص. وأيده أيضاً البربر من موالي الأمويين، وهم بنو الخليع في تاكرنا الذين قدمهم عبدالرحمن بن عوسجة زعيم البربر في إقليم رنده، وقد كانوا من موالي يزيد بن عبدالملك، فأصبحوا في ولاء عبدالرحمن، وبذلك تجمّع حوله جيش من ثلاثة آلاف فارس، وعدد كبير من المشاة(٨).

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٦.
(٢) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٠؛ دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص٢٠٠.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٥.
(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٩.
(٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٧) مجهول أخبار مجموعة، ص٧٩؛ دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص٢٠١.
(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلسء، ص٢١-٢٢، ٢٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٣-٨٤؛ مجهول، فتخ الأندلس، ص٥٣-٥٤.

وعندما وصلت الصميل بن حاتم أخبار هذا التأييد الواسع لعبدالرحمن الداخل أشار على يوسف الفهري بأن يخدع عبدالرحمن ويوقع به قائلاً: "هو قريب عهد بزوال النعمة، فهو يغتنم ما تدعوه إليه، ثم أنت بعد ذلك متحكم فيه وفي الذين سعوا له بما تحب"(١). فاستجاب يوسف، وارسل إلى عبدالرحمن هدية، ووعده أن يزوجه ابنته، ويسكنه في جند دمشق أو جند الأردن أو بينهما، وأن يصير إليه أمر الكورتين(٢). كما وجه إليه كاتبه خالد بن يزيد ليعرف أخباره وأخبار من معه وأي جند عنده(٣).

ونقل وفد يوسف إلى عبدالرحمن رسالة جاء فيها: "أما بعد فقد انتهى إلينا نزولك بساحل المنكّب، وتأبّش من تأبّش إليك، ونزع نحوك من السّراق وأهل الختر والغدر ونقض الإيمان المؤكدة التي كذبوا الله فيها وكذّبونا، وبه - جلّ وعلا - نستعين عليهم، ولقد كانوا معنا في ذرى كنفٍ ورفاهية عيش، حتى غمطوا ذلك، واستبدلوا بالأمن خوفاً، وجنحوا إلى النقض، والله من ورائهم محيط. فإن كنت تريد المال وسعة الجناب، فأنا أولى لك، ممن لجأت إليه! أكنّفك وأصل رحمك، وأُنزلك معي إن أردت وبحيث تريد، ثم لك عهد الله وذمته في ألا أغدر بك، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب إفريقية ولا غيره"(٤). ولما فرغ من قراءة الرسالة قبل الهدايا على شرط أن ينزل يوسف عن الإمارة له ويبايعه، ورفض موضوع الزواج(٥).

وارسل الأمويون عندئذ إلى زعماء العرب والبربر يطلبون منهم الخروج على يوسف، فاستجاب اليمنيون، أما البربر فقد انحاز بعضهم إلى يوسف، وبعضهم الآخر إلى عبدالرحمن بن معاوية(٦)، الذي سعى إلى حشد قوات يعتمد عليها أكثر من اليمنيين الذين لم يظهروا تحمّساً له(٧)، فسار إلى اشبيلية حيث بايعه كبيرها أبو الصباح ابن يحيى اليحصبي زعيم اليمنية، وانضم إليه كثير من الأنصار والجند، بلغ عددهم زهاء ثلاثة آلاف فارس(٨). وذاعت دعوته

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥١.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٩.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٥-٤٦.

(٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) عنان، دولة الإسلام، ج١، ص١٥١؛ دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص٢٠٣.

(٧) دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، ص٢٠٣.

(٨) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٣؛ المقري نفح الطيب، م١، ص٣٢٨؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٤.

في غربي الأندلس كله.

وعندما رأى أنه يستطيع البدء بمحاربة يوسف الفهري، سار على رأس قواته إلى قرطبة، وكان الطرفان يتسابقان أيهما يصل إليها أولاً(١)، فقد خرج يوسف الفهري إلى المسارة*(٢) في ظاهر قرطبة من الغرب على ضفة نهر الوادي الكبير، وكان عبدالرحمن قد أشرف بجيشه على ضفة النهر الجنوبية في قرية تسمى بلة نوبة البحريين (Villanueva de los Bahrie's)**(٣) من اقليم طشانه من كورة اشبيلية. بينما يذهب صاحب أخبار مجموعة إلى تسميتها بـ قرية قلنبيرة*** من اقليم طشانة**** من كورة اشبيلة(٤).

وقام أصحاب عبدالرحمن فعقدوا له اللواء في هذه القرية بين شجرتي زيتون، وكان أول لواء يعقد في الدولة الأموية في الأندلس(٥).

والتقى الفريقان وجهاً لوجه، ولم يكن يفصلهما سوى نهر الوادي الكبير(٦)، وفي صباح

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٥.

* المسارة أو المصاره (Al Muzara) منطقة بجوار قرطبة في الجنوب الغربي على الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير، وكانت عدة أماكن في الأندلس تسمى بهذا الإسم، وغالباً ما يطلق على أماكن خالية واسعة بجوار المدن الكبيرة تستعمل للمناسبات العامة كصلاة العيدين أو الاستسقاء أو تتخذ ملاعب للفروسية. انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٤٩.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٦-٤٧.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٨-٤٩.

** نسبة إلى بنو بحر الذين ينتمون إلى قبيلة لخم، انظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٦.

*** قلنبيرة (Coinbra) وورد اسمها ايضاً قلنبيرية، وهي قرية صغيرة من مدن اقليم طشانه. انظر: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٦٣ (حاشية رقم ٥).

**** اقلم طشانة (Tocina) من أقاليم اشبيلية تقع في الشمال الشرقي منها، وشمال غربي قرمونه، على مقربة من جنوبي نهر الوادي الكبير. انظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص١١٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٠٨ (حاشية رقم ٢).

(٤) مجهول، اخبار مجموعة، ص٨٤.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٨-٤٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٤.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٤.

يوم الجمعة (١٠ ذي الحجة سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م) دفع عبدالرحمن بقواته عبر النهر(١)، ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة عرفت بمعركة (المسارة) هُزم فيها جيش يوسف، وقتل كثيرون من أفراده من القيسيين والفهريين(٢). وفرّ يوسف إلى طليطلة بينما فرّ الصميل باتجاه جيان(٣). ودخل عبد الرحمن بن معاوية وجنوده قرطبة دون معارضة، وصلى الجمعة في الجامع، ثم نزل بالقصر وبويع بالإمارة(٤)، وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة، وهو ابن ثمان وعشرين سنة(٥).

وقد كان يوم المسارة حاسماً في تاريخ الأندلس، وفاتحة عهد جديد في تاريخها، ولا يعني ذلك أن الأوضاع هدأت واستقرت بانتصار عبدالرحمن الداخل وتولّيه الإمارة، وإنما يعني أن كفاحه قد بدأ لإحياء دولة الإسلام في الأندلس، وبنائها بشكل موحّد ومتماسك كما كانت قبل أن تمزقها الحرب الأهلية.

لقد كانت الأندلس، في الوقت الذي انتصر فيه عبدالرحمن الداخل، يوم المسارة، تعاني من الفتن والثورات المشتعلة في كل ناحية، فقد انحلّت عُرى العصبية القديمة، وغدت كل قبيلة تلتف حول زعامتها لتحقق مصالحها الخاصة، وتأبى الخضوع لأي سلطة تبعدها عن تلك المصالح. وكان البربر عنصراً قوياً في الفتنة، لا تكاد تحين فرصة ملائمة، حتى يظهروا ما يبطنونه من بغض للعرب، كتموه في صدورهم منذ وقت طويل. وكان نصارى الشمال يتربصون بالأندلس، ويحشدون الحشود للإنقضاض على أطرافها، مستغلين تفرق أهلها وضعفهم. وكان على عبدالرحمن الداخل أن يواجه كل ذلك بقوة وحزم.

وأول مشكلة واجهها عبدالرحمن هي غضب اليمنيين الذين وقفوا إلى جانبه في موقعة

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٦-٤٧؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٨-٨٩.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٧؛ عنان، دولة الإسلام، ج١، ص١٥٢.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩١-٩٢.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٩١؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٧.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢١٤.

المسارّة عليه(١)، فقد نقم عليه هؤلاء لأنه لم يسمح لهم بنهب الأموال التي خلّفها يوسف الفهري وأنصاره المنهزمون، وخاصة أنه وعدهم بغنائم كثيرة(٢). ولم يقف الأمر بهم عند حد الغضب، بل حاولوا أن يثوروا عليه، غير أنهم عدلوا عن ذلك عندما انكشفت خطتهم، وبعد أن وعدهم عبدالرحمن بأن يسلك سبيل الخير في حكمه إياهم(٣).

وتمثّلت المشكلة الثانية التي واجهته في محاولة الصميل ويوسف الفهري استعادة ما كانوا يتمتعون به من نفوذ، فقد حشد كل منهما أنصاره، ثم سارا إلى جيان(٤)، وطردا عاملها الحصين بن الدجن ثم مشيا الى البيرة ففر عاملها جابر بن العلاء بن شهاب فاسرع عبدالرحمن الداخل إليهما تاركاً على قرطبة قائده أبا عثمان. وعندما علم يوسف بذلك أمر ابنه، واسمه عبدالرحمن أيضاً، بالزحف على قرطبة(٥)، فاقتحمها وأسر أبا عثمان، ودخل المدينة التي لم تجد قوات كافية لحمايتها. وقد وصل الخبر إلى عبدالرحمن الداخل، فعجّل بالمسير إلى يوسف والصميل، وحاصرهما في إلبيرة، وعندما شعرا بعدم جدوى مقاومته، عرضا عليه استعدادهما للإعتراف به(٦) على أن يؤمنهما في النفس والمال والأهل(٧). وأن يسمح لهما بسكنى قرطبة تحت رعايته ورقابته، فوافق شريطة أن يقدم يوسف ابنيه: عبدالرحمن ومحمداً أبا الأسود رهينتين لديه، يعتقلهما في قصره بقرطبة حتى تهدأ الأمور(٨). وتم هذا الصلح في سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م(٩). وقد نزل يوسف الفهري بشرقي قرطبة في قصر الحر الثقفي(١٠)، أحد

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٠-٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٣٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص٨؛ ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٢٦٤.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٠-٩١.

(٣) دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص٢١٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٥-١٥٦. مجهول، اخبار مجموعة، ص٩٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٢٩٥؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٢٩.

(٧) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٢٩٥؛ مجهول، اخبار مجموعة، ص٩٣.

(٨) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٤.

(٩) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٤؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٥.

(١٠) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٥؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٥.

الولاة السابقين، بينما نزل الصميل في داره بالربض، وعاملهما عبدالرحمن بعطف ولين، وكان يستشيرهما أحياناً في الأمور المهمة(١).

غير أن هذا الصلح لم يستمر طويلاً، فقد قام بعض أنصار يوسف بلومه على الاستسلام، وحرضوه على استعادة مركزه(٢)، وسلطته السابقة، فاستجاب لهم، إلا أنه لم يفلح في حمل الصميل والقيسية على مساعدته، بينما وعد بمساعدته أنصاره في ماردة وطليطلة، فسار قاصداً ماردة في سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م(٣).

وعندما علم عبدالرحمن بهروب يوسف لام الصميل على ذلك، وظن أنه شجعه، فوضعه في السجن هو وابنيه(٤).

واجتمع ليوسف الفهري نحو عشرين ألفاً زحف بهم من ماردة إلى إشبيلية، وكان يتولاها عبدالملك بن عمر بن مروان المعروف بالمرواني، فحاصره هناك(٥)، معتقداً أنه لن يجرؤ على مقاومته لقلة من معه من الجند(٦). ولكن عبدالملك طلب مدداً فجاءه بسرعة بقيادة ابنه عبدالله، ولما علم يوسف بذلك ارتدّ ليقضي على قوات اشبيلية(٧)، ثم وقعت بين الطرفين معارك طاحنة انتهت بهزيمة يوسف وفراره وقتل كثيرين من الفريقين(٨) وقد لجأ يوسف إلى طليطلة حيث حاول أن ينظم قواته مرة أخرى، ولكنه اغتيل، وحُمل رأسه إلى عبدالرحمن الداخل في قرطبة سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م(٩).

أما الصميل فقد توفي في سجنه في أواخر سنه ١٤٢هـ / ٧٥٩م (١٠). وكذلك فرّ محمد أبو الأسود بن يوسف الفهري من معتقله سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م، والتجأ إلى طليطلة وتحصّن

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٤.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٢٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٦.

(٥) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٢٩؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٩.

(٦) عنان، دولة الإسلام، ج١، ص١٥٦.

(٧) ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٩.

(٨) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٢٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٧؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٩.

(٩) ابن الإثير، الكامل، م٥، ص٤٩٩؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٢٩.

(١٠) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٤٩٩.

فيها، فأرسل إليه عبدالرحمن الداخل جيشاً بقيادة تمام بن علقمه، وعينه والياً على طليطلة؛ سنة١٤٢هـ/ ٧٥٩م فعمد إلى حصارها(١)، فاستسلم له أبو الأسود، وعندئذ أعاده تمام إلى قرطبة حيث سجن، ولكن ما لبث أن تمكن هو وأخوه الأصغر من الفرار إلى طليطلة(٢)، وبذلك تم التخلص منهما، إذ لم يعد لهما أنصار يخشاهم عبدالرحمن الداخل.

وهكذا استطاع عبدالرحمن الداخل أن يوحد الأندلس جغرافياً وسياسياً، وطوّع الزعامات العربية التي كانت وراء تفككها. كما استطاع خلال فترة حكمه التي استمرت نحو أربعة وثلاثين عاماً (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٦ - ٧٨٩م) أن يطور امارته في مختلف المجالات، وأن يهيء لها أجهزة مدنية وعسكرية منظمة على أحسن ما يكون التنظيم.

وقد اتبع الأمير عبدالرحمن الداخل سياسة متزنة في حكمه، فلم يعمد إلى تلقيب نفسه بألقاب الخلافة خوفاً من تعددها، وإنما اكتفى بالإمارة، وسمى نفسه ابن الخلائف، واستمر أعقابه من بعده يتلقبون بـ (أبناء الخلائف)(٣).

ومن الجدير بالذكر أن عصر الدولة الأموية في الأندلس يقسم إلى فترتين هما: الإمارة والخلافة.

وقد كانت الأندلس في الفترة الأولى امارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية من الناحية السياسية فقط، إذ كانت تابعة لها من الناحية الروحية، وتمتد هذه الفترة من سنة ١٣٨-٣١٧هـ / ٧٥٦-٩٢٩م.

وفي الفترة الثانية أصبحت الأندلس مستقلة تماماً عن الخلافة العباسية إن سياسياً أو روحياً، وقامت فيها خلافة أموية، وتمتد هذه الفترة من سنة ٣١٧-٤٢٣هـ / ٩٢٩-١٠٣١م.

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٧.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٧.

الفصل الثالث

بناء الجيش والأسطول الحربي

الفصل الثالث

بناء الجيش والأسطول الحربي

اولاً- بناء الجيش:

كانت الأداة الرئيسية التي حققت لعبدالرحمن الداخل انجازاته العظيمة هي الجيش، ولذلك اهتم بإنشائه ليكون عدته وسنده الذي يعتمد عليه في تثبيت حكمه(١). وقد بلغ الجيش في عهده مائة ألف(٢) معظمهم من البربر والصقالبة. وكان هؤلاء من الرقيق والخصيان، يؤتى بهم من جنوبي أوروبا*، ويجندون وهم صغار، حيث يدربون على أعمال الفروسية والقتال، وعلى الطاعة العمياء للدولة والإخلاص لها(٣). وربما دفعه إلى تجنيدهم عدم ثقته في المجموعات العربية، وخاصة أنها كثيراً ما خرجت ضده أو ساندت الثائرين عليه، كما فعل العلاء بن مغيث اليحصبي الذي ثار عليه في باجه (١٤٦هـ / ٧٦٣م)، وقام بدعوة بني العباس، ولبس السواد، فخرجت اليمنية متأثرة به على عبدالرحمن(٤).

واستعان عبدالرحمن الداخل بالبربر بناء على مشورة بشر بن عبدالملك بن بشر بن مروان، فقد نصحه أن يستعين بالبربر على العرب(٥)، فأخذ بنصيحته، وجنّد عدداً منهم بلغ أربعين ألفاً، كانوا اليد الحديدية التي يضرب بها كل خارج عليه من العرب وغيرهم(٦). وقد دوّن

---

(١) ابراهيم الدوري، عبدالرحمن الداخل، ص٢٤٩.

* كان يؤتى بهم من بلاد الفرنج وحوض الداتوب وبلاد اللونبارد ومختلف ثغور البحر المتوسط النصرانية. انظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٢، ص٣٢-٣٣.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٧٤؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١١٠.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٤٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٦٨؛ دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ج١، ص٢٣٥.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص٩؛ ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٢٦٦؛ ابن الأثير، الكامل، م٥، ص٥٧٥.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٣؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٦٠.

(٦) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٦٠؛ عنان، دولة الإسلام، ج١، ص١٩٦.

هؤلاء في ديوان الجند، وكانوا لا يرون طاعة أحد غيره(١). وغالباً ما كان من جملة قواده مولاه بدر، وتمام بن علقمة، وعبدالله بن عثمان، وعبدالله بن خالد، وعبدالملك بن عمر المرواني(٢).

وهكذا فإن جيش عبدالرحمن الداخل كان يضم إضافة إلى العرب عنصراً أساسياً أخر هم: البربر. أما الأمراء والخلفاء الذين جاءوا بعده فقد كان جلّ اعتمادهم على العناصر غير العربية من البربر والرقيق والصقالبة الذين سيطروا في نهاية الأمر على البلاط والخليفة.

فعندما تولى الأمير هشام بن عبدالرحمن* الإمارة (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٩ - ٧٩٦م) اهتم بالجيش، وهيأه للجهاد. ورتّب في ديوان الجند أرزاقاً لأسر الشهداء(٣)، وأنفق الأموال الطائلة لافتداء أسرى المسلمين، حتى لم يبق أحد منهم في عهده في قبضة العدو(٤).

أما الأمير الحكم بن هشام** (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) فقد كان أول من أنشأ

---

(١) دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ج١، ص٢٣٥.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٢٩؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٩٥؛ عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت)، ص٢٠٦. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين.

* هو هشام بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد في ٤ شوال سنة ١٣٩هـ بقصر قرطبة، وتوفي في ٨ صفر ١٨٠ هـ، وتولى الإمارة سبع سنين وتسعة أشهر. انظر: الضبي، بغية الملتمس، ص١٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥٨؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١١٨-١٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦١-٦٢؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢١٦.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٠.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥٨؛ ابن الأثير، الكامل، م٦، ص١٤٨.

** هو الحكم بن هشام بن عبدالرحمن، ويعرف بالربضي، وهو ثالث أمراء الأندلس الأمويين. ولد سنة ١٥٤هـ، وبويع له يوم الخميس ١٣ صفر سنة ١٨٠هـ، وتوفي يوم الخميس ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٠٦هـ، وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً. انظر: ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢١٦؛ المراكشي، المعجب، ط١، ص١٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٤؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، =

بلاطاً اسلامياً ملوكياً، وأكثر من الموالي والحشم، وأنشأ الحرس الخاص. وفي عهده ظهر الصقالبة بكثرة في البلاط، وعهد إليهم بمعظم أمور القصر، وقد بلغ عددهم نحو خمسة آلاف(١).

ومن الجدير بالذكر أن فرقة حرسه الخاص(٢) أبلت بلاءً حسناً في الدفاع عنه يوم الربض*(٣)، فأعتق أفرادها جميعاً وأحسن إليهم.

وكان للحكم بن هشام كذلك ألفا فرس من الجياد الصافنات مرتبطة على ضفة النهر تجاه القصر، يشرف عليها جماعة من العرفاء(٤). كما كانت له شرطة قوية منظمة.

وكان بعض النصارى يخدمون في الجيش الإسلامي جنداً أو ضباطاً، وقد وصل كثيرون منهم إلى وظائف مهمة في البلاط والقصر الملكي، وفي قصور أكابر المسلمين، وكانوا يحاربون جنباً إلى جنب مع المسلمين(٥).

= ج١، ص١٢٤-١٣٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٤.

(١) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٤١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٢٨.

(٢) المقري، نفح الطيب، برواية ابن خلدون، ص٣٤٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٧٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٨.

* موقعة الربض: وقعت في صدر ولاية الأمير الحكم، وسببها أنه انهمك في ملذاته فتعقبه الناس بألسنتهم، وكان الفقهاء يومئذ قادة الرأي في البلاد، فاجتمع منهم بقرطبة جماعة من أهل الفقه والورع، منهم: يحيى بن يحيى الليثي، وطالوت بن عبدالجبار المعافري من أصحاب مالك بن أنس، فثاروا عليه يريدون خلعه وإقامة أخيه المنذر مكانه، وكان اجتماعهم بالربض الغربي من قرطبة، وزحفوا إلى قصره فقابلهم الحكم وغلبهم وهدم دورهم ومساجدهم، فهرب بعضهم إلى أرض العدوة ولحق بفاس في المغرب، ومنهم من لحق بالاسكندرية. انظر: المراكشي، المعجب، ط١، ص١٩-٢٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧١؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٧١.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٩.

(٥) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٦٤-٢٦٦.

وأما الأمير عبدالرحمن بن الحكم* (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢-٨٥٢م) فقد ورث عن جده هشام العقل والفطنة وحسن الخلق، وامتاز بأصالة الرأي وحسن التدبير، وكان وافر الخبرة والإضطلاع بفنون الحرب، وقد اهتم بالجيش اهتماماً كبيراً بسبب ما تعرضت له الأندلس في عهده من ضغوط من قبل النورمانديين**، وعيّن ابن عمه عبيدالله بن عبدالله قائداً لجيشه الضخم، وقد تمكن هذا القائد من دحر النصارى الأسبان إلى مناطقهم الجبلية في أقصى الشمال(١).

وكان الأمير عبدالرحمن يقود الجيش بنفسه إذا استدعت الحاجة، ففي سنة ٢٢٠هـ ثار عليه أهل ماردة، فحضر الأمير، وحاصر المدينة، ثم أمر بإجراء حفر على أساس برج من بروج قلعة المدينة، وكان بناها موسى بن نصير، وأمر بإيقاد النار في هذا الأساس، مما أدى إلى إحداث ثغرة في القلعة، دخل منها الجيش، ودخل الأمير فاحتل المدينة. وبعد أن استتب له الأمر أعاد بناء القلعة كما كانت(٢).

واصطفى عبدالرحمن الموالي والصقالبة، وقد بلغ عددهم خمسة آلاف، أغدق عليهم الأموال الطائلة، واختص عدداً منهم بأعلى المناصب وأخطرها(٣).

واهتم الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم*** (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) بتقوية

---

* هو الإمام عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل المعروف بالأوسط، لد بطليطلة سنة ١٧٦هـ، بويع بعد وفاة ابيه الحكم يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦هـ، وهو ابن ثلاثين سنة وتسعة اشهر. انظر: (مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٣٧) توفي في ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ وهو ابن اثنين وستين سنة. انظر:الضبي، بغية الملتمس، ص١٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٣٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٠-٨١؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٥.

** واضح من التسمية الأولى (النورمان) أنها تحريف للكلمة **Norsemen** الانجليزية أو **Normandos** الإسبانية، والتسمية الأولى محرفة من لفظة (النورمانديين) وفقاً لعادة أهل الأندلس في قلب النون إلى همزة مثل (اربونه، ونربونه)، وهي تعني سكان الشمال، أي سكان الدول الاسكندنافية. أما تسميتهم بالمجوس فلأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يحلون فيه، فظن العرب أنهم يعبدون النار كالمجوس. (أنظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، م٧، ص٣٥٤؛ البكري، المسالك والممالك، ط١، ص١١٢).
وكذلك يطلق على هؤلاء اسم الفايكنج **Viking**، وتعني سكان الخليج، وقد أطلقوها على سكان شبه الجزيرة الاسكندنافية لكثرة خلجانها. وأصل هذا الشعب جرماني أو تيوتوني، ويقسم إلى ثلاثة أقسام: السويديين، والنرويجيين، والدنماركيين. والقسم الأخير هم الذين هاجموا سواحل المسلمين في الأندلس.
انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤٩؛ البكري، المسالك والممالك، ص١١٢؛ مؤنس، غارات النورمانديين، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، ع١، ١٩٤٩، ص٢٤.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٥.
(٢) نفس المصدر، ص٨٤.
(٣) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٧٧.

*** كنيته: أبو عبدالله، وأمه بُهير. وقد ولد في شهر ذي القعدة سنة ٢٠٧هـ، وبويع له يوم الخميس ٤ ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ، وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر، وتوفي في صفر سنة ٢٧٣هـ، وكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً. .... =

الجيش نتيجة الظروف الصعبة التي مرت بها الأندلس في عهده، وكان يحشد أعداداً كبيرة من الفرسان من مختلف المدن والكور لغزو الصوائف(١). وبالرغم مما كان يقتضيه الجهاد المتواصل من نفقات ضخمة، فقد كان الأمير محمد يبذل وسعه لتخفيف الضرائب عن كاهل شعبه. كما رفع عن أهل قرطبة الحشود، واكتفى بدعوتهم إلى التطوع والجهاد في سبيل الله، فأقبلوا على تعضيده وتأييده(٢).

وتولى الإمارة بعد محمد بن عبدالرحمن ابناه المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م) وعبدالله (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) وكان عهدهما مليئاً بالفتن والثورات الداخلية، وقد انصرف اهتمامهما لإخمادها. ولم يكن لهما دور كبير في تطوير الجيش الأندلسي.

وتولى الأندلس بعد الأمير عبدالله ابنه عبدالرحمن الثالث الذي تلقب بالخلافة*، وذلك بعد أن تضخم ملكه واتسع سلطانه في الوقت الذي ضعفت فيه الخلافة العباسية في بغداد، كما تلقب أيضاً بالناصر لدين الله(٣).

وقد بدأ الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م)** اهتمامه بالجيش الذي كان

= انظر: ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢١٨-٢١٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٧-٣٩٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٠٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٣-٩٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٣٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص٢٠.

(١) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٣٠٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٩.

* عندما بلغ عبدالرحمن بن محمد ضعف الخلافة بالعراق في أيام المقتدر بالله، وظهر الشيعة بالقيروان ودعوا للمهدي، تلقب بالخلافة، وأصبح في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء: المقتدر والمهدي والناصر، انظر: النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٧؛ المراكشي،المعجب، ط١، ص١٧؛ ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٢٦٥؛ ابن الأثير، الكامل، م٨، ص٥٣٦.

** بويع بالإمارة يوم الخميس أول ربيع الأول سنة ٣٠٠هـ، وتوفي في رمضان سنة ٣٥٠هـ، ودامت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام، وكان قد ولد في رمضان سنة ٢٧٧هـ. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٦-١٥٧؛ ابن الأثير، الكامل، م٨، ص١٧٣-١٧٤؛ ابن خلدون، ق٢، م٤، ص٣١٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص٤٠؛ المراكشي، المعجب، ط١، ص٤٣.

عماد الدولة وسياج الملك فعكف على إصلاحه بعد أن استنزفه الكفاح ضد الثورات، وحشد له الجند من سائر أنحاء الأندلس والمغرب، واستكثر من الأسلحة والذخائر. كما أن الحروب والغزوات في عهده صقلت الجيش وزادته دربة، وأمدته بطائفة من أمهر القادة وأشدهم بأساً. وكان إقدام الخليفة على تولي قيادة الجيش بنفسه يبعث روح الحماسة فيه فيحقق الإنتصارات الباهرة(١).

واستمر الخليفة الناصر في الاعتماد على الصقالبة في جيشه، وبوأهم مكانة مرموقة في الجيش والقصر، مما أثار حفيظة العرب، وادى الى انحلال قوى الجيش المعنوية، وبالتالي إلى هزيمة الناصر في وقعة الخندق Alhandego سنة ٣٢٧هـ/ ٩٢٩م* التي خاضها ضد مملكة ليون(٢)، والتي نجا منها بأعجوبة هو وقليل من أتباعه(٣).

وبعد هذه الموقعة لم يخرج الناصر إلى محاربة الأعداء، وإنما اكتفى بإرسال المال والعتاد والرجال إلى الأسر المتنفذة في منطقة الثغر الأعلى والأوسط لكي تقوم بواجب الجهاد سنوياً ضد الممالك الأسبانية المجاورة(٤). وظل يعتمد على الصقالبة، بل أعطاهم قيادة الجيش والمناصب المهمة فيه(٥).

وفي فترة الحجابة (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م)، وعندما سيطر الحاجب المنصور**

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ج٢، ص٤٠٦.

* وقعة الخندق: وقعت في شوال سنة ٣٢٧هـ/ ٩٢٩م، وكانت بين رذمير بن أردون ملك جليقية وعبدالرحمن الناصر عند مدينة شنت منكش، وكانت الواقعة على المسلمين، حيث قتل منهم أعداد كبيرة بعد عبورهم الخندق الذي تنسب إليه الوقعة.
انظر: المقري، نفح الطيب (برواية المسعودي)، ص٣٥٤-٣٥٥؛ ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٤٣٥-٤٣٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٩٨؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٥٤.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٩٨.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٢٩٨؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٥٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٥٤.

** الحاجب المنصور هو محمد بن عبدالله بن ابي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك، دخل إلى الأندلس أول الفتح، وهو معافري النسب، أصله من الجزيرة الخضراء، من قرية تسمى طرش، على نهر يسمى وادي آروا. دخل جده عبدالملك المعافري مع طارق بن زياد في أول الفتح، وفي شعبان سنة ٣٧٢هـ ولي الحجابة لهشام المؤيد، وكان الحكم قد استوزره لولده هشام، فقوي أمره حتى بلغ مبلغاً عظيماً من الجاه والسلطان، ....=

على الأمور، بسط نفوذه على الجيش، وقام بتنظيمه(١)، فأنشأ فرقاً جديدة من البربر وخاصة من زناتة وصنهاجة. ومن الجند النصارى من ليون وقشتاله ونافار، وأغدق عليهم الأموال بسخاء، وغير أنظمة الجيش القديمة، فقدم رجال البربر، وأخر زعماء العرب وأقصاهم عن مناصبهم، وفرق جند القبيلة الواحدة بعد أن كانوا من قبل ينتظمون في صف واحد، وعمل على سحق القبائل وإضعاف قوتها(٢).

وعمل الحاجب المنصور أيضاً علىتصفية خصومه وتصفية الصقالبة، واستطاع بما وضعه للجيش من أنظمة محكمة، أن ينشيء للأندلس قوة عسكرية عظيمة لم تعرفها من قبل. وكانت هذه القوة – فضلاً عن كونها دعامة حكمه وسلطانه – دعامة للأندلس، وأداة للدفاع والغزو(٣).

وقد كان المنصور يقود قواته بنفسه للغزو في كل ربيع وكل صيف، وقد بلغ من كثرة قوى الجيش وكفايتها أن أصدر عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨م أمره بإعفاء الناس من اجبارهم على الجهاد، والاكتفاء بالجيش المرابط. وقد بلغ عدد الفرسان في عهده اثني عشر ألفاً(٤). وكان عدد

= وصارت الدولة والعرش والخليفة وأم الخليفة والقصر طوع يمينه، وتسمى بالحاجب المنصور. ونفذت الكتب والأوامر والمخاطبات باسمه، وأمر بالدعاء له على المنابر، وكتب اسمه على السكة والطرز. توفي سنة ٣٩٢هـ بالثغر بمدينة سالم. انظر: ابن الأثير، الكامل، م٥، ص١٧٦؛ ابن خلدون، العبر، ص٣٢١؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٧٥-١٩٥؛ المراكشي، المعجب، ط١، ص٢٦؛ ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله، مطمح النفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي الشوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٣. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن خاقان، مطمح الأنفس.

(١) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٧٥.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٣١٩-٣٢٠؛ عنان، دولة الإسلام، ج٢، ص٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٧٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص٦٦.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٣١٩-٣٢٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، م١، ط٢، ص٦٦؛ المراكشي، المعجب، ط١، ص٢٩-٣٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٤.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص٦٨ و ص٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠١.

الجيش المرابط يتضاعف وقت الصوائف لانضمام المتطوعة إليه، فقد وصل عدده في بعض الصوائف ستة واربعين ألفاً. وأما عدد المشاة فكان يتضاعف أيضاً وقد يصل إلى المائة ألف أو يزيد(١).

وكان المنصور يقتني الخيول للجهاد، ومطايا الركوب، ودواب الحمل. وقد بلغت هذه الدواب وحدها نحو أربعة آلاف(٢) كانت تحمل المعدات العسكرية وآلات الحصار(٣).

وكان المنصور مولعاً بالحرب والقتال حتى أنه غزا أكثر من خمسين غزوة لم يهزم في أي منها(٤)، ومن أشهر هذه الغزوات:

غزوته على الثغر الاعلى سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٧م حيث حاصر أحد حصون جليقية، ثم دمره(٥).

وخروجه بالصائفة يوم الفطر من سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م، حيث اجتمع مع قائده غالب بن عبدالرحمن بمدينة مجريط، ثم توغلا بقواتهما في أراضي مملكة قشتالة، وسيطرا على حصن موله، وأصابا كثيراً من الغنائم والسبي، ثم عادا(٦).

ومسيره في غرة صفر من سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م إلى طليطلة بالاشتراك مع القائد غالب ابن عبدالرحمن، حيث اقتحما حصن المال وحصن زنبق، ثم احتلا معظم المناطق المحيطة بمدينة شلمنقة، وعادا بعد ذلك إلى قرطبة(٧).

وخروجه في سنة ٣٧١هـ / ٩٨١م لمهاجمة مملكة ليون قاصداً مدينة سمورة الحصينة الواقعة شمال شلمنقة، تلك المدينة التي لم يستطع الاستيلاء عليها لحصانتها مما جعله يتوجه إلى بلدة روضه Ruedu إلى الجنوب الغربي من حصن شنت منكش حيث هزم النصارى واستولى على الحصن(٨).

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص٩٨-٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٩٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص١٠٢.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص١٠٢-١٠٣.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ق٢، م٤، ص٣٢٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٠٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٦٤.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٦٥.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٦٧.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٧٩؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٤٨٩.

واستيلاؤه على مدينة ليون سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م(١).

وخروجه في غزوته الثالثة والعشرين سنة ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م إلى ثغر برشلونه قاعدة امارة قطلونية، حيث تم اجتياح الإقليم، ومهاجمة مدينة برشلونة ودخولها بعد تدمير قوات الكونت تدميراً نهائياً إلا من تمكن من الفرار(٢).

وقيامه في سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م بغزو ليون، حيث اخترقها واتجه غرباً إلى مدينة قلمرية الواقعة شمال البرتغال على مقربة من المحيط الأطلسي واستولى عليها(٣).

واستيلاؤه في سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م على مدينة شنت اشتيبن في الشمال حيث قام بغزوته الخامسة والأربعين(٤).

وخروجه سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م لمواجهة الكونت غرسيه فونانديز كونت قشتاله، حيث التقيا على ضفاف نهر دويره على مقربة من بلدة (القصر) فجرح غرسيه وأسر، ثم توفي متأثراً بجراحه(٥).

وخروجه سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م في غزوته الثامنة والأربعين باتجاه جليقية. وكان سبب خروجه إليها أنها كانت تشكل خط الدفاع لقوات ليون المنهزمة من ناحية، ولأنها تضم مدينة من أشهر المدن الأسبانية وأعلاها مكانة من الناحية الدينية من جهة أخرى، وهي مدينة شنت ياقب. وفي هذه الغزوة استطاع المنصور احتلال أراضي جليقية ومدينة شنت ياقب التي وجدها خالية من السكان، فدخلها وغنم ما فيها وهدم تحصيناتها ومبانيها(٦).

وقيادته حملة ضد قشتالة سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م، حيث جابه تكتل القوى الأسبانية

---

(١) ابن الأثير، الكامل، م٩، ص٣٣.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٩٩.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٤٩٥؛ والدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية، ج٣، ص٥٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠٤-٣٠٥؛ عنان، الدولة العامرية، ج٣، ص٦١-٦٢.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، م٤، ق١، ص٢٢-٢٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٨، ٦٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٨١.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٥ وما بعدها.

بزعامة الملك سانشو غرسيه في معركة طاحنة عند جبل جربيرة، وقضى على هذا التكتل(١).

ثم خروجه سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م إلى الغزو للمرة الأخيرة في حياته، وقد اخترق في هذه الغزوة أراضي قشتالة شمالاً، ووصل مدينة قناليش الواقعة جنوب ناجرة، ثم سار غرباً باتجاه برغش، وأخضع منطقتها(٢).

وعلى أثر هذه الغزوة مرض الحاجب المنصور، وتوفي في مدينة سالم في ٢٧ رمضان ٣٩٢هـ/ آب ١٠٠٢م(٣).

وقد أثرت غزوات الحاجب المنصور تأثيراً كبيراً في رفع معنويات جنده، وأدت إلى القضاء على قوى اسبانيا النصرانية، وردعها عن العدوان على أراضي المسلمين. وامتلأت الأندلس نتيجة غزواته بالغنائم الوفيرة(٤).

ومن مظاهر اهتمام المنصور بالجيش أنه كان يدعو إلى مائدته من امتاز من جنده بالشجاعة في المعارك، وحسن البلاء فيها، وذلك عقب كل انتصار(٥).

وفي الفترة من (٣٩٩-٤٢٢هـ/ ١٠٠٨-١٠٣١م) عانت الأندلس من المنازعات والخصومات والحروب الأهلية، وتأججت نار الفتنة. وقامت الصراعات بين العرب والبربر الذين استطاعوا أن يسيطروا على قرطبة عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.

وألجأت هذه الأحداث بعض الخلفاء إلى الإستعانة بالجند المرتزقة من نصارى الشمال الأسباني الذين لعبوا دوراً كبيراً في تلك الفترة، وساهموا في تفتيت الأندلس، فتحولت إلى دويلات متنازعة(٦).

---

(١) كان هذا التكتل أو التحالف يضم أمراء البشكنس وقشتالة وليون بزعامة كونت قشتالة سانشو غرسيه. عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٥٠٩-٥١٠، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٩-٧٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، م٩، ص١٧٦؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١-٢٠٢؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٥١١ وما بعدها.

(٣) ابن الأثير، الكامل، م٩، ص١٧٦؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١-٢٠٢؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٥١١ وما بعدها.

(٤) ابن الأثير، الكامل، م٩، ص١٧٦؛ المراكشي، المعجب، ط١، ص٣٨.

(٥) عنان، دولة الإسلام، ج٢، ص٥١٩.

(٦) السامرائي، خليل ابراهيم، علاقات المرابطين بالممالك النصرانية وبالدول الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٩، ص٣٤ وما بعدها. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد؛ السامرائي، علاقات المرابطين.

ثانياً- بناء الأسطول الحربي:

تطلق كلمة أسطول (والجمع أساطيل) على المراكب الحربية مجتمعة، وهذا ما يفهم من قول ابن خلدون: "وانتهى أسطول الأندلس أيام عبدالرحمن الناصر إلى مائتي مركب أو نحوها، وأسطول افريقية كذلك"(١). وقد أورد ابن خلدون أيضاً ما يفيد استعمال كلمة أسطول للدلالة على السفينة الحربية الواحدة، حيث يقول عن دولة المرابطين: "وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد العدوتين"(٢) (أي المغرب والأندلس). علماً بأن المؤرخ أحمد العبادي ذهب إلى أن ما قصده ابن خلدون هو إطلاق لفظ الأسطول على مجموعات السفن الحربية، وليس على سفينة واحدة كما هو ظاهر القول(٣).

والأسطول كلمة يونانية الأصل، ويفهم ذلك من قول المسعودي: "والأسطول كلمة رومية، سمة للمراكب الحربية المجتمعة"(٤).

وقد نشأت البحرية العربية في الأندلس بعد أن قطعت البحرية الإسلامية في المشرق شوطاً كبيراً من التقدم والتطور، إذ اقتضت طبيعتها الجغرافية الاهتمام ببناء أسطول بحري قوي يحمي شواطئها المترامية الأطراف، فهي شبه جزيرة يدور بسواحلها البحر المتوسط (الشامي) من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية، وخليج بسكاي أو بحر الانفليش كما سماه العرب، والمحيط الاطلسي من الجهتين الغربية والشمالية الغربية(٥).

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ق١، م١، ص٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠١.

(٣) د. العبادي، أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط١، الاسكندرية، ١٩٦٨ ، ص٣٣٣. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس.

(٤) النخيلي، درويش، السفن الاسلامية على حروف المعجم، ط٢، دار المعارف بمصر، ص٢. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: النخيلي، السفن الإسلامية.

(٥) الحميري، محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم، صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار. عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الحميري، صفة جزيرة الأندلس.

وقد كان إنشاء أسطول حربي على درجة عالية من الكفاءة والمنعة أمراً ضرورياً لرد الغزوات البحرية عن الأندلس، ولذلك انتشرت دور صناعة السفن على طول السواحل، وخاصة السواحل الشرقية، منذ أيام القوط، حكام شبه الجزيرة الآيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي، هذا الفتح الذي كان مستحيلاً لولا استخدام السفن. ويذكر في هذا الصدد أن العرب المسلمين عندما فكروا بفتحها اهتموا ببناء السفن لهذا الغرض، وعندما أرسل موسى بن نصير مولاه طريف المكنّى أبا زرعة على رأس سرية استطلاعية لاختبار وضع الأندلس العسكري، عبر ومعه أربعمائة راجل ومائة فارس في مراكب قدمها يوليان ونزلوا في الجزيرة التي سميت باسمه(١)، والتي كانت مركزاً للمراكب وصناعة السفن القوطية. وبعد أن عاد بالأخبار المشجعة عبر طارق بن زياد على رأس سبعة آلاف من المسلمين سنة ٩٢هـ/ ٧١١م إلى الأندلس وعسكر بهم في جزيرة طريف(٢).

وقد كانت هذه المراكب صناعة اسلامية، خلافاً لما تذكره بعض المصادر من أنها مراكب تجارية قدمها يوليان حاكم سبتة لطارق(٣). فقد ذكر المقري أنه (أي طارق) كان يمتلك مراكب خاصة له في طنجة، وأن يوليان كان مع الجيوش التي عبرت لنجدة طارق بعد عبوره إلى الأندلس(٤). فقد ارسل طارق لموسى بن نصير أنه لا طاقة له بجيوش لذريق، وكان موسى منذ أن وجه طارقاً إلى الأندلس قد بدأ بصناعة السفن، حتى صارت لديه سفن كثيرة، فحمل إليه خمسة آلاف، وبذلك أصبح لدى طارق في الأندلس اثنا عشر ألف رجل(٥). وكانت هناك سفن عربية أخرى تنتجها دار صناعة السفن في تونس(٦).

وهكذا فإن الدلائل تشير إلى قيام موسى بن نصير بإنشاء دار لصناعة السفن مستفيداً من دور الصناعة التي كانت قائمة في شمالي افريقيا، وخاصة في تونس، ليتمكن من نقل المسلمين

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٥٣.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٥٤.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٢٣؛ القيرواني، تاريخ افريقية، ص٧١؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢٢٧.

(٤) المقري، نفح الطيب (نقلاً عن ابن حيان)، م١، ص٢١٦-٢٣١.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٧؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٥٧.

(٦) بيضون، الدولة العربية، ص٦٩:

إلى الأندلس دون الاعتماد على سفن الغير(١).

ولم يول الولاة (٩٢-١٣٩هـ / ٧١١-٧٥٦م) اهتماماً كبيراً للبحرية، لانشغالهم بفتح بقية شبه الجزيرة براً، ولانشغالهم في الوقت نفسه بتهدئة الخلافات والصراعات القبلية. وظل الأمر كذلك حتى مجيء عبدالرحمن الداخل(٢)، الذي اهتم بالأسطول الاسلامي اهتماماً كبيراً، لحماية شواطىء الأندلس الطويلة من غارات الأعداء(٣).

فقد أعاد عبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨م) الحياة إلى دور صناعة السفن القديمة، وأمر ببناء سفن حربية في مراسي: طركونة، وطرطوشة، واشبيلية. ومع هذا فقد بقيت البحرية الأندلسية محدودة القوة والأثر، وفي الوقت نفسه لم تواجه الأندلس خطراً حقيقياً عن طريق البحر إلا بعد الغزو النورمندي الأول لأراضيها سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م في عهد عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م)(٤).

وكان من أسباب اهتمام عبدالرحمن الداخل ببناء أسطول حربي غارات العباسيين الذين أرسلوا أساطيلهم من شمالي افريقيا إلى الأندلس من أجل القضاء على سلطانه فيها. ففي سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م ثار العلاء بن مغيث اليحصبي(٥) بدعم من القوات العباسية البحرية، ودعا لبني

---

(١) عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٦٦، ص٢٦. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب.

(٢) د. سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، ط١، ١٩٦٩، دار النهضة العربية، بيروت، ص٣٣. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: سالم، تاريخ مدينة المرية.

(٣) د. مؤنس، حسين، غارات النورمانديين على الأندلس، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، المجلد الثاني، مايو ١٩٤٩، ص٤١-٤٢. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: مؤنس، غارات النورمانديين.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٤؛ ابن الأثير، الكامل، م٧، ص١٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩٤.

العباس، ورفع العلم الأسود، غير أن الأمير الأموي قضى على ثورته(١).

وقام عبدالرحمن بن الحكم (الأوسط) بإنشاء دار لصناعة السفن، وأعد أسطولاً حربياً في اشبيلية سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٢م، وأمده بالآلات والنفط(٢). وقد كان لغارة النورمان المجوس(٣) على الأندلس سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٤-٨٤٥م الأثر المباشر والمحفّز الرئيسي لبناء أسطول أندلسي قوي. كما أنها نبهت الأمير عبدالرحمن بن الحكم إلى ضرورة الاهتمام بتحصين السواحل التي يمكن أن يطرقها النورمان من الغرب والجنوب الغربي، فأمر -بناء على مشورة وزيره عبدالملك بن حَبيب- بتسوير اشبيلية(٤) وإقامة مراقب ومحارس على طول الساحل الغربي المطل علىالمحيط، وشحنها بالمقاتلة المزودين بوسائل الدفاع العسكري، على أن تكون الحراسة فيها من مناطق عالية تشبه الفنارات، تعرف باسم الطلائع أو المناور، لتكشف سفن العدو من بعيد، وإذا رآها الحراس الليليون المقيمون في هذه الفنارات، وهم المعروفون باسم (السّحّار)، أشعلوا النار على قمم المناور ليلاً، أو أثاروا الدخان إذا كان الوقت نهاراً، وذلك للإخبار عن حالة العدو، أو عدد السفن، أو جنسية الأعداء، أو غير ذلك، وكانوا يستعملون لكل نوع من

---

(١) د. العدوي، ابراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، ١٩٥٧، ص٨٤. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: العدوي، الأساطيل العربية؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٨.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤٩؛
البكري، المسالك والممالك، ص١١٢؛
مؤنس، غارات النورمانديين، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، ع١، ١٩٤٩، ص٢٤.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٣؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٤٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤٤؛ ابن سعيد، المغرب، ص٢١.

الأخبار إشارة متفقاً عليها(١).

وقد أمر عبدالرحمن بن الحكم -بتأثير هذه الغارة أيضاً - بإنشاء دار لصناعة السفن الحربية في اشبيلية، وإنشاء "المراكب، واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس، فألحقهم ووسع عليهم"(٢).

وأصبح للأندلس أسطول ضخم يضم عدداً كبيراً من السفن الحربية يقدر بنحو ٣٠٠ سفينة. وقد غزا هذا الأسطول جزيرتي ميورقه ومنورقه سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م لنقض أهلهما العهد مع المسلمين، وإضرارهم بمراكبهم، وفتحهما(٣)، مما دفع سكانهما إلى طلب الصلح، والدخول في طاعة الدولة الأموية. وتؤكد هذه الواقعة أن النفوذ العربي الإسلامي قد وصل إلى جزر البليار التي كانت تابعة للدولة الكارولنجية*.

وأنشأ الأمير محمد بن عبدالرحمن سبعمائة غراب**، وأصبح الجيش في أيامه مائة ألف فارس(٤).

وعندما تولى عبدالرحمن بن محمد الناصر الحكم في الأندلس سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، وهو أول خليفة أموي فيها، كانت البلاد تعج بالمؤامرات الداخلية والثورات، وتتعرض كذلك لأخطار خارجية كبيرة(٥). فقد ثار عليه عمر بن حفصون بمساعدة أعداء الدولة مثل الفاطميين في المغرب العربي، ودول الشمال الاسباني(٦). غير أنه تغلب على هذه المؤامرات والأخطار. وقد جعلته هذه التحديات يعمل بإصرار على تدعيم البحرية الأندلسية، فعمل على انشاء أسطول قوي

---

(١) د. العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، ١٩٧٢، ص٣٥١. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٧.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٤٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ط٢، ص٨٨.

* وهي الدولة الرومانية المقدسة (في فرنسا) التي ناصبت الأمويين في الأندلس العداء، وساعدت الممالك الاسبانية الشمالية ضدهم.

** غراب: نوع من السفن، وجمعها: أغربة، وسيأتي الحديث مفصلاً عنها في الفصل الثامن من هذه الدراسة.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٥٧.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٣؛ ابن خلدون، المقدمة، م٤، ص٣٠٣.

تحسباً للمتغيرات، وخاصة بعد ظهور قوة الفاطميين البحرية(١).

وقد انتشرت صناعة السفن والمراكب في عهد عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله على طول المرافيء والثغور الأندلسية، مثل: طرطوشه، والجزيرة الخضراء، ومالقه، ولقنت، وشلب، وقصر أبي دانس*، وشنتمريه، وغيرها. واستخدم في هذه الصناعة أخشاب الصنوبر بطرطوشه(٢).

وأهم المرافيء التي أنشئت في عهد الناصر هو مرفأ المريه، وقد أمر ببنائه سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م. كما ابتنى فيها الكثير من المنشآت العمرانية، فاتخذت في عهده طابع المدن، وبذلك احتلت المكانة المهمة التي كانت لمدينة بجاية التي تبعد عنها نحو أربعة أميال. وأصبحت المرية قاعدة لأضخم أسطول أندلسي، ودارا لصناعة السفن "وفيها يكون ترتيب الأسطول الذي للمسلمين، ومنها يخرج إلى غزو الإفرنج"(٣). وهكذا فإن عبدالرحمن الناصر يعتبر المؤسس الحقيقي للأسطول الإسلامي في الأندلس، وقد بلغ عدد مراكبه حسب رواية ابن خلدون: "مائتي مركب أو نحوها"(٤)، وحسبما ذكر ابن الخطيب: ثلاثمائة مركب في المرية وحدها، وقد أشرف على أمورها ابنه الحكم في بداية حكمه، وجدد أسطولها وزاد فيه حتى بلغ ستمائة قطعة بحرية(٥).

ولو أمعنّا النظر في هذه الروايات لوجدنا أن عدد سفن الأسطول الأندلسي في عهد الناصر كان أكبر بكثير مما ذكره ابن الخطيب، فقد كان هذا العدد في عهد سابقه عبدالرحمن الأوسط ثلاثمائة مركب غزا بها جزيرتي ميورقة ومنورقة. ومن المفترض أن يزداد في عهد عبدالرحمن الناصر بازدياد اهتمامه بالأسطول، حتى غدا الأسطول الأقوى في البحر المتوسط،

---

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٥٨.

* قصر أبي دانس: مرسى الأسطول على ساحل البرتغال، ويقع جنوب لشبونه. انظر: المقري، أزهار الرياض، ج٥، ص١٢٧.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٣-٧٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٨٠و ١٩٢-١٩٣.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٢٧٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ص٤٨٧.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٨، و ص٤١-٤٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٣١٤.

ومكّن الخليفة من الاستيلاء على مليلة سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٧م وعلى سبتة سنة ٣١٨هـ/ ٩٣١م(١).

ونظراً لتهديد النورمان المجوس المستمر لسواحل الأندلس، ولامتلاكهم أسطولاً يمتاز بمزايا خاصة كالسرعة في الحركة، فقد أمر الحكم بن عبدالرحمن المستنصر بالله* (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٧م) ببناء سفن حربية تشبه سفنهم(٢)، كما أمر بتوزيع وحدات الأسطول على ثغور الأندلس، حتى إذا ما أغار العدو على ساحل من سواحلها تصدى له أقرب الأساطيل إلى الساحل المذكور ريثما تتجمع الأساطيل الأخرى(٣).

وبهذا تكون البحرية العربية الأندلسية في عهد عبدالرحمن الناصر ومن بعده ابنه المستنصر قد بلغت من القوة مبلغاً مكّنها من السيطرة على سواحل غاله الجنوبية (البروفانس) حيث أصبحت له هناك قواعد ثابتة. وقد دفع ذلك دولة الفرنجة إلى الاستنجاد بالمدن الإيطالية، بل الاستنجاد أيضاً بالدولة الرومانية البيزنطية (المقدسة) على الرغم من العداء التقليدي بين الدولتين(٤).

وبعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس اختلّ ميزان الأمن والنظام في البلاد التي انقسمت إلى دويلات ضعيفة. وانعكس ذلك على الأسطول الذي تفتت بدوره، ولم يسترد عافيته بعض الشيء إلا في عهد مجاهد العامري الذي يعتبر أكثر ملوك الطوائف اهتماماً بالأسطول، حتى أن دولته التي شملت دانيه والجزائر الشرقية أصبحت دولة بحرية، ولعب الأسطول دوراً مهماً في جهادها البحري في البحر المتوسط الغربي(٥).

غير أن البحرية الأندلسية - بشكل عام - لم تبق ضعيفة مفككة، فقد عادت إلى قوتها أيام المرابطين والموحدين.

---

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٨٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٤٠٦.

* الحكم بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبدالرحمن الداخل، كنيته أبو المطرف. أمه اسمها مهرجان، بويع بعد موت أبيه لثلاث خلون من رمضان سنة ٣٥٠هـ وعمره ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر، ولد يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٠٢هـ وتوفي ليلة الأحد لثلاث خلون من صفر سنة ٣٦٦هـ. كانت دولته خمس عشر سنة وسبعة اشهر وثلاثة أيام، لقبه المستنصر بالله. انظر:
ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٢٣٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٨ و ٢١؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٦٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٩.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٤٢.

(٤) ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٠٥.

(٥) سالم و العبادي، تاريخ البحرية، ص٢٠١.

الفصل الرابع

التشكيلات والمناصب العسكرية

الفصل الرابع

التشكيلات والمناصب العسكرية

اولا- التشكيلات العسكرية:

كانت الأجناد(١)* تمثل القاعدة الأساسية العريضة في بناء الجيش وتنظيمه، وإمداده بما يحتاج إليه من إمدادات إدارية وتموينية. وعلى ذلك فإن الجيش كان يتألف من فرق نظامية ووحدات إدارية. يضاف إليهما الوحدات الخاصة المكلفة بالخدمة المباشرة في بلاط الأمير أو الخليفة وقت السلم، وبمعاونة الفرق النظامية ودعمها زمن الحرب، هذا إلى جانب الفرق العسكرية العاملة التي تنتمي إلى مدن الأندلس، وأقاليمها وكورها المختلفة(٢)، والتي كانت تستنفر وقت الحاجة فتلبي النفير.

أما فرق الجيش النظامية فتتألف من الفرسان والرجّالة أو المشاة(٣).

وكان الفرسان نوعين، نوعاً يتسلّحون بالقنا(٤) الطويلة والدروع(٥)، ويلبسون

---

(١)* كلمة جند: تعني جماعة مسلحة، وكان هذا المصطلح يطلق في عهد بني أمية بشكل خاص على الحاميات العسكرية وعلى الأقاليم التي استقر فيها المحاربون العرب، بحيث يمكن تعبئتهم وتحريكهم في الحملات والغزوات. انظر: د. يونس شنوان، جند الشام في الأندلس والتأثيرات الشامية- (زمن الأمير عبدالرحمن الداخل) -، مجلة المؤرخ العربي، العددان (٤١، ٤٢)، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، السنة السادسة عشرة، بغداد، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص١٦٩. وسيشار له فيما بعد: شنوان، جند الشام.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٧-٣٨٨؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٣٦-١٩٦.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٣.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص١٣٣. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح الذي يتخد من القصب المصمت.

(٥) الدروع: تصنع بتكسية درع من الجلد بصفائح كبيرة من المعدن. انظر:

Chuabes, and Kelly, A Short History of Costume and Armoure, (London, ١٩٣١), P. ٦٢.

الأقبية(١)، ويعتمرون البيضات(٢). ونوعاً هم أصحاب الجواشن(٣) والتجافيف(٤)، الذين يركبون الخيول المصفحة برقائق الحديد.

والرجالة أو المشاة يمثلون القوات الأساسية في العمليات الحربية، وكانوا يعملون وحدهم أو بالتعاون مع فرق الفرسان. وإذا ما كُلّفوا بمهمة كانوا يستعدون لها، ويصطفون بأيديهم التروس والرماح، وذلك عند قنطرة قرطبة، ثم يستعرضهم الخليفة في موكبه(٥)، وبعد ذلك ينصرفون إلى مهمتهم.

وهؤلاء الرجالة أنواع، فمنهم (رجالة الأرباض)، وهم سكان أحياء قرطبة وأرباضها من الأحداث والفتيان الذين يحسنون حمل السلاح. وكانوا يتسلحون في الحملات الحربية بالتروس والحراب. وقد بلغت عدتهم في عهد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٧م) ستة عشر ألف رجل(٦).

ومنهم (الرماة) الذين كانوا يتنكبون القسي، ويحملون السهام في جعابها(٧)، ومنهم أيضاً

---

(١) الأقبية: جمع قباء، وهو ثوب يرتديه الفارس فوق ثيابه. انظر: المقري، نفح الطيب، م٢، ص٣٨٨؛

Dozy (R.) Dictionaire des noms des Vetemets Chezles Arabes, (Amsterdam, ١٨٤٥), P. ٣٥٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٥. والبيضات: جمع بيضة، وهي تعريب للخوذة الفارسية. انظر: المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٨.

(٣) الجوشن: درع من خيوط معدنية خاصة أو سلاسل دقيقة متشابكة، تغطي الصدر، وتتدلى حتى تصل إلى منتصف فخذي الفارس. انظر: المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩، ص١٩٧.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩٥-١٩٦؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٥٠، ١٩٨، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٥١ و١٩٩؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٨.

أصحاب الدماغات حملة الأجوزة والطبرزينات(١).

ومن الرجالة أيضاً فرسان الرياضة(٢) المسؤولون عن ترويض الخيل، وتذليلها، وتعليمها السير، وإعدادها للفرسان.

وكانت مهمة فرق الجيش النظامية هي التدريب والتحضير في وقت السلم استعداداً للقتال في ميادين الحروب، سواء لدرء الأخطار الخارجية، أم للقضاء على الفتن والثورات الداخلية. كما كانت هذه الفرق تشترك في الاحتفالات الكبرى، وفي الأعياد الرسمية، واستقبال المبعوثين والسفراء والحكّام الأجانب القادمين إلى العاصمة قرطبة في زيارات رسمية(٣).

أما الوحدات الخاصة فكانت تقوم بحراسة الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، وهناك خمس فئات أو أنواع يمكن اعتبارهم وحدات خاصة، وهم:

(١) **الفرسان العبيد الخمسيون**: وهم عبارة عن وحدات صغيرة تتكون كل منها من خمسين فارساً(٤)، وربما كان هذا هو سبب تسميتهم بالخمسيين، ولكن المرجّح أن سبب التسمية يعود إلى أن هؤلاء كانوا بالأصل من حصة (الخمس)، أي نصيب الدولة من غنائم الحروب. ولذلك سموا: العبيد الخمسيين، أو أكابر الخمس. فمما يذكر في هذا المجال أن موسى بن نصير قام بعد

---

(١) الدماغة: القنا التي تنتهي برأس من الحديد.
والأحوزة: العصي الحديدية.
والطبرزينات: جمع طبرزين (فارسية)، وهو سلاح يشبه الفأس أو البلطة، ينتهي برأس نصف مستديرة، وله قضيب من الحديد أو الخشب الصعب المتين.
انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٠-١٤١.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٦٤؛ ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد يوسف الخياط، منشورات دار لسان العرب، بيروت، (د. ت)، مادة (روض)، ص١٢٥٦. وسيشار له فيما بعد: ابن منظور، لسان العرب.

(٣) المقري، نفح الطيب، تحقيق الحجي، م١، ص٢٨-٣٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٤) محمود، محمود عرفة، تنظيمات الجيش الأموي بالأندلس في عهد المستنصر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثلاثون، المجلد الثامن، جامعة الكويت - الكويت، ربيع ١٩٨٨، ص١٤٧. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: محمود، تنظيمات الجيش.

الفتح بتخصيص الأخماس من السبي لزراعة أراضي الخمس، فأصبحوا يسمون بالأخماس Quintemos، وقد عُرف أبناؤهم أيضاً ببني الأخماس كما أشرنا(١). وقد ظلت هذه التسمية تطلق على حصة الدولة من سبي الحروب حتى عهد الخليفة المستنصر. (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م).

(٢) **الصيديون**(٢): وهم مجموعة من الوحدات الخاصة، أما تسمية (الصيديون) فلعلها جاءت من كلمة (أصيد) وهو الملك أي أنهم جند الملوك، أو لأنهم كانوا يمشون بانضباط تام، رافعي رؤوسهم كبراً وخيلاء، لا يلتفتون يمنة أو يسرة. وربما سموا بالصيد لهذه الصفات التي تلازم الصيد عادة، وهم كبار القوم. وربما سموا بذلك لأنهم يلازمون الأمير أو الخليفة.

(٣) **العبيد الجعفريون**: وقد سموا بذلك لأنهم كانوا أتباعاً للحاجب جعفر بن عثمان المصحفي(٣).

وهذه الفئات الثلاث من الوحدات الخاصة كانت تضم الجند الأحرار، والجند العبيد بكل صنوفهم من الفرسان: والرماة والمدرعين ومن المرتزقة الأجانب ومن بعض التشكيلات التي تعتمد على المتطوعة الذين كانوا يتسابقون إلى تلبية نداء الواجب، ويحققون آمال الدولة والخليفة فيهم، غير أن افرادها كانوا يعودون إلى أعمالهم العادية بمجرد انتهاء الحاجة اليهم. ويصف ابن حيان طبيعة عملهم حيث يقول في معرض حديثه عن الخليفة المستنصر عندما بعثه بجيشه لقتال حاكم قشتاله وحلفائه سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م. "وفي غرة شهر رمضان تسارع مطوعة أهل قرطبة بالخروج إلى الثغر الأعلى ممدين لأهله، فانجفلوا راغبين في الجهاد بأموالهم وأنفسهم يوماً اثر يوم، وأعجب السلطان بما كان من انبعاث مطوعتهم دون إلزام لهم وأثنى بصالح بلائهم".

وكان العبيد الجعفريون يشكلون قوة الجيش التي يعتمد الخليفة عليها في العاصمة، ولذلك كان يطلق عليها اسم (جيش الحضرة)(٤).

(٤) **الصقالبة (الحشم)**: يطلق مُصطلح الحشم على المرتزقة الذين كانوا في غالبيتهم من

---

(١) الرسالة الشريفية، ص٢٠٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صيد)، ص٤٩٩.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٥، ٤٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٧٠ و ٢٦٥؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٩٤-٩٥. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ١٢٠.

العبيد، لذا كانوا يعرفون بالمماليك أو الصقالبة(١)، والفرق بين الجنود و (الحشم) أن الحشم هم المرتزقة الذين كانوا يشاركون في الحملات التي كانت تجري في شمال الأندلس أو في افريقية(٢).

وكان الحشم يمثلون جزءاً من الجيش الخليفي الذي كان السواد الأعظم منه يتكون من الجند ومن الحشد. ولذلك، كان المؤرخون الأندلسيون يرددون عبارة (الجند والحشود) كثيراً(٣).

وكان يعيّن على الحشم مسؤول يسمى (الناظر على الحشم)(٤) أو صاحب الحشم، وهو الذي يدير هذا النوع من الوحدات الخاصة من الجيش(٥).

وكانت سياسة الدولة الأموية في الأندلس تقوم – منذ البداية – على اصطناع الموالي والصقالبة، وتتخذهم أداة وبطانة. وأول من اتخذهم من الأمويين هو الأمير عبدالرحمن الداخل الذي اضطرته الظروف العصيبة، والثورات التي قام بها عليه خصومه ومنافسوه من زعماء القبائل العربية إلى اصطناع البربر والموالي(٦)، كثورة العلاء بن مغيث الجذامي رئيس جند

---

(١) الصقالبة: كلمة مشتقة من كلمة Esclave الإفرنجية، ومعناها: الرقيق أو الأسير. وقد أصبحت تطلق في الأندلس على الأسرى والخصيان والأجناس الصقلية (السلافية) الحقيقية. ثم أصبحت تطلق على الأجانب الذين يعملون في القصر. وكان هؤلاء مزيجاً من الجليقيين (النصارى الأسبان) والألمان والفرنسيين واللونبارد والإيطاليين، وكان معظمهم يؤتى بهم وهم أطفال بواسطة القراصنة وتجار الرقيق، وكانوا يختارون من الجنسين، ويُربون تربية عربية إسلامية. انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٤٠-٤١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٢-٣٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٦. وكانوا يسمون بالفتيان والخلفاء، كما وردت تسميتهم بالخُرس والمجابيب والمماليك، ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر انطونيا، ص١١١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، م٦، ص٣٧٨؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٦٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٧ و ١٧٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٤.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢، ٢٥، ٣٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣.

(٦) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٦٠؛ عنان، دولة الإسلام، ج٢، ص٤٠٨.

مصر في باجه سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م (١).

وثورة سعيد اليحصبي المطري في نبله سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م.

وثورة أبي الصباح بن يحيى اليحصبي سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م في اشبيلية(٢).

هذا بالإضافة إلى ثورات اليمنيين في اشبيلية ولبله وباجه بقيادة حيوة بن ملامس الحضرمي، وعبدالغافر اليحصبي في سنة ١٥٦هـ / ٧٧٢م، وقد استطاع الداخل القضاء على هذه الثورات(٣).

وحافظ خلفاء الداخل على هذه السياسة، بل توسع بعضهم مثل الحكم الأول (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) فيها حيث استكثر من الموالي والصقالبة(٤)، وجعل فرقة من حرسه الخاص من فيء أربونه Narbonn كان قد ورثهم عن والده هشام. وقد بلغ عددهم في عهده نحو خمسة آلاف(٥).

وكان هؤلاء الصقالبة (الحشم) يسمون (الخرس) لعجمتهم، وعدم معرفتهم باللغة العربية(٦). وقد ظل هؤلاء في الفترات اللاحقة على عجمتهم، لعدم امتزاجهم بالسكان الفاتحين من ناحية، ولاستمرار تدفق أعداد كبيرة منهم على الأندلس من ناحية أخرى(٧).

وكان الصقالبة يستخدمون كحرس خاص لقصر الأمير الحكم بن هشام (الحكم الأول)

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ٣٢-٣٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١-١٠٢؛ ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٥٢.

(٢) مجهول، اخبار مجموعة، ص١٠٥-١٠٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٣-٧٤.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣١-٣٢؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧-١٠٨؛ ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٥٠-٥١.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، م٦، ص١٤٩ و ص٣٧٧؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٢٥.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٤؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤٨-٢٤٩؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٧٧.

(٦) ابن خلدون، العبر، م٤، ص١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٣٨-٣٤٠و ٣٤٢؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٩.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٥.

(١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م)، والقضاء على الحركات المناوئة لسلطته عند الطوارئ(١)، كحركة الربض التي قامت ضد الحكم الأول سنة ١٨٩هـ / ٨٠٤-٨٠٥م. حيث استخدم المماليك في القضاء عليها وسمي على أثرها بالحكم الربضي(٢).

وفي سنة (١٩٠هـ / ٨٢١م) ثار البربر بزعامة اصبغ بن عبدالله بن وانسوس في ماردة واستطاع الجيش القضاء عليها(٣).

وعندما تولى الأمير عبدالرحمن بن الحكم الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢١-٨٥٢م) امارة الأندلس قام باصطفاء الموالي والصقالبة، وابتاع أنصبة اخوته من مماليك أبيه العجم، وكانوا خمسة آلاف فارس يرابطون إزاء باب القصر في قرطبة فوق الرصيف، والفي رجل على أبواب القصر(٤).

وقد أطلقت على هؤلاء الفتيان الصقالبة أسماء عديدة مثل: (العلوج) و (المجابيب) و (الخلفاء)(٥). وكان الأمويون يستخدمونهم أحياناً للقضاء على الإضطرابات خارج العاصمة قرطبة Cordoba(٦)، كما شاركوا في الحملات ضد النورمان أو الفايكنج في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم(٧).

وبمرور الزمن ازداد نفوذ الصقالبة في شؤون الإدارة والحكم، بل تدخلوا في القصر نفسه، واصبح يعهد إليهم بالمناصب الكبرى فيه، وفي الإدارة والجيش، حتى أحرزوا الضياع والأموال الوفيرة، ففي سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م في عهد الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله

---

(١) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٢٥؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٧٧؛ ابن الأثير، الكامل، م٦، ص٣٧٨؛ مجهول، اخبار مجموعة، ص١٢٩-١٣٠؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٤٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٢-٧٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٢.

(٤) عنان، دولة الإسلام، ق٣، ص٢٧٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٣؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٤٩.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٤-٨٧.

أصبح منهم قائد الجيش، وصاحب الخيل(١)، وصاحب الشرطة(٢)، وصاحب النظر على الخاصة(٣). وقد بلغ عددهم في عهده ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين رجلاً في مدينة الزهراء وحدها، بينما بلغ عدد النساء في القصر ستة آلاف وسبعمائة وخمسين، تجري عليهم جميعاً

---

(١) صاحب الخيل: تعني وظيفة الإشراف على شؤون الخيل وما يتصل بلوازمها وأدواتها في التنظيم العسكري للجيش – سيرد ذكر صاحب الخيل في الصفحة ١١٧ من هذا الفصل. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٤، ١٤٩، ١٥٩، ١٦٧؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٦.

(٢) صاحب الشرطة: عرفت هذه الوظيفة بالدولة الأموية بصاحب المدينة أو صاحب الليل. وهو المسؤول عن الشرطة، ويذكر ابن حيان ثلاثة أنواع من الشُرط، الكبرى، والوسطى والصغرى، ولصاحب الشرطة بعض سلطات القاضي، كما يقوم أحياناً بتنفيذ بعض الحدود بعد أن يصدر القاضي الحُكم، وربما نظر في الحدود. فكان صاحب الشرطة مسئولاً عن الأمن والضرب على أيدي المجرمين. وصاحب الشرطة الصغرى كان مختصاً فيما يتصل بعامة الناس، أما صاحب الشرطة العليا (أو الكبرى) فيضاف إليه، زيادة على ذلك، النظر في القضايا الخاصة من الناس وكبار رجال الدولة، والضرب على أيدي العابثين منهم أو باسمهم من اقاربهم وحاشيتهم. وأما الشرطة الوسطى، فقد أوجدها الحكم المستنصر، ولعل مهمة صاحبها انجاز بعض الأعمال الخاصة التي يكلفه بها الخليفة لحفظ الأمن. انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٤.

لذلك يعتبر منصبه من المناصب القضائية والإدارية، وكان ينتخب من كبار القواد أو الخاصة، كما كان يعهد إليه أحياناً بمهام حربية كإعداد القوات وتعبئتها أثناء التعبئة العامة. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص١٣٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٣٩٣، ٤٩٤، ٤٤٥، ٤٥٠؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢٨، ومكي، ص٢٧٦.

(٣) صاحب النظر على الخاصة: وهو المسؤول عن كل طائفة من طوائف أهل الخدمة والتي تكلف بمهام محددة طبقاً لتدريب أفرادها وخبراتهم وطبيعة عملهم، كناظر على الحشم، والذي كان يعهد اليه بمهام رياسة طائفة من أفراد الوحدات الخاصة من المماليك وفرسان الرياضة والعبيد الخمسين والرماه في أوقات السلم أو الحرب. انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢، ٢٥، ٣٥.

رواتب الطعام بسائر صنوفه(١).

ومما يدل على ازدياد عددهم في عهد عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله أنه وزعهم - بعد هزيمته في موقعة الخندق سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م - على كل مدن الأندلس وحصونها وقصباتها وثغورها(٢).

واستمر الإهتمام بالصقالبة في عهد الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م)، فقد عهد للأكابر منهم بمناصب رفيعة(٣)، وزاد عددهم كثيراً حتى أن المقري اشار الى كتيبة من الحشم في عهد الحكم المستنصر،ثم رجع ووصف هذه الكتيبة بالجيش، مما يدل على كثرة عددهم(٤).

وفي أواخر عهد الدولة الأموية في الأندلس ازداد نفوذ الصقالبة بشكل خطير، وأصبحوا يتدخلون في ترشيح بعض الخلفاء وتعيينهم، فقد حاولوا تولية المغيرة بن عبدالرحمن الناصر (سنة ٣٦٦هـ / ٩٦١م) بدل هشام المؤيد (٣٦٦ - ٤٠٣هـ / ٩٦١-١٠١٢م)(٥).

وقد أدى الاهتمام بالصقالبة وتفضيلهم على الضباط والجنود العرب إلى سخط هؤلاء، وفتور عزيمتهم، وهبوط روحهم المعنوية، مما أدى إلى نتائج سلبية في حربه ضد ملك ليون، فقد قام الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) بتنصيب أحد الصقالبة قائداً للجيش في موقعة الخندق سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م، وهو نجده بن حسين الصقلبي (ت٣٢٧هـ / ٩٣٧م)، وكانت تلك الموقعة بين الناصر وراميرو الثاني Ramiro II ملك ليون Leon. وعندما بدأت المعركة قرر وجوه الجند العرب أن يتركوا الصقالبة وحدهم، مما أدى إلى هزيمة الناصر وجيشه بالقرب من مدينة شنت منكش Simancas. ثم لحقهم العدو، فالتجأ معظم أفراد الجيش إلى خندق عميق سميت المعركة باسمه، ولم ينج منهم إلا عدد قليل من بينهم الناصر. ولما عاد

---

(١) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٨-٢٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٢؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص٣٤و١٦٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٤٠-٤١.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٤٥٥-٤٥٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٩.

(٤) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٨-٣٨٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٣١٨--٣١٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٠؛ المقري، ازهار الرياض، ج٥، ص١١٠.

الناصر إلى قرطبة أمر بإعدام ثلاثمائة من الفرسان الذين تخلوا عنه في المعركة(١).

هذا، وقد كان الصقالبة (الحشم) يقومون في أوقات السلم بالإشراف على ترتيب الجند، وتهيئتهم للإستعراض من أجل استقبال وفد رسمي أو ضيف كبير(٢). أما في الحرب فكانت مهمتهم الرئيسية هي القيام بالإشتباك الأولي، أو كانوا من القوات الخاصة التي تهاجم المدن، وتقاتل في شوارعها، وتحاصر الحصون وتقتحمها، وذلك قبل وصول قوة الجيش الرئيسية(٣) من القوات النظامية والفرق العسكرية العاملة التي تنتمي الى مدن الأندلس وأقاليمها المختلفة(٤).

كما كان الصقالبة يقومون بمهام أقرب ما تكون لمهام الشرطة العسكرية في الجيوش الحديثة(٥).

(٥) **أما النوع الخامس من الوحدات الخاصة** فهو اولئك الذين يمكن أن نطلق عليهم اسم (جيش الثغر). فجيش الثغر إنما هو تشكيل عسكري كان يرابط باستمرار في المناطق الحدودية (الثغور) المتاخمة للممالك القشتالية. وكان يُعهد بقيادته عادة إلى شخصية عسكرية قوية تتولى إمرة الثغر، وتدافع عنه(٦).

وإضافة إلى المهمات المنوطة ببعض الوحدات الخاصة كالصقالبة، وجيش الثغر، كانت هذه الوحدات – بشكل عام – تتولى حراسة الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، والمشاركة

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥٥-١٥٦؛ ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٤٣٦-٤٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٦-٣٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٨-٩٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩٥-١٩٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٧١-٧٢و ١٥٠-١٥٢و ٢١٠-٢١١، ونشر انطوانيا، ص١١٨.

(٤) مثل طائفة الفرسان الطنجيين المدرعين، ورجّالة قرطبة، ورجّالة طليطلة، ورجّالة سرقسطة، ورجّالة الأرباض فضلاً عن أجناد الكور وهم: جند دمشق أهل البيرة، وجند حمص أهل اشبيلية، وجند قنسرين أهل جيان، وجند فسطين أهل شذونة. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٣-٣٤٥؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٨، ١٣٦، ١٩٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٧٨.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٥.

في استعراضات الإحتفالات، والأعياد. ولذلك كان أفرادها يهتمون بمظهرهم فيتسلحون بالأسلحة المزركشة، ويرتدون أجمل الثياب.وكان من واجبات هؤلاء أيضاً إرشاد المشاركين بالاحتفالات إلى أماكنهم المحددة(١)، وتوزيع الأموال والهبات على الفقراء والمساكين في المناسبات الدينية(٢).

وكانت هذه الوحدات الخاصة تقوم بمعاونة الفرق النظامية بصفة أساسية كقوات إمداد، إذا تطلب الأمر ذلك. فعندما احتاج الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن إلى مزيد من القوات خلال معركته ضد حسن بن قنون سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م، أمر الخليفة الحكم المستنصر بإنفاذ صاحب الحشم قاسم بن محمد بن طملس (ت٣٧١هـ / ٩٧١م) على رأس طائفة من أفراد الوحدات الخاصة، فسار معه مائة غلام من الرماة المماليك وفرسان الرياضة، بالإضافة إلى كتائب من صفوف الأجناد والعبيد والرماة، وأمامه قافلة من الدواب، محملة بالعتاد والأسلحة(٣).

ومن التشكيلات العسكرية أيضاً أهل الكور المجندة الذين كانوا يستنفرون عند الحاجة بأمر من الأمير أو الخليفة، لا سيما إذا كانت هناك حملة عسكرية كبيرة(٤). كجند دمشق (كورة البيرة)، وجند حمص (كورتي اشبيلية ولبله) وجند قسرين (كورة جيان)، وجند فلسطين (كورتي شذونه والجزيرة الخضراء) وجند الأردن (كورة ريه)، ومصر (كورة باجه)(٥).

فلقد ظلت كور الأندلس المختلفة تشكل ركيزة أساسية للقوة العسكرية حتى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (٣٥٠هـ / ٩٦١م). ففي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) قدمت كور الأندلس ونواحيها إلى جيش الدولة الأعداد التالية من الفرسان(٦):

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٣١-٢٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤، ١٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٦.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٥؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٧و٥٧و ٩٥و٢١٢و ٢١٣و ٢٣٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢١.
ارجع الى تفسير الكور المجندة ص ٣٠ من الباب الأول.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٤٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٣.

الكوره	أعداد الجند
كورة البيرة	٢٩٠٠
كورة قبرة	١٨٠٠
كورة تاكرنا	٢٩٩
كورة استجه	١٢٠٠
كورة شذونه	٦٧٩٠
كورة فحص البلوط	٤٠٠
كورة تدمير	١٥٦
قلعة رباح وأوريط	٣٨٧
كورة جيان	٢٢٠٠
باغة	٩٠٠
الجزيرة	٢٩٠
قرمونة	١٨٥
ريه	٢٦٠٠
مورو	١٤٠٠
ربينة	١٠٦
شريش	٣٤٢
حصن شندلة	١١٣

ولا يتضمن هذا الجدول قرطبة العاصمة التي كانت تترك لاجتهادها وهمتها، حيث تحشد ابناءها عن طريق التطوع، خلافاً لأهل النواحي الأخرى(١).

ويلاحظ على هذا الجدول أنه لا يتضمن كلاً من اشبيلية ونبله مع أنهما من الكور المجندة. كما يلاحظ أن الكور المجندة كانت تقدم أعداداً كبيرة جداً من الفرسان إذا ما قورنت بالكور غير المجندة، فالبيرة وجيان وشذونة ورية قدمت أكثر من أربعة عشر ألف فارس، بينما

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٩؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٣٠٦-٣٠٧.

لم تقدم ثلاث عشرة كورة أخرى من الكور غير المجندة أكثر من نحو سبعة آلاف وستمائة فارس. وتعليل ذلك هو أن الكور غير المجندة مثل (قبرة، باغه، تاكرانا، فريش، فحص البلوط، مورور، تدمير، الجزيرة الخضراء، استجّه، قرمونه، ربينه، قلعة رياح واوريط، حصن شندلة) كانت تقدم الضرائب بدلاً من الفرسان(١).

وبالتالي فإن الأرقام الواردة لا تعكس حقيقة الوضع، لأن العدد الذي يمكن جمعه من الفرسان إنما يتوقف على التعداد السكاني لكل كورة، وعلى التركيب الجغرافي للمنطقة، وحالة السلم الداخلي لها، وعلى ما إذا كانت المنطقة كورة مجندة.

ولإعطاء فكرة عن اختلاف الأعداد وفقاً للمعطيات السابقة، نشير إلى ما ذكره ابن حيان(٢) من أن عدد الفرسان الذين كان يعتمد عليهم القائد أحمد بن محمد بن أبي عبده (ت٣٠٥هـ / ٩١٧م) في حربه زمن الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) كان نحو ثلاثمائة فارس من جند قرطبة. بينما يذكر البكري أن عدد الجيش الأندلسي في عهد عبدالرحمن الناصر في موقعة الخندق ٣٢٧هـ / ٩٣٨م بلغ مائة ألف فارس(٣).

وفي عهد محمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠٠٢م) ازداد عدد الفرسان بنحو اثني عشر ألفاً ومائة فارس، نتيجة لاستقدام الكثيرين من البربر من شمالي افريقية(٤) سنة ٣٧٣هـ من قبيلتي زناته وصنهاجه ومطغره، وازداجه وبني يفرن، وبني برزال، ومكناسه وغيرها، فجاءوا إليه بأعداد كبيرة فكان لا يلحق في ديوانه إلا من تقرر غناؤه وتحقق نفعه وكرم موقعه(٥). فقد بلغ عدد الفرسان من البربر في ديوانه ثلاثة آلاف فارس، يضاف اليهم ألفا راجل (٦).

بينما يذكر ابن عذاري اعداد الفرسان المرتزقين في قرطبة ونواحيها في عهد المنصور، حيث يذكر أنهم بلغوا عشرة آلاف فارس، يضاف إليهم العدد نفسه تقريباً في أجناد الثغور(٧).

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٥٦.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونيا، ص١٢٩.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص٧٧؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٧٣.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٩٩.

(٥) المصدر السابق، ص٦٦؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٩٧.

(٦) ابن الخطيب، أعمال الاعلام (برواية ابن حيان)، ص١٠٢.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ص٣٠١.

وهذا الإختلاف في تقدير الأعداد يعود إلى التباس التشكيلات المختلفة على المؤرخين، تلك التشكيلات التي كان يتألف منها الجيش الأندلسي لا سيما عدد المتطوعين، على الرغم من محاولة السلطة تثبيت العدد حسب سكن الرجال في محلاتهم وأرباضهم، فقد كان يختلف من حملة إلى أخرى، ومن وقت إلى آخر. ففي إحدى المناسبات في عهد الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) بلغ عدد من استنفر من رجال قرطبة وأحداثها الذين يحسنون حمل السلاح نحو ستة عشر ألف رجل من المشاة(١). وكان لا يجوز التخلف عن اللحاق بالجيش إلا لمن كان لديه عذر مقبول. وكان صاحب المدينة – وهو المسؤول عن استنفار رجال القبيلة – لا يعذر أحداً، وإن كان بعض المتخلفين يظل قابعاً في داره، ولا يخرج إلا بعد عودة الحملة إلى قرطبة، أو بعد انتهاء المناسبة التي تم الاستنفار من أجلها (٢).

ولم يكن الاشتراك في الحروب اجبارياً دائماً، ففي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م) ألغى ضريبة (الحشود والبعوث) أي وجوب الخروج للصوائف في كل عام. بينما ظلّت بقية الكور الأخرى ملزمة بهذا الأمر، وقد استمر هذا الإجراء حتى عهد الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله(٣) الذي أصبحت ظروف البلاد في عهده حرجة بسبب الثورات الداخلية، واعتداءات الممالك القشتالية المختلفة في الشمال، الذي أرجع الإعتماد على المتطوعين من أهل البلاد ولم يستثن أحداً حتى أهل قرطبة.

ولكن الخليفة الناصر عاد وأعفى رعيته من غزو جليقية Galicia سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م، واقتصر في ذلك على غلمانه وحشمه وجنده المدونين المدربين. ويبدو أن هزيمة الخليفة الناصر لدين الله في السنة السابقة في معركة الخندق* هي التي دفعته إلى ذلك، فقد كانت

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٧-٤٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٩؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٤٤-٤٥، ٢٧١.

الخسائر كبيرة جداً في صفوف الحشود المستنفرة من المتطوعين، على العكس من الجند المدربين الذين نجا معظمهم من الهلاك بسبب خبرتهم في القتال(١)، وتبين للناصر كذلك أن الجموع الكبيرة للمتطوعين تسبب ارباك الجيش، وتحد من حركته وسرعة مناورته، فضلاً عن الحاجة إلى المؤن الكثيرة التي قد لا تتوافر لهم مما يؤدي إلى صعوبة التوغل في ارض الأعداء(٢).

وفي عهد محمد بن ابي عامر الملقب بالمنصور كان الإعفاء من الإشتراك الإلزامي بالحملات العسكرية أعم وأشمل، اذ لم يقتصر ذلك على قرطبة وحدها او على مدينة بعينها، وإنما طال الناس جميعاً، فقد أعلن سنة ٣٨٨هـ / ٩٩٨م اعفاءهم من هذا الإلتزام، ولكن "من تطوع خيراً فهو خير، ومن خف إليه فمبرور ومأجور، ومن تثاقل فمعذور"(٣).

وعندما تسلّم الحاجب المنصور أعاد تنظيم الجيش الأندلسي تنظيماً جديداً كفل له نتائج ايجابية على المستويين الداخلي والخارجي، حيث وزع الجند في مجموعات ضمن سرايا وفرق بغض النظر عن عصبية كل جندي، وأمّر عليهم قائداً يختاره من بين القادة، وجعل قواته من ناحية التنظيم أشبه بالقوات النظامية في العصر الحديث، مع تقرير رواتب شهرية لكل منتظم في هذه القوات وحسب موقعه ومكانته. وهذا النظام سهل أمر تجميع القوات في وقت سريع، وأصبح الجند أكثر التزاماً وانضباطاً من ذي قبل(٤).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٤٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص٤٤٩-٤٥٠.

(٣) ابن الخطيب، اعمال الإعلام، ص٦٨.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص١٠١؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ط١، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر، مصر، ص٢٢٩، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الطرطوشي، سراج الملوك؛ العبادي، من التاريخ العباسي والأندلسي، ص٤٥٣.

وبهذا التنظيم استطاع المنصور أن يسيطر على الجيش وان يستغني به عن حشود المستنفرين، حيث أصبح اعتماده على المشاه والفرسان من رجاله وفتيانه من العبيد والأحرار، الذين عرفوا فيما بعد بالفتيان العامريين، وذلك للحد من نفوذ الصقالبة في الدولة(١)، كما اعتمد على البربر، فاستدعى اهل العدوه من رجال زناته، فرتّب منهم جنداً، وعرف عرفاء من صنهاجة ومطغره وبني يفرن وبني برزال ومكناسه وغيرهم، وقدم رجال البرابرة وزنانة وأخّر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم(٢).

وتذكر بعض الروايات أن عدد الفرسان من البربر في ديوان المنصور بلغ "ثلاثة آلاف فارس، يضاف إليهم من رجاله الرقاصة السودان* الداخلين في عدادهم ألفا راجل تتمة خمسة آلاف"(٤).

وقد أورد ابن الخطيب (عن التجاني) بعض الاحصاءات المهمة عن جيش المنصور، فذكر أن الجيش المرابط (الثابت) بلغ في عهده من الفرسان اثني عشر ألفاً ومائة فارس من سائر الطبقات، جميعهم مرتزقون في الديوان، يصرف لهم السلاح والنفقة والعلوفة، وكان عدد الحرس الخاص ستمائة فارس غير الأتباع، وانتهى عدد الرجالة في الجيش** المرابط الى ستة

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦١.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٣١٩-٣٢٠؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١١٤؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٧٤.

* يبدو أن تسميتهم بهذا الإسم، كان بسبب طول هؤلاء السود، وحركة جسمهم اثناء سيرهم او استعراضهم في العاصمة.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٠٢.

** وهم كبار الفتيان القصريين والعامريين، وكان القصر تحت اشرافهم ويتولون مهمة ادارة فروع الخدمات اليومية، وتنظيم اللقاءات الرسمية، وحراسة الخليفة. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٧.

وعشرين ألف راجل(١).

وكان عدد الجيش المرابط يتضاعف وقت الصوائف بما ينضم اليه من صفوف المتطوعة، وقد بلغ عدد الفرسان في بعض الصوائف ستة وأربعين ألفاً، وكان عدد المشاة يتضاعف كذلك، وقد يبلغ المائة ألف أو يزيد(٢).

وخلال فترة الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ / ١٠٠٨-١٠٣١م)، وقع الصراع بين جند الأندلس الذين انقسموا إلى فريقين متصارعين، الأندلسيين في جانب، والبربر في جانب آخر، وقد لحق بالبربر خلال هذه الفترة أذى كبير، إلا أنهم استعادوا قواتهم ودخلوا قرطبة وسيطروا عليها سنة ٤٠٣هـ / ٩٩٩م. وخلال هذه الفترة أيضاً استعان بعض الخلفاء* بالجند المرتزقة من نصارى الشمال الأسباني، فلعبوا دوراً كبيراً في أحداثها(٣).

---

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٩٩.

(٢) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٩٩، ١٠١-١٠٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٥٠، ٦١و ١١٣؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٣٧-٣٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٢٩و ٤٣١.

* من خلفاء هذه الفترة:

- دولة محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر (لقبه المهدي): ولّي مرتين، الأولى يوم خلع هشام بن الحكم سنة (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)، والثانية بعد خلعه سليمان بن الحكم سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م. فكانت دولته الأولى بقرطبة تسعة اشهر، ودولته الثانية بعد سليمان ٤٩ يوماً. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٥٠، ٦١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣؛ ص٤٢٦.

- دولة سليمان بن الحكم بن عبدالرحمن الناصر (لقبه المستعين بالله): ولي مرتين الأولى يوم الثلاثاء السابع عشر لربيع الأول من سنة (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، وانخلع يوم الأحد ١٢ شوال من نفس السنة. فكانت دولته الأولى سبعة أشهر، والثانية من يوم خلع هشام بن الحكم سنة ٤٠٣هـ الى يوم قتله سنة ٤٠٦هـ ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصفاً .

انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٩١؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٣٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥.

- دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله الثانية: من سنة ٤٠٠ - ٤٠٣هـ / ١٠٠٩ - ١٠١٢م.

- **دولة الحسنية الحمودية: وكان يرأسها علي بن حمود، وأخوه قاسم من ملوك المغرب ....** =

ثانياً- العطاء:

لم تكن جميع الفرق النظامية والإدارية والوحدات الخاصة والوحدات المستنفرة التي يتكون منها الجيش الأندلسي، لم تكن هذه الفرق جميعها مدونة في ديوان الجند، وإنما كان بعضها مدوناً وبعضها الآخر متطوعاً، ولم يكن هذا الوضع ثابتاً في عهود الأمراء والخلفاء طوال العصر الأموي، وإنما كان يختلف من عهد إلى عهد، ومن ظرف إلى ظرف، لهذا لم يكن العطاء – وهو تنظيم مالي– ثابتاً في كل العهود والأحوال. فالتنظيم المالي في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل (١٣٨ – ١٧٢هـ / ٧٥٦–٧٨٨م) كان استمراراً للتنظيم المالي الذي طبق في عهد الفتوح وعصر الولاة(١).

ففي عصر الولاة سقطت بعض أراضي الأندلس في أيدي المسلمين عنوة، ووجد المسلمون بعض هذه الأراضي خالياً فاحتلوه، بينما صالح المسلمون بعض الأهالي، فاحتفظوا

= والذين استولا على قرطبة سنة (٤٠٧هـ / ١٠٠٦م)، وقتلوا المستعين وأزالوا ملك بني أمية من الأندلس، واتصل ذلك في خلفهم سبع سنين، أنظار: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٣٧.

– دولة عبدالرحمن بن هشام بن عبدالجبار بن الناصر لدين الله (لقبه المستظهر بالله) كانت دولته من رمضان سنة٤١٤هـ / ١٠٢٣م إلى ذي القعدة من نفس السنة فكانت خلافته سبعاً وأربعين يوماً. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٥.

– دولة محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الناصر لدين الله لقبه (المستكفي بالله)، خلافته: ولي مرتين، الأولى منها بويع يوم قتل ابن عمه المستظهر بالله يوم السبت لثلاث خلون من ذي القعدة من سنة ٤١٤هـ، وفرّ يوم خلعه، الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م.

– دولة يحيى بن علي المعتلي بالله الثانية: سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م، وبقيت ثلاثة أشهر.

– دولة هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر المعتد بالله الأموي: خلافته بالثغر وبقرطبه أربع سنين وسبعة أشهر ٤١٨–٤٢٢هـ / ١٠٢٧–١٠٣١م.

انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٥، ١٤٠–١٤٥.

(١) خماش، نجدة، الإدارة في الأندلس في عهد عبدالرحمن الداخل، مجلة دراسات تاريخية، العددان (٢٥، ٢٦) آذار، حزيران ١٩٨٧، جامعة دمشق، دمشق، ص٧٣. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: خماش، الإدارة في الأندلس.

(أي الأهالي) بأراضيهم بموجب شروط المعاهدات التي عُقدت بين الطرفين، كما ورد في اتفاقية عبدالعزيز بن موسى بن نصير مع تدمير بن عبدوش سنة ٩٤هـ / ٧١٣م(١).

وعندما جاء ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (رجب ١٢٥- رجب ١٢٧هـ / ٧٤٢-٧٤٤م)، قام بتوزيع الجند الشاميين على الكور، وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم(٢)، بينما لم تحصل الدولة إلا على الثلثين، وربما اقل في حالة الفوضى والاضطراب، أي أن أبا الخطار منح الجند حق استغلال الأراضي التي نزلوا فيها مقابل الخدمة العسكرية والمشاركة في الحملات والحروب(٣). وقد احتفظ ابن الخطيب بنص مهم رواه عن ابن حيان وأحمد بن محمد بن موسى الرازي(٤)، يشير إلى طريقة استدعاء هؤلاء الجند، ومقدار ما كان

---

(١) الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥٩.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ص٦١-٦٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٨.

(٣) ان انزال الجنود الشاميين في الكور المجندة يفسر لنا أمور كثيرة، منها سهولة تعبئة العرب للحرب، واستدعائهم للقتال اذا طلب منهم شيخ القبيلة أو رئيس الجند بناء على أوامر الأمير أو الخليفة، أو حتى تلبية لنداء بني عمومتهم أن استنجدوا بهم، وهذا بالتالي يفسر لنا قدرة عرب الأندلس على القتال واستمرارهم فيه ومعاركهم ضد بعضهم البعض أو ضد البربر، ويفسر لنا سر قدرتهم على حرمان الدولة من نصيبها في الخراج، وسرعة تكتلهم دفاعاً عن أنفسهم ضد ثورات المولدين التي حصلت في أواخر عصر الإمارة، وكل هذا يجعلنا نتلمس الدوافع التي جعلت الخليفة عبدالرحمن الناصر يكثر من جند الدولة المرتزقة الصقالبة والإعتماد عليهم في الدرجة الأولى، وجعل محمد بن أبي عامر يأخذ أموالاً من البلديين المقطعين عوضاً عن خروجهم للغزو، (وهم الذين دخلوا أول الفتح وعقبه مباشرة، وكانوا يتمتعون بحق ملكية هذه الأراضي، واعتبرتها الدولة اقطاعات فقد توارثها الأبناء عن الآباء، وبقي أحفاد هؤلاء المقطعين خلال عصري الإمارة والخلافة يدفعون العشر ومكلفين بالغزو بلا عطاء). انظر:
الغساني، محمد بن عبدالوهاب، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تطوان، ١٩٣٩، ص١١٣، وسيشار له فيما بعد: الغساني، رحلة الوزير؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص١١٠.
وجعله يدفع رواتب للجند الشاميين كل شهر وقدّم على الأرض جباة من قبله، وقام بتفريق أبناء القبيلة الواحدة في تشكيلات الجيش المختلفة.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٤-١٠٥.

يعطى لهم من مال، فكان عليهم أن يقدموا للجيش الأندلسي المركزي لواءين، لواء يغزو، ولواء يقيم على أهبة الاستعداد، وكان لكل لواء أمير يأخذ مئتي دينار عن كل حملة، أما الجند، وأقارب صاحب اللواء، فكان الواحد منهم يأخذ عشرة دنانير، ويعفى من أداء ضريبة العشر، وكان على البلديين أن يدفعوا هذه الضريبة، ولهم حق الإنخراط في ألوية خاصة بهم، ولكن دون أن يرتزقوا شيئاً. أما رؤساؤهم، أصحاب الألوية، فكانوا يتسلمون مائة دينار عن كل حملة.

ولدينا إشارة أخرى عن استمرار العمل بهذا النظام في منطقة الثغر الأعلى، فقد عقد الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) لبني تجيب، وأمّرهم على قومهم، وبنى لهم قلعة أيوب Calatayd، ودروقة Daroca، وغيرها من المدن والحصون، وألزمهم بمحاربة بني قسي، المنتزين بالثغر الأعلى، وأجرى عليهم الأموال، لكل واحد منهم عند كل حملة مائة دينار(١).

واستمر العمل بالإقطاع العسكري، (تمثله الكور المجندة، والقبائل العربية والبربرية)، طوال عهد الإمارة والخلافة (١٣٨-٣٦٦هـ / ٧٥٦-٩٧٦م) إلى عهد الحاجب المنصور الذي ألغى هذا النظام، وفرض على العامة والطبقات كافة مبالغ معينة من المال مقابل اعفائهم من الإلتحاق بالجيش وذلك لتأمين رواتب للجند أو لتجنيد غيرهم.

وكان العامريون يشجعون على توطين المقاتلة في الحصون المفتوحة في الثغور، وكانوا يأمرون جنودهم بألا يحرقوا منزلاً، ولا يهدموا بناءً ,وذلك تمهيداً لإسكان المسلمين فيها، فقد خصّص عبدالملك المظفر سنة (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) مبلغ دينارين تُدفع من الديوان كل شهر، وسكناً خاصاً، وأرضاً زراعية لمن يرغب في الإستقرار في الحصون المفتتحة في منطقة برشلونه Barcelona ، فرغب في ذلك خلق كثير، واستقروا بها(٢).

وبعد ضعف أو تقهقر الخلافة الأموية (٣٩٩-٤٢٢هـ / ١٠٠٨ - ١٠٣١م) وسيطرة قوى ضعيفة عليها، عجزت هذه القوى عن دفع رواتب الجند مما أدىإلى ظهور الشغب، وضعفت البلاد أمام الأعداء، مما دفع المرابطين إلى إعادة نظام الإقطاع العسكري من جديد(٣).

هذا، ولا تتوافر معلومات عن مقادير الأعطيات التي كان يحصل عليها المدونة (الفرق النظامية) ولكن من المؤكد أنهم كانوا يتسلمون عطاءً سنوياً في عصري الإمارة والخلافة(٤).

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٤.

(٣) الطرطوشي، سراج الملوك، ص٢٢٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١و ١٧٠.

ويقصد بالمدونة في الإصطلاح العسكري الأندلسي: الجنود النظاميين المسلحين المدونة اسماؤهم في (ديوان الجند)، تمييزاً لهم عن الفئات الأخرى مثل الحشم، والمتطوعين.

وكانت الدولة تستدعي المدونة عندما يصدر أمر بالتعبئة للحرب، وذلك طبقاً لما هو مسجل في ديوان الجُند من حيث الأسماء والرتب(١). وقد كان الأمير أو الخليفة الأندلسي لا يستخدم إلا المدونين في مدونته من أهل قرطبة فقط، وخاصة عندما تكون الحملة صغيرة، هدفها القيام بمهمة سهلة، أو القضاء على عصاة داخليين(٢).

وكان بعض الأمراء يأمرون بدفع عطاء مضاعف للجند بعد توليهم منصب الإمارة، كما فعل المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م) مثلاً بأن "أعطى عطائين للجند"(٣)، وكان هذا العطاء ينتقل إلى الأبناء في حالة استشهاد آبائهم في الحروب، كما فعل الأمير هشام بن عبدالرحمن (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م)، فقد رتّب في ديوان الجُند أرزاقاً لأسر الشهداء(٤).

وكانت الأعطيات تزداد أو تقل حسب ظروف الدولة وإمكانياتها، وحسب توافر الأمن والإستقرار في البلاد، أي أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين النظام الجبائي ودفع الأعطيات وبين الحالة السياسية، ففي عهد الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م)، بلغ خراج الأندلس ثلاثمائة ألف دينار، يتم إنفاق مائة ألف منها على الأعطيات، ومائة ألف على النفقات الخاصة بالأمير وحاشيته، ومائة ألف تدّخر حتى وقت الحاجة. ولكن الثورات وخاصة ثورة عمر بن حفصون (٢٦٧هـ / ٨٨٠م)، استنفدت المدخرات، وقلّ الخراج لامتناع النواحي عن أدائه، مما أدى إلى التضييق علىالجند بتقليل اعطياتهم(٥).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٨٠، (حاشية ١٦١).

(٢) المصدر السابق، ص٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٤.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٠.

(٥) المصدر السابق، ص١٥٠-١٥١؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٦؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص١٤٦.

أما الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) فقد توسع في عطاء الجند ومكافآتهم، ففي سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م ارسل إلى العدوى طائفة من الجند، لمعاونة الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن ومعهم أحمد بن محمد بن حُدير بثمانين ألف دينار دراهم(١). وفي ذي القعدة من العام نفسه أرسل إلى قائده غالب بن عبدالرحمن في العدوى بستة عشر حملاً من المال العين، وعدة أحمال من الكسى الضخمة والسيوف الحالية(٢).

وأما العامريون فقد توسعوا في الإنفاق على الجند، ويبدو أن كثرة أموال الدولة، قد شجعتهم على ذلك، ويذكر ابن الخطيب بهذا الصدد أن كسى المنصور بلغت في إحدى غزواته ألفي كسوة(٣). بينما بلغ ما كساه لجنده في إحدى غزواته لملوك الروم ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي، وواحداً وعشرين كساء من صوف البحر، وكساءين عنبريين، وغيرها من ثياب الديباج والفرو(٤).

أما الجُند المتطوعون، فقد كانوا يساهمون بالقتال في الحملات العسكرية مقابل صلات يمنحهم إياها الأمراء، فضلاً عمّا يحصلون عليه من الغنائم، ومما يُذكر في هذا المجال، أن عبدالملك المظفر وزّع سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م في إحدى غزواته التي فتح فيها حصن ممقصر في ثغر برشلونه، خمسة عشر ألف دينار على شكل صلات عينية على مجموعات من المتطوعين من شمالي افريقية، وعهد إلى خُزّانه كذلك لتوزيع خمسة آلاف درع، وخمسة آلاف بيضة، وخمسة آلاف مغفر على طبقات الأجناد الدارعين في جيشه(٥).

وكانت الأموال التي تخصص للعطاء، وللصرف على الحملات العسكرية، تأتي عادة من الجباية العامة للدولة، ففي أوائل عصر الإمارة بلغ دخل الدولة ثلاثمائة ألف دينار(٦)، وأخذ هذا الدخل في التزايد، ففي عهد الأمير الحكم الأول (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م) بلغت الضرائب النقدية التي تحصل من أقاليم قرطبة سنوياً (١٢٠٠٠٠) دينار(٧)، بينما بلغ مجموع

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٦-٢٩٧.

(٥) المصدر السابق، ج٣، ص٤.

(٦) المقري، نفح الطيب، م١، ص١٤٦.

(٧) البكري، المسالك والممالك، ص١٠٤-١٠٥.

الضرائب المحصلة من جميع أنحاء الدولة ٦٠٠٠٠٠ دينار(١)، وارتفع هذا المبلغ في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢-٨٥٢م) حتى وصل مليون دينار(٢). ثم أخذ هذا المبلغ يقل شيئاً فشيئاً كلما انتشرت الثورات في أنحاء الأندلس، خاصة في عصر الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م)، حيث بلغ ثلاثمائة ألف دينار(٣). ولكن في عهد الخلافة، وهو عهد الإزدهار، بلغت الجباية وخاصة في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين ألف دينار(٤). ومن المستخلص(٥) والأسواق التي كانت تأتي لصالح الخزانة الخاصة بالخليفة سبعمائة وخمسة وستين ألف دينار(٦). وعندما توفي الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م كان في خزائنه من الأموال (خمسة آلاف ألف ألف ألف دينار)(٧).

وفي عهد الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) تضاعف هذا المبلغ الذي صادر بعض رجال ابيه من الخدم والوزراء، "فكان الحاصل منهم عشرين الف الف دينار"(٨).

أما في عهد الحاجب المنصور فقد بلغت الجباية في آخر أيامه أربعة ملايين دينار، سوى رسوم المواريث بقرطبة وكور الأندلس التي تجري على الأمانة، وسوى مال السبي

---

(١) المقري، نفح الطيب، م١، ص١٤٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، م١، ص٢٨٨؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص١٤٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٧٩؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٧١؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٦٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٦.

(٥) مستخلص السلطان: يُراد به الأملاك السلطانية الخاصة التي يرجع ريعها إلى خزائنه الخاصة. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ص١٢٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٧٩.

(٧) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٧٩.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٢.

والمغانم في زمانه، وسوى ما يتصل به السلطان من المصادرات التي لا ترجع إلى قانون(١).

وكانت ميزانية الدولة تقسّم إلى ثلاثة أقسام، قسم ينفق لدفع أعطيات الجند ومصاريف الحرب، والقسم الثاني، ينفق على أعمال الإنشاء والبناء، والقسم الثالث والأخير يدخر في الخزانة(٢).

وكان (مغرم الحشد) أو (الناض للحشد) يعد ضريبة خاصة بالجيش، يجب على جميع الرعايا بكور الأندلس اداؤها، وهي ضريبة على المنقولات التي تُباع نقداً(٣)، وقد كانت قيمة هذه الضرائب كبيرة نسبياً، إذ بلغت جباية كورة لبله منها في أيام الأمير الحكم بن هشام بن عبدالرحمن (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) خمسة عشر الفاً وستمائة دينار(٤)، بينما بلغت جباية كورة مورور واحداً وعشرين ألفاً(٥).

وكان يُجبى من كورة البيرة أيام الأمير عبدالرحمن وابنه الحكم مائة وتسعة آلاف وستمائة دينار، اضافة إلى ألفي رطل حرير وألفي رطل عصفر، واثنين وأربعين ألفاً من غلّة المعادن (كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص ومعدن التوتيا الذي يُستعمل في صبغ النحاس)، والف ومائتي قسط زيت(٦). وكان يُجبى من كورة إشبيلية أيام الأمير الحكم بن هشام ابن عبدالرحمن الداخل خمسة وثلاثون ألفاً وأكثر(٧)، بينما كانت جباية قرطبة ايام الأمير هشام بن الحكم أربعة آلاف ألف دينار، أي ما يعادل نحو مليون وثلاثمائة ألف مثقال من الذهب(٨).

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٩٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٦؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٧١؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٨٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٨؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٦٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نضض)، ص٦٥٨.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٦.

(٥) المصدر السابق، ص١٨٨.

(٦) العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٠، ص٥٠٢. وسيشار له فيما بعد: القزويني، آثار البلاد.

(٧) العذري، ترصيع الأخبار، ص١٠٩.

(٨) المصدر السابق، ص١٢١.

وهذا الرخاء الإقتصادي انعكس إيجابياً على الجُند، فقد أغرقهم الأمير المنذر بن محمد بن عبدالرحمن بالعطاء، وتحبّب في الوقت نفسه إلى أهل قرطبة فأسقط عنهم العُشر(١). وقام الخليفة الحكم المستنصر بإسقاط سُدس مغرم الحشد على جميع كُور الأندلس سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م، تخفيفاً عنهم وإحساناً إليهم(٢). كما أسقط عبدالملك المظفّر، في عهد الحجابة، سُدس الجباية عن جميع البلاد(٣).

وفي عهد الحاجب المنصور ازدادت الحملات العسكرية ضد القشتاليين، مما ترتّب عليه ازدياد النفقات التي وفّرها عن طريق فرض الضرائب على أهل الأندلس مقابل إعفائهم من التطوع للجهاد، للتفرغ لزراعة أراضيهم. بينما كانت هذه الضرائب تُدفع كرواتب للجنود المرتزقة المقاتلة القادمين من شمالي افريقية(٤).

ولكن جُباة الضرائب تسلّطوا على الرعايا، وشدّدوا عليهم، فقلّ الإهتمام بالأرض وزراعتها، وبالتالي قلّت الأموال مما زاد في التضييق على الناس، حتى أن قرطبة أصبحت تُرسل الجيوش لجمع الضرائب عند الإمتناع عن أدائها(٥).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١٤.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٩٨؛ ذنون، عبدالواحد طه، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي، مجلة المورد، العدد ١، المجلد السابع عشر، ربيع ١٩٨٨م ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص٢٤. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: ذنون، تنظيمات الجيش.

(٥) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٤٦٩.

ثالثاً: المناصب العسكرية:

القيادة:

يحتل منصب القيادة مكان الصدارة في تنظيمات الجيوش، وقد تنوعت الوظائف القيادية في الجيش الأموي البري والبحري، فهناك قادة الفرق البرية، وقادة الأساطيل(١) الذين يتولون قيادة المراكب البحرية الحربية وتلك التي تنقل القوات البرية إلى السواحل، في حالة وجود عوائق مائية تحول دون وصول فرق الجيش المقاتلة إلى ميادين المعارك براً(٢).

وهناك أيضاً قادة المدن الأندلسية الذين كانوا بمثابة حكام عسكريين، يتبعون ولاة المدن، ويقومون بجمع الجنود وإرسالهم إلى الجبهات في حالة التبعئة العامة(٣).

وهناك كذلك قادة الثغور(٤)، الذين يتولون الدفاع عن الثغور، أي المدن والمناطق المتاخمة للأعداء. وكان الخلفاء يهتمون بإمداد هؤلاء القادة بفرق ووحدات إضافية تبعاً لمتطلبات الموقف.

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٩٦.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص١٧٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤١.

(٣) محمود، تنظيمات الجيش، (ع٣)، ص١٤١.

(٤) كانت في الأندلس ثلاثة ثغور: الأعلى والأوسط والأدنى. وهي بمثابة ربط أو جبهات حربية مستعدة دائماً للجهاد. أما الثغر الأعلى فيسمى أيضاً (الثغر الأقصى) لبعده عن قرطبة، وهو يطل على ولاية الحدود الشمالية الشرقية المواجهة لإقليم أرغون. كما كان هذا الثغر يواجه منطقة برشلونة ومملكة نافار. وتعتبر مدينة سرقسطة قاعدة هذا الثغر. وأما الثغر الأوسط فيواجه مملكتي ليون وقشتاله، وكانت قاعدته مدينة سالم في بادىء الأمر، ثم أصبحت مدينة طليطلة الواقعة على نهر تاجه عاصمة له، ويتميز هذا الثغر بكثرة الحصون التي كان المحاربون والثوار يلجأون إليها، لذلك نال اهتماماً كبيراً من الأمويين، الذين بنوا مزيداً من الحصون هناك. وأما الثغر الأدنى فيطلق على المنطقة الغربية الواقعة بين نهر دويره ونهر التاجة. وكانت قاعدته ماردة، ثم أصبحت قاعدته مدينة بطليوس. البكري، جغرافية الأندلس، ص٩٤-٩٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٨٩.

وكان القادة على اختلاف مراتبهم ومستوياتهم يعملون كمستشارين للخليفة، ولذلك كانوا يلقبون بالوزراء إلى جانب ألقابهم القيادية، حتى عرفوا بـ (القادة الوزراء)(١).

وعرف الجيش الأندلسي منصب القائد الأعلى، هذا المنصب الذي قام الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) بتقليده لقائده غالب بن عبدالرحمن (ت٣٧١هـ /٩٨١م) بسبب الإنتصارات المتتالية التي حققها في ميادين القتال، حيث أصدر مرسوماً بذلك، وقع عليه بخط يده، وأصدره في آخر ربيع الأول سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م، وقد جاء في هذا المرسوم: "ورأينا أن نوقع اسم القيادة العليا على غالب مولانا، لغنائه وجميل مقامه، فلا يخاطب من الآن إلا به تشريفاً له، إن شاء الله، والله المستعان"(٢).

وقد حظي القادة الوزراء بمكانة سامية لدى الخلفاء، وكانوا يتبوءون مقاعدهم الشريفة اللائقة بهم في الاحتفالات الخاصة باستقبال السفراء والمراسم والأعياد. ففي الاحتفال الذي أقامه الحكم المستنصر أثناء استقبال بون فليو Enneco BonFill سفيراً لبريل بن سنير Borrel Sunier حاكم إمارة برشلونة، في الرابع من شهر رمضان سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م(٣) في محراب المجلس الشرقي(٤)، جلس القادة والوزراء وكبار رجال الدولة على مراتبهم، فاتخذ الوزير القائد غالب بن الناصري(٥) مكانه السامي عن يمين الخليفة، وتحته الوزير صاحب الحشم قاسم بن محمد بن طملس(٦)، وعن يساره الوزير صاحب المدينة بقرطبة

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٨٤؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٠١؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٢٤٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤ و ٦٩.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص١٨٧؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٠.

(٤) المجلس الشرقي: أحد أجنحة قصر الزهراء، وهو الجناح المخصص لاستقبال السفراء والملوك. المقري، نفح الطيب، م١، ص٥٢٧.

(٥) غالب بن عبدالرحمن الناصري: مولى الخليفة عبدالرحمن الناصر، أصبح أيام الحكم المستنصر من كبار رجال الدولة، وفرسان الأندلس العظام (ت ٣٧١هـ / ٩٧١م)؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٤٦٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤.

(٦) قاسم بن محمد بن طملس: كان من القادة الأكفاء، ثم ترقى في بلاط الخلفاء حتى عيّن في وظيفة الوزير صاحب الحشم، وذلك في عهد المستنصر (توفي سنه ٣٧١هـ-٩٧١م). ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٤.

جعفر بن عثمان(١)، وتحته صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح.

وبلغ من اهتمام الخلفاء بقادة جيوشهم أنهم كانوا يضعون موارد الدولة وإمكاناتها كافة تحت تصرفهم في حالة الاستعداد لصد الأخطار الخارجية، حيث يقوم المختصون بشؤون الجيش، أو الإداريون، بالإعداد والتجهيز حتى تخرج القوات إلى ميادين الجهاد على أكمل وجه(٢)، وكان الخلفاء يوصون قادتهم، ويوجهونهم إلى ما يجب عليهم فعله عند التعامل مع الأعداء، كما فعل الحكم المستنصر عندما خرج القائد غالب بن عبدالرحمن لمحاربة حسن بن قنون(٣) سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م، حيث أوصاه بـ "إذكاء العيون، وبث الجواسيس، والاستكثار منهم، ومن حملة الأخبار"(٤).

ولم يكتف الخلفاء بإرسال الإمدادات إلى قادتهم في ميادين الحروب، بل حرصوا على منحهم مكافآت ومساعدات مالية، وإنفاذها إليهم في مواقعهم، رغبة في تقوية عزائمهم، وإثارة حماسة جندهم، وإعانتهم على تحقيق النصر. فلما وصل كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن إلى الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م بقدوم القائد عبدالرحمن بن رماحس باسطوله في الوقت المحدد، وانضمامه إلى القائد الأعلى أرسل اليه الخليفة مكافأة كبيرة عبارة عن كسى فخمة وسروج وألجم مُحلاة(٥).

---

(١) هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبدالله بن كسيلة القيسي، ولي جزيرة ميورقة أيام الخليفة الناصر، ثم استوزره المستنصر، وصار صاحب المدينة بقرطبة، توفي سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٨-٢٦٦.

(٢) محمود، تنظيمات الجيش، العدد (٣٠)، ص١٤٢.

(٣) حسن بن قنون، أحد ملوك الأدارسة، كان قد أطاع الخلافة الأموية بالأندلس، ثم ما لبث أن قطع الدعوة الأموية في بلاد المغرب الأقصى، وأظهر دعوة المعز لدين الله الفاطمي، فأنفذ اليه الحكم المستنصر قائده محمد بن القاسم بن طملس لكنه قتل، فأرسل قائده غالب بن عبدالرحمن الذي انتصر عليه ودخل به قرطبة بعد أن أعادة الى حظيرة الخلافة في محرم سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤ م.

السلاوي، احمد بن خالد الناصري، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، ج١، القاهرة، ١٣١٢هـ، ص٨٦ وسيشار إليه فيما بعد بـ السلاوي، الإستقصاء.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٣٥.

(٥) المرجع السابق، ص١١٦.

ولما أرسل غالب بن عبدالرحمن إلى الخليفة بكتاب يبشر فيه بما أحرزه من نصر على الخارجي حسن بن قنون في عدة معارك دارت بينهما، بعث إليه رداً تضمن الثناء عليه، كما أرسل إليه بعشرة آلاف دينار لصلات الخارجين إليه من اصحاب حسن بن قنون، يوزعها عليهم بحسب مقاديرهم، وأعداداً من الثياب الفاخرة والسروج والسيوف المحلاّة(١).

وكذلك ما منحه الخليفة الحكم المستنصر من مكافآت لكبير قواده الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن عندما أحرز انتصاراته على دولة الجلاقة الذين أغاروا على الثغر الأوسط في شعبان سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م فجلس الخليفة مجلساً خاصاً شهده الأمير ابو الوليد، والوزير صاحب مدينة قرطبة جعفر بن عثمان، وبعد أن تلقى القائد الأعلى أمر الخليفة بالتأهب لتطهير الثغر من أعداء الدولة، خلع عليه من كسوة الخاصة ثوباً أحمر عراقياً، بديع الصنعة، وقلّده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين في غمدين محليين بالأحجار الكريمة، لإعلاء منزلته ورفع مكانته ولقّبه بذي السيفين(٢).

وفي حالة عودة القائد من الحرب منتصراً، كانت تقام له الاحتفالات المهيبة، وكان الخليفة على رأس المستقبلين. فعندما عاد القائد غالب بن عبدالرحمن بعد انتصاره على حسن ابن قنون استقبله الخليفة المستنصر نفسه استقبالاً حافلاً شارك فيه الوزراء وحكّام المدن وقاضي القضاة وأصحاب الحشم والكتّاب وأولاد الوزراء والوصفاء وغيرهم(٣).

وكان الخلفاء يتولون أحياناً قيادة الجيوش بأنفسهم، لما لذلك من تأثير واضح على نفوس الجند. وقد ساهم معظم الأمراء والخلفاء في الأندلس بقيادة الحملات العسكرية سواء للقضاء على الفتن الداخلية أم لمواجهة الأخطار الخارجية. وإذا تعذر خروج الخليفة بنفسه لسبب من الأسباب، كان يرسل أحد أبنائه لينوب عنه في قيادة الجيش، ويكون في هذه الحالة بمثابة قائد معنوي، لأن القيادة الفعلية تكون عادة لقائد مجرب مسؤول عن الحملة عسكرياً(٤).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٧؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٠٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١٨-٢٢١.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٨٩-٢٩٠، وتحقيق الحجي، ص١٩٤-٢٠٢.

(٤) ابن حيان، المقتبس، نشر انطونيا، ص١٠٨-١٠٩ و١١٤و ١٤٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٦، ٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٠.

ومن الخلفاء القادة الخليفة عبدالرحمن الناصر الذي خرج بنفسه أكثر من مرة على رأس الحملات العسكرية، ولم يتوقف عن ذلك إلا بعد هزيمته في موقعة الخندق سنة ٣٢٧هـ /٩٣٨م التي أشرنا إليها سابقاً(١).

وكان قادة الجيش الأندلسي يتمتعون بصفات مميزة، ويتم اختيارهم بناء على توافر هذه الصفات فيهم، ومنها البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة وثبات الجنان ورباطة الجأش، وصدق البأس، ممن توسط الحروب، ومارس الرجال ومارسوه(٢)، ونازل الأقران وقارع الأبطال، عارفاً بمواضع الفرص، خبيراً بمواقع القلب والميسرة من الحروب، بصيراً بصنوف العدو، وبمواقع الغرة منه، ومواقع الشدة منه(٣).

كما يجب في القادة أن ينتموا إلى أسر عريقة يكون لها دور فعّال في تأسيس الإمارة الأموية، وتثبيت أركانها، مثل: بني شهيد، وبني أبي عبده، وبني مغيث، وبني فطيس(٤).

وقد برز من قادة الجيش الأندلسي: بدر مولى الأمير عبدالرحمن الداخل، وتمام بن علقمة الثقفي، وشهيد بن عيسى(٥).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٩، ١٧٠-١٧١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥٥-١٥٦.

(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص٣٢٦.

(٤) بنو فطيس: ينسبون إلى فطيس بن سليمان بن عبدالملك بن زياد الذي دخل الأندلس أيام الأمير عبدالرحمن بن معاوية، وقد ولاه هشام بن عبدالرحمن السوق. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص١٧٧.

(٥) شهيد بن عيسى: ينتمي إلى أسرة شهيد من أكبر الأسر الأندلسية وأثراها وأشهرها في عصر الإمارة والخلافة، وقد تصرف أفرادها لخلفاء بني أمية في الخطط الكبرى من القيادة والكتابة والحجابة، وظلوا كذلك حتى انقراض الدولة المروانية. وتنتهي هذه الأسرة إلى شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح. وقد دخل شهيد بن عيسى الأندلس أيام عبدالرحمن بن معاوية، وكان وثيق الصلة به. حتى أنه استخلفه على قصره حينما خرج لإخماد ثورة عبدالغفار اليحصبي سنة ١٥٤هـ /٧٧١م، وأسند إليه بعض المهام العسكرية فأبلى بلاءً حسناً، وولي القيادة أيام هشام بن عبدالرحمن، وأوكلت إليه مناصب قيادية كثيرة أيام غزو المجوس لاشبيلية سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥م. وكذلك ولي الكتابة والحجابة لعبدالرحمن الأوسط، وقد توفي سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٥-٢٦٦ (هامش رقم ١٠٤)؛ ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص١٦٢.

كما برز منهم: عبدالواحد بن مغيث، وعبدالكريم بن مغيث(١)، وعبدالواحد بن يزيد الاسكندراني(٢)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبده(٣)، وعبيد الله بن عبدالله البلنسي

---

(١) دخل مغيث مع طارق بن زياد، وهو مغيث بن الحارث بن حويرث بن حيلة بن الأيهم الغساني، ويدعى (مغيث الرومي)، وهو الذي فتح قرطبة. أما عبدالواحد فقد كان حاجبا لعبدالرحمن الداخل ثم لهشام، وكانت وفاته أيام الحكم الربضي سنة ١٩٩هـ / ٨١٤-٨١٥م. وقد أعقب ثلاثة أبناء كانت لهم مكانة عظيمة في أيام هشام بن عبدالرحمن وابنه الحكم. وهم: عبدالملك وعبدالكريم وعبدالحميد. أما الأولان فقد توليا القيادة في أيام هشام بن عبدالرحمن وابنه الحكم، وولي الأمير هشام عبدالكريم على كورة جيان. وقاد عبدالكريم الكثير من الحملات أيام هشام وابنه الحكم، وأحرز انتصارات كثيرة. وكان له بعد ذلك مقام محمود في إخماد ثورة الربض سنة ٢٠٢هـ / ٨١٨م. وقد توفي سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م، بعد أن تقلّب في أعلى مناصب الدولة، إذ ولي القيادة والكتابة والوزارة فضلاً عن الحجابة (رئاسة الوزراء) معظم أيام الحكم الربضي.

ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٣-٢٦٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٣٥-١٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٨، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧٥، ٨٠، ٨٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٢، ١٩٥.

(٢) عبدالواحد بن يزيد الاسكندراني: قدم إلى الأندلس حدثا متظرفاً، وكان يغني، فنصحه عيسى بن شهيد بالكف عن الغناء، ففعل. وأوصله الحاجب عيسى بن شهيد إلى الأمير عبدالرحمن فأعجب به، وولاه المدينة، ورقّاه بعد ذلك إلى الوزارة والقيادة، وفي سنة ٢٢٦هـ / ٨٤١م وجّه عبدالرحمن صائفة إلى جليقية أسند قيادتها إلى الاسكندراني الذي أبلى أيضاً في قتال المجوس (النورمانديين) عند نزولهم على سواحل أشبيلية سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤-٨٤٥م. وقد توفي الاسكندراني سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م عن نيف وثمانين سنة.

ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٤١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٤-٨٦.

(٣) يعتبر أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبده من عباقرة القادة العسكريين، وقد ظل طيلة أيام الأمير عبدالله يتردد بالحملات على الثائرين والناكثين بغير انقطاع، فلما مات الأمير عبدالله، وخلفه حفيده عبدالرحمن ظلّ في خدمته، وما زال يتردد =

المعروف بصاحب الصوائف(١)، وعبدالله بن كليب بن ثعلبة بن عبيدالجذامي(٢) وغيرهم.

وقد ضرب هؤلاء القادة مثلاً عظيماً في الشجاعة والإقدام، وتفانوا في خدمة الجيش، والدفاع عن الأندلس. بل إن بعضهم فضّل الموت على الهزيمة كالقائد أحمد بن محمد بن ابي عبده الذي استشهد سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م أثناء قيادته لإحدى الصوائف(٣).

وأصبح دور القائد ومكانه معروفاً بدقة في الجيش الأندلسي، كما أصبح واجبه واضحاً، وهو – ببساطة – قيادة من هم تحت امرته من الجند، وخوض الحروب اطفاءً لفتنة، أو رداً لكيد عدو. إلا أن تباعد مسارح العمليات، والحاجة للمزيد من حرية العمل، جعل أمراء بني أمية يمنحون أمراء الأقاليم وقادتها بعض الصلاحيات والسلطات الإضافية، مثل: تجنيد الأجناد، وتوجيه الجيوش، وتعيين قادة التشكيلات، ومتابعة إدارة الحرب، بعد أن كانت هذه الصلاحيات جميعها بيد الأمير أو القائد الأعلى(٤). ولكن كان على القادة أياً كانت مواقعهم إعلام الأمير أو الخليفة بكل تطور مهم، والإلتزام بتوجيهاته وأوامره إذا تطلب الموقف

= بالحملات حتى استشهد سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م في موقعة قاشتره مورش Castro Muros.

ابن حيان المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٧٢-٢٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٢-١٠٥ و ١٤٠-١٤٩، ٢٤٦-٢٤٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٥.

(١) هو عبيدالله بن عبدالله البلنسي، من أقارب الأمير عبدالرحمن الثاني، قاد العديد من الصوائف، منها صائفة سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م إلى برشلونة، وصائفة سنة ٢٢٧هـ / ٨٤١م التي وصلت إلى أربونة وسرطانية حيث حارب الأعداء، وانتصر عليهم.
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٨، ٧٦-٨٦.

(٢) هو عبدالله بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي، من اسرة ذات رياسة ونباهة منذ فجر الإسلام في الأندلس، كان له دور كبير في تأييد عبدالرحمن الداخل الذي عهد إليه بمهام عسكرية كبرى. وقد توفي أيام هشام بن عبدالرحمن.
ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٧٣.

(٤) د. العسلي، بسام، المذهب العسكري الإسلامي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص١٧١، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: العسلي، المذهب العسكري.

إصدارها(١).

وأخيراً فإن منصب القيادة كان يتطلب الحذر، وعمق التفكير، والتعقل. وهي صفات كان يطلبها الخلفاء والأمراء في قادتهم وولاة عهودهم. فقد نصح الأمير هشام بن عبدالرحمن (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨--٧٩٦م) ابنه وولي عهده الحكم بقوله: "كن رقيقاً حازماً مع قواتك وجيوشك حينما تعوزك الضرورة إلى وضع السلاح في أيديهم، واجعلهم واثقين دائماً من وفائك بوعدك، ولا تتوان عن كسب إرادة شعبك، ففي تعاطفهم يكمن أمان الدولة، وفي خوفهم يكمن الخطر، وفي كرههم يكمن الإنهيار المحقق(٢)".

صاحب الخيل:

كان في الأندلس ما عُرف بـ (خطة الخيل)، والخطة، بضم الخاء معناها نظام وتنظيم Institucion، والمسؤول عنها يسمى (صاحب الخيل)(٣)، وكان صاحب الخيل يُعين من قبل الخليفة(٤)، وله وكلاء يشرفون على الخيل ويتولون رعايتها. وقد كانت هذه الدور تضم أنواعاً مختلفة من الخيول والبغال(٥)، مثل: الخيل العتاق، والأفراس الشهباء، والبغال الظهيرة الوثاق، والبغال الزوامل، وغيرها(٦).

---

(١) العسلي، المذهب العسكري، ص١٧٢.

(٢) الشعراوي، أحمد، الأمويون أمراء الأندلس، ص٢٠٤.

(٣) صاحب الخيل: وهو المشرف على شؤون الخيل وما يتصل بها من وحدات الخدمة والإمداد والتموين، وذلك خدمة للجيش الأندلسي الذي كان يعتمد عليها في حروبه الداخلية والخارجية.

ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٤، ١٤٩، ١٥٩، ١٦٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٣٠، ٥٠، ١٥١، ١٧٧.

(٦) كانت البغال ذات السلالات الممتازة تجلب من جزيرةميورقة، وهي جزيرة تقع شرق الأندلس، وبالقرب منها جزيرة أخرى اسمها: منورقة.

الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٦.

وهذه البغال كانت توصف بحسن السير، وسرعة المشي مع الصبر على الكد والتعب.

ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٠.

وكان صاحب الخيل يلي عدة مخازن تحتوي على المعدات الخاصة بتجهيز الخيل والبغال وغيرها من الدواب، كما تحتوي على السروج العادية والمعرّقة، واللّجم المفرغة، ولجم خيول بلاط الخلفاء(١).

ومن واجبات صاحب الخيل ترتيب الجند، والقضاء على منازعات الجند(٢)، وقيادة الحملات العسكرية في بعض الأحيان(٣)، فقد بعث الحكم صاحب الخيل في سرية من وجوه الجند للقبض على السفراء القشتاليين(٤)، فهرعت في أثرهم، واستطاعت أن تظفر بهم حيث أعيدوا إلى قرطبة، وزُجوا في السجن. كما كان من واجباته قيادة قوات الإمداد والتموين. أما مكانة صاحب الخيل فتلي مكانة صاحب المدينة، ثم يتلوه في المكانة أصحاب الشرطة والخزان(٥).

وقد عُرف مقر صاحب الخيل بـ (دار الخيل) التي كان يساعده فيها موظفون يطلق عليهم (الوكلاء)(٦).

وإضافة إلى عمل الوكلاء كمساعدين في دار الخيل، كان يعهد إليهم بحمل الأموال والمنح المرسلة من الخلفاء لمن أبلى بلاء حسناً في الحروب، ومن هؤلاء دُري بن الحكم، المعروف بالهماز (ت٣٦٦هـ / ٩٧٦م) الذي حمل الأموال والمنح إلى الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن (٣٧١هـ / ٩٧١م) بعد انتصاره في حروبه ضد حسن بن قنون، لتَوزيعها على الأجناد المجاهدين في سبيل الدفاع عن الدولة، وذلك في شهر رجب سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م(٧).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١١٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٧٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٤، ١٥٣؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٧٨.

(٤) كان هؤلاء السفراء من قبل غرسيه فرناند صاحب قشتالة ٩٧٠م، وكان يتبع سياسة النفاق في إظهار رغبته في السلم، كما كان يغير على الأراضي الإسلامية. وعندما عاد هؤلاء السفراء بعث لهم الحكم المستنصر صاحب الخيل فقبض عليهم.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٧٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تقحيق مكي، ص٢٦٦.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤، ١٥١.

ويبدو أن هناك علاقة بين خطة الخيل والقيادة، ففي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن تولى هاشم بن عبدالعزيز (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م) دار الخيل والقيادة معاً(١). ولكن هذا المنصب فصل تماماً عن القيادة في عهد الناصر لدين الله(٢).

وكانت الخيول والبغال والجمال من وسائل النقل العسكري الأساسية فقد استكثر المنصور من البغال، وكان يأمر باستحضار ما يصلح منها قبل المعركة. ويذكر ابن الخطيب أنه ابتاع في سبعة أيام متوالية ثلاث آلاف رأس(٣). هذا بالإضافة إلى مستلزماتها من المراكب والحزم والسروج واللجم المختلفة الصفات(٤).

العيون (الجواسيس) وأصحاب البريد (الفرانقون):

اهتم المسلمون منذ بدايات فتحهم لشبه الجزيرة الآيبيرية بالعيون والجواسيس، ذلك أنهم كانوا مقبلين على فتح أرض جديدة لم يعرفوها من قبل. وقد كانت سرية طريف الاستطلاعية، ومن ثم مرافقة يوليان لطارق بن زياد أثناء فتوحاته من هذا القبيل، إذ كان من أهم واجبات يوليان أن يدل الفاتحين على العورات، ويتجسس لهم الأخبار(٥).

واهتم أمراء بني أمية بهذه الفئات، إذ كانت عيونهم تستطلع أخبار العدو، وتسير مع الجيوش، وتلازم الولاة، وخاصة في المناطق القتالية الجديدة.

والدارس لتاريخ الجيش الأموي يمكنه أن يتبين أنواعاً من العيون، فهناك العين الذي توظفه الدولة لتسقط أخبار العدو، وهناك العين الذي يتجسس على الدولة لصالح العدو(٦)، وهناك العميل المزدوج، وهناك العين المتطوع الذي ينقل الأخبار دون أن يكلفه أحد بذلك، وهناك العين الداخلي الذي ينقل أخبار الولاة والرعية إلى الأمير أو الخليفة.

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨-١٥٩؛ ابن سعيد، المغرب، ج ٢ ،ص٩٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص١٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٢٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٦؛ ذكر بلاد الأندلس، ص٩٨.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص٧؛ العسلي، المذهب العسكري الإسلامي، ص٣٢٠.

وقد نقلت إلينا مصادر التاريخ الأندلسي أخبار هؤلاء، ومواقفهم، ومنهم الشاعر الأندلسي عباس بن ناصح الجزيري الذي كان يجوب وادي الحجارة في الثغر الأوسط أيام الحكم بن هشام، فقد سمع ذلك الشاعر امرأة تقول: "واغوثاه، يا حكم، قد ضيّعتنا وأسلمتنا واشتغلت عنا، حتى استأسد العدو علينا"، فسألها عن شأنها فقالت: "كنت مقبلة من البادية في رفقة، فخرجت علينا خيل عدو، فقتلت وأسرت". وعاد الشاعر، فأنشد قصيدة وصف فيها خوف الثغر، واستصراخ المرأة باسم الحكم، فأنف، ونادى في الحين بالجهاد والإستعداد، وقاد جيشه بنفسه، متجهاً إلى اراضي جليقية التي كان ملكها يومئذ الفونسو الثاني، وتوغل فيها فيما يلي وادي الحجارة غرباً، واستطاع هزم النصارى في عدة وقائع، وقتل جموعاً كثيرة منهم، فاطمأنت نفوس المسلمين في الثغور (الثغر الأوسط والأدنى) وأنصفت المرأة المظلومة(١).

وتصاعد دور العيون مع تصاعد الصراع مع النصارى، فقد كان كل طرف يحرص على جمع أكبر قدر من المعلومات لضمان أمن قواته، ومن ذلك قصة الحاجب المنصور مع عيون العدو، فقد "كان الحاجب المنصور جالساً في بعض الليالي، وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر، فدعا بأحد الفرسان وقال له: انهض الآن إلى فج بليارش واقم فيه، فأول خاطر يخطر عليك سقه إلي. ونهض الفارس، وبقي في الفج واقفاً على فرسه رغم البرد والريح والمطر، وإذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له، ومعه آلة حطب، فقال له الفارس: إلى أين تريد يا شيخ، فقال: وراء الحطب، فقال الفارس في نفسه، هذا شيخ مسكين؛ نهض إلى الجبل يسوق حطباً، فما عسى أن يريد المنصور منه؟ وتركه حتى ابتعد عنه قليلاً، ثم فكر في قول المنصور، وخاف سطوته، فنهض إلى الشيخ واقتاده إلى المنصور، فوجده جالساً لم ينم ليلته، فقال المنصور للصقالبة: فتشوه، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً. فقال المنصور: فتشوا برذعة حماره. فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور يخدمون عنده إلى أصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في إحدى النواحي الموصوفة، فلما انبلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة، فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم"(٢).

وكان للخلفاء الأمويين عيون يطالعونهم بأحوال الناس، فقد كانوا يبعثون من أهل

---

(١) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٣.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٤١١؛ المقري، أزهار الرياض، ج٥، ص١٢٢-١٢٣.

العدل إلى البلاد سراً يسألون الناس عن سير أعمالهم، ثم ينصرفون إليهم بحقائق ما عندهم(١).

فقد صاح رجل متظلم بعامل من عمال هشام بن عبدالرحمن (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م)، فبعث للعامل، وأحضر إلى حضرة الأمير هشام، وقال هشام للمتظلم: "احلف على ما ظلمك، فإن كان ضربك فاضربه، وإن كان هتك لك ستراً فاهتك ستره، إلا أن يكون أصاب منك حداً من حدود الله تعالى". فجعل الرجل لا يحلف على شيء إلا أقاده منه(٢).

وكانت جبهات القتال إذا هدأت واستقرت تناقصت الحاجة إلى العيون، وكلما توترت تزايدت الحاجة للمعلومات. فقد ظهر نوعان من الإستطلاع القتالي، أولهما تضطلع بتنفيذه الطلائع والمقدمات التي تتقدم الجيوش، لتكون بمثابة عيون على الأعداء. وثانيهما تضطلع بتنفيذه قوات يتم تشكيلها بصورة خاصة لتأمين الحصول على معلومات معينة عن العدو، وطبيعة أرضه، وما يتوافر فيها من وسائل معينة أو عوائق، بهدف تحريك القوات إلى غاياتها وهي على معرفة تامة بطبيعة الأرض التي ستقاتل عليها(٣).

وقد كانت هذه الاحتياطات، إذا ما تمت بدقة وحرص، تؤدي إلى النصر المؤزّر، لأنها تؤمن أسباب النصر، مثلما تؤمن الحماية للقوات، وتقيها من التعرض للمباغتات، فقد غزا الحاجب المنصور أكثر من خمسين غزوة لم تهزم له راية، وما انصرف عن موطن إلا قاهرا غالباً(٤)، وذلك بسبب حرصه على استطلاع أخبار العدو عن طريق العيون.

أما أصحاب البريد (الفرانقون)* فكانوا يقومون بنقل الأخبار بين العاصمة وقادة الجيش في جبهات القتال، أو يكلفون بالمساهمة في نقل الأموال إلى تلك الجبهات. وكان عددهم كبيراً، ولهم عرفاء موكّلون بهم(٥). ومن المرجح ان الرقّاصة السودان، قد استخدموا لنقل البريد (٦).

---

(١) ابن خلدون، العبر، ق٢، م١، ص٢٧٧؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١١٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣، ص٣٧٤-٣٧٥.

(٢) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٢٢؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٤٠.

(٣) الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٢٨؛ العسلي، المذهب العسكري، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٤) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٩٨.

* الفرانقون: جمع الفرانق، وهو القائم بأمر البريد، الذي يحمل الأخبار. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٣٦.

(٥) الطرطوشي، سراج الملوك، ٣٤٠.

(٦) ابن الخطيب، اعمال الاعلام (برواية ابن حيان) ص ١٠٢.

ويبدو ان تسميتهم بالرقاصة، قد جاءت نتيجة لطول قامتهم ، وحركة أجسامهم أثناء سيرهم، أو استعراضهم في العاصمة وقد اطلق اسم (الرقاص) على الشخص الذي يحمل البريد وينقل الرسائل في الاندلس والمغرب، فربما كان بعض هؤلاء مخصصين لنقل البريد، نظراً لسرعتهم في الجري(١).

وقد كان أصحاب الأخبار بعد أن ينقلوا التقارير عن ميادين القتال إلى الخلفاء بحاضرة الخلافة، يحملون أوامر هؤلاء الخلفاء وتعليماتهم إلى القادة بصفة دائمة، وبطريقة منتظمة.

ونظراً لما يتمتع به البريد(٢) من أهمية لدى القادة والخلفاء على السواء، كان الخليفة يقوم بنفسه بالاطمئنان على ترتيب خطة البريد وتنظيمها وإعدادها. ففي حروب جيش الخلافة بالعدوة سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م اهتم الخليفة الحكم المستنصر بإقامة البريد وترتيبه بما يراه كافياً لنقل الأخبار بسرعة وانتظام، ولتحقيق ذلك أمر باتخاذ أحسن الدواب ورعايتها، وصرف رواتب القائمين عليها شهرياً، كما أمر الخازن* بإجراء العلوفة على الدواب والنفقة على الفرانقين.

وكان الفرانقين يحصلون على منح كبيرة في حالة ورود أنباء سارّة من ميادين الجهاد. فعندما وصل فحلون بن هزيل ومسعود بن محمد الفرانقين، مقر الخلافة بالزهراء في ذي القعدة سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م يحملان كتاب القائد عبدالرحمن بن رماحس** بفتح طنجة سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م استقبلهما أمير المؤمنين الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م).

---

(١) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، تحقيق عبدالهادي التازي، دار الاندلس، بيروت، ١٩٦٣، ص ١٢٩، وسيشار اليه فيما بعد بـ صاحب الصلاة، تاريخ المن.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٢، ٢٨٦، ٣١٠.

(٣) البريد: كلمة فارسية معناها مقصور الذنب، كناية عن استعمال البغال في نقل الرسائل، وصار مصطلح البريد يعني مسافة معلومة، هي أربعة فراسخ. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٥٨؛ ج١٤، ص٦٦.

* الخازن: وهو الشخص المسؤول عن توصيل الأموال والإمدادات، للقوات المرابطة بالثغور. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٤٩-١٥٠و ٢٢٣-٢٢٨. وسيرد ذكره بالتفصل في الصفحات القادمة من هذا الفصل.

** عبدالرحمن بن رماحس، قائد القوات البحرية في الأندلس، أمير البحر (Admiral) وكان قائد اسطول البحر المتوسط، ثم أصبح قائداً عاماً لأساطيل الأندلس في أيام الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م). ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤.

ولما فضَ الكتاب منح كلاً منهما مائة دينار درهم(١)، وخلع عليهما خلعاً جميلة(٢).

وليس أدل على انتظام البريد وتقدمه أن كتاب القائد ابن رماحس إلى حاضرة الخلافة لم يستغرق وصوله أكثر من يومين، مع أن المسافة من طنجة إلى قصر الزهراء بالأندلس بعيدة(٣).

ولم يقتصر دور الفرانقين على حمل الكتب والأخبار، وإنما كانوا يشتركون أيضاً في إرشاد قوات الإمداد إلى أماكن القوات النظامية، والإشراف على وصولها إلى أماكنها المحددة(٤).

كما كان الفرانقين يساهمون في حفظ الأمن، عن طريق مساعدة عرفاء المحارس والشرطة في القبض على المتهمين، تمهيداً لإيداعهم السجن(٥)، وبالتالي فإن صاحب البريد كان مسؤولاً عن الأمن الداخلي، إضافة إلى وظيفته كناقل أخبار(٦).

صاحب اللواء:

يعتبر اللواء رمزاً للقيادة والإمارة عند العرب، ولذلك اهتم به الأمويون، وكان أول لواء عقد لهم في الأندلس حينما توجه عبدالرحمن الداخل مع مؤيديه من الأنصار أو الموالين للأمويين كقبائل اليمنيين الذين كانوا يضمون الكثير من البلديين الأوائل، ومعظم رجال الأجناد في حمص والأردن وفلسطين، والبربر، وحتى بعض الأفراد القيسيين من جندي دمشق وقنسرين(٧) لحرب يوسف الفهري، فقد نزل إقليم طُشّانة من كورة اشبيلية صباح يوم الجمعة (١٠ ذي الحجة سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م)، فقال المشايخ: إمام لا لواء له!؟ خطأ في الرأي.

---

(١) كانت المكافأة درهم فضية.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص٩٠.

(٤) المصدر السابق، ص٩١.

(٥) المصدر اسابق، ص١٥٣.

(٦) العسلي، المذهب العسكري، ص٣٢.

(٧) مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٤-٨٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٤؛ المقري، نفح الطيب، م٣، ص٣١.

فعزموا على العقد له. وطلب من الجيش قناة* تعقد له، فلم يجدوا إلا قناة أبي الصباح اليحصبي(١)، وقناة أبي عكرمة جعفر بن يزيد جد بني السليم الشذونيين(٢)، فعُقد له في هذه القرية(٣) وكان عبدالرحمن وخلفاؤه يحتفظون بهذا اللواء، ويعقدون به النصر(٤).

ومن الذين تولوا حمل لواء بني أمية: أبو عثمان عبيدالله بن عثمان، وعبدالله بن خالد وأعقابهما. وهما من موالي بني أمية الذين ساعدوا عبدالرحمن الداخل في تولي السلطة، وأصبحا بعد ذلك يتعاقبان في حمل اللواء.

وكان من عادة أمراء بني أمية أن يعقدوا الأولوية للحملات والصوائف التي ينوون القيام بها، وذلك في أيام الجمع، في مسجد قرطبة الجامع(٥). وقد استمرت هذه العادة إلى عهد الدولة العامرية.

ومن الرايات العسكرية في الأندلس تلك المسماة بـ (العقدة والعلم**، والشطرنج الشامي)(٦).

وكان عقد الراية يتم وفق مراسم معينة لها طابع احتفالي خاص، فعندما عزم الحاكم المستنصر على توجيه قائده غالب بن عبدالرحمن الناصري لقتال النورمان سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م، أمر بإخراج الراية من مخازن العدة بقصر الزهراء إلى دار الوزراء، وكانت في ملحفة بيضاء زهرية مشدودة بمنديل، وهي تتألف من ثلاث قطع مميزة. ثم أُحضر عريف

---

* القنا: جمع قناة، وهي الرمح الذي يُتخذ من القصب المصمت. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٣.

(١) أبو الصباح اليحصبي: هو شيخ اليمانية في غرب الأندلس، ومسكنه قرية مورة من أعمال اشبيلية. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٦.

(٢) نسبة إلى شذونة. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥١.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الندلس، ص٥١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٤-٨٥؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٢-٣٣.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٢؛ المقري، نفح الطيب، م٣، ص٤٩.

** العلم: من معانيها: الراية، وهو المراد هنا، وكان يتولاها شخص يلقب بـ (أمير العلم)، وهو لقب لمن يتولى أمر الأعلام السلطانية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٢٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٥، ٤٧، ٦٧، ٢٥٢.

الخياطين لعقد هذه الأعلام في قنواتها، كما أُحضر قاضي مدينة قبره Cabra. وبعض الأئمة والمؤذنين، فلما أخذ الخياط اللواء، ابتدأ القاضي بقراءة سورة الفتح(١) من القرآن الكريم، حتى أتى على آخرها عند انتهاء عقد الراية، وذلك بين تكبير وتهليل الحاضرين. ثم عقدت الرايتان الأخريان كذلك، ونقلت الرايات الثلاث بواسطة كوكبة من الجند المسلمين المتأهبين رائعي الزينة إلى باب الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن، الذي كان ينتظر وصولها، ومن حوله جنده المتأهبون في عدتهم، فلما وصلت إليه استوى على صهوة فرسه إلى غايته(٢).

العريف:

يعتبر منصب العريف من المناصب غير المحددة تحديداً دقيقاً، فهناك صنوف من العرفاء(٣)، منهم العرفاء المدرعون(٤)، والعرفاء أصحاب الرسائل(٥)*، والعرفاء المسؤولون عن النقّابين(٦).

---

(١) سورة الفتح، ج٢٦ من القرآن الكريم.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٥-٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص١٩٦.

(٤) المصدر السابق، ص٤٥-٤٩، وقد سُموا بذلك لأنهم كانوا يرتدون الدروع ويتسلحون بالقنا الطويلة ويلبسون الأقبية وعلى رؤوسهم البيضات. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٣.

(٥) ابن حيان المقتبس، تحقيق الحجي، ص٧٦.

* أصحاب الرسائل: كان كاتب الرسائل يكتب بالفتح، فعندما انتصر عبدالملك المظفر في غزوته إلى بلاد الأفرنج وحصن ممقصر سنة ٣٩٣هـ /١٠٠٢م أمر كاتب الرسائل أحمد بن بدر أن يكتب بالفتح نظيرين أحدهما إلى الخليفة هشام المؤيد بالله، والآخر يقرأ على كافة السملمين بقرطبة، وتنفذ نسخته إلى الأقطار... وكان جملة ما تضمنه كتاب الفتح من عدد السبي: خمسة آلاف وخمسمائة وسبعين رأساً، وعدة الحصون التي فتحت عنوة فقتلت مقاتلتها، وسبيت ذراريهم، وغنمت أموالهم: ستة حصون من عدة حصون أخلاها العدو، فخربت ودمرت خمسة وثمانون حصناً، كلها مذكورة في كتابه. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٨؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٧٦.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢، ٢٢٧، وكانت مهمتهم فتح فجوات في أسوار العدو، وتخريب الجسور والقناطر التابعة له.

وتشير النصوص إلى اختصاصات عديدة للعرفاء، فقد كانوا في عهد الحكم بن هشام الربضي (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) ضمن القوات المستحدثة الجديدة، من الفرسان المماليك الذين رابطوا بالقرب من القصر للطوارئ. فقد كان للحكم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب نهر الوادي الكبير، عليها عشرة عرفاء، تحت يد كل عريف مائة فارس، فإذا بلغه في طرف من الأطراف أن هناك ثائراً عاجله قبل استحكام أمره، فلا يشعر حتى يُحاط به(١).

وكان العرفاء موكلين على الجند(٢)، ففي عهد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م) كان عشرة من العرفاء على رأس قوة من مائة وخمسين فارساً، وبمعيتهم مائة بغل أرسلت إلى عمر بن حفصون كشرط من شروط الصلح مع الأمير سنة ٢٧٤هـ / ٨٨٧م (٣).

وهكذا، فإن كل فئة من فئات الجيش الأندلسي كان لها عرفاء موكلون عليها، سواء كانت مهمة هذه الفئات قتالية أم إدارية(٤)، مثل: أصحاب الرسائل الخصيان، وعرفاء البنائين، والمهندسين، والعرفاء البحريين(٥)، وعريف الخياطين الذي يترأس المشتغلين بالخياطة داخل القصر الملكي(٦).

وكان لفظ العريف يطلق أيضاً على فرقة من الجنود راكبي البغال، ويسمى (صاحب البغال)، وهو غير صاحب الخيل(٧).

وكان العرفاء يقاتلون كمجموعة مستقلة بحد ذاتها، دون أن يكونوا متأمّرين على أحد من الجنود، مثلهم مثل أي مجموعة أخرى من القوات التي يتالف منها الجيش الأندلس. فعندما

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٥٩؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٩-١٣٠؛ ذكر بلاد الأندلس، ص١٢٥؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٤٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص٩١، ١٩٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٩-٩٦.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٥٩.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١١٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٥٩.

(٧) ابن الأبار، الحلة السيراء، ص٧٨.

عيّن الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله عبد الملك بن العاصي والياً على مارده Merida سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م، وصل إليها "في اليوم الثالث في ألف من العرفاء..."(١).

ثم إن الناصر نفسه عين أحد العرفاء سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م والياً على مدينة أُبذه Ubeda، وكان هذا "عريفاً من العجم يعرف بابن بزُنت"(٢). ويشير ذلك إلى وجود عرفاء متميزين يمكن أن يصلوا إلى مرتبة والي مدينة أو حاكمها، وهذا يتنافى مع المفهوم السائد للعريف من أنه كان قائداً لعشرة جنود أو مائة جندي. ولكن مع ذلك لا يمكن تجاهل وجود مجموعة كبيرة من هؤلاء العرفاء، تمثل فئة معينة في الجيش الأندلسي مهمتهم القتال(٣). وقد وردت إشارات كثيرة إلى هؤلاء في عهد محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م)(٤)، وعبدالملك المظفر ابن الحاجب المنصور(٣٩٣-٣٩٩هـ / ١٠٠٢-١٠٠٨م) (٥).

وقد انتقل لفظ العريف من العربية إلى الاسبانية دون تحريف في صورة (Alarife)، غير أن هذا اللفظ أصبح مقتصراً للدلالة على رئيس البنائين(٦).

صاحب العسكر:

يعتبر منصب صاحب العسكر منصباً تنظيمياً وأمنياً في آن واحد، فهو مسؤول عن ترتيب الجند وتعبئتهم للقتال، كما أنه مسؤول عن أمن المعسكرات، وحمايتها أثناء العمليات العسكرية من المتلصصين من العدو(٧). وقد كان الخليفة يشدد على صاحب العسكر أن يقوم بمهامه بنفسه، وليس اعتماداً على غيره من القواد، وذلك من باب الزيادة في الحرص على أرواح الجُند.

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١٤.
(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٣.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩٢؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٤.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦.
(٥) المصدر السابق، ج٣، ص٢١-٢٢.
(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٠.
(٧) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٣٤٠-٣٤٤.

العارض:

وهو المسؤول في الجيش الأندلسي عن خطة عرض الجند بين يدي الأمير، لإظهارهم واختبار أحوالهم(١). ولم تكن مهمة العارض سهلة بسبب ضخامة الجيش، وتعدد فئاته وتشكيلاته، لذلك كان يتولى هذه الوظيفة أكثر من شخص، ففي عهد الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله تولاها ثلاثة أشخاص وهم عمر بن محمد بن غانم، وعبدالرحمن بن عبدالله الزجالي، ومحمد بن سليمان بن وانسوس، وبعد سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م تولاها أربعة أشخاص في آن واحد، منهم اثنان من الفتيان(٢) وهم محمد بن عبدالله الخروبي، ومحمد بن أحمد بن حدير، وقند الكبير، ودُريء مولى الناصر. وفي سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م كان العارض شخصاً واحداً هو عبدالله بن محمد بن عبدالله الخروبي(٣).

وقد كان الخلفاء يستمتعون بالتطلع إلى عرض الجند بين أيديهم، وخاصة أيام توزيع العطاء، وأثناء التدريب، واللعب على ظهور الخيل(٤).

الخازن:

لم يكن هذا المنصب قد وصل إلى حد من التنوع والشمول كغيره من التنظيمات في عهد الإمارة (١٣٨-٣١٧هـ / ٧٥٦-٩٢٩م) ويشير ابن حيان إلى أن ظهور هذه الخطة قد بدأ في أيام الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م) ثم أخذت قواعدها تستقر ومعالمها تتحدد في أيام عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢-٨٥٢م)(٥)، فبعد تضخم الجيش الأندلسي، واشتراكه في مهمات قتالية كثيرة داخل الأندلس وخارجها في عصر الخلافة(٣١٧-٤٢٢هـ / ٩٢٩-١٠٣١م)، أصبح من الضروري وجود خدمات تنظيمية كثيرة لإدارة شؤون الجيش، وترتيب وصول الأرزاق والإمدادات إليه. وكان الخازن هو الشخص

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨-١٥٩، ١٦٧؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرض)، ص٧٣٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٩-١٦٤.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص١٩٤-١٩٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩٣-٢٢٣.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٤.

المسؤول عن توصيل الأموال والإمدادات بنفسه إلى الجند في جبهات القتال(١). وكانت له خزانة تسمى (خزانة السفر)(٢)*. أي أن وظيفة الخازن اشبه ما تكون بالعمل الذي يتولاه الآن وزراء المالية أو الخزانة.

وقد تولى هذا المنصب كثيرون، منهم الخازن عبدالرحمن بن أحمد بن الياس الذي خرج "في يوم السبت لعشر بقين من ربيع الآخر من سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م بالأموال إلى العسكر بالعدوة(٣).

وعندما كان الجيش يحتاج إلى المزيد، كان الخليفة يرسل شخصاً آخر ليأخذ الأموال إلى المقاتلين او يُسلمها للخازن المقيم مع الجند(٤). أي لم يكن يعهد بهذا المنصب دائماً إلى فرد واحد، بل في كثير من الأحيان إلى مجموعة من الرجال يرأسهم الخازن الأكبر(٥).

الطبالون:

وهم مجموعة من الجند تتألف منهم وحدة (موسيقى) الجيش، وكانت مهمتهم هي السير في مقدمة الحملات العسكرية المتجهة للحرب، والضرب على الطبول، وذلك لاستثارة حماس الجُند. وكان الطبالون يحملون ايضاً البنود(٦) والأعلام الخاصة بألوية الفرق النظامية(٧).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٤٩-١٥١، ٢٢٣-٢٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٨.

* كان يتبع الخازن عدة مخازن من أهمها، مخازن العتاد التي تضم الأبنية (وهي نوع من الخيام خاصة بإقامة مجموعات العسكر)، والثياب والخيام والقباب والكتان والأخبية والعماريات (الهوادج العالية) والهوادج والأقبية والثياب الملونة، والمقاريف والبنود والطبول والقرون. انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٠، ٦٣، ٩٢، ١٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٩.

(٤) المصدر السابق، ص٢١٠.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٦) البنود: هي رايات صغيرة ذات رسوم رائعة تمثل أسوداً فاغرة، ونموراً جائشة، وعقباناً كاسرة، وثعاتبين مضطربة. وكان يحملها أفراد يعرفون بأصحاب البنود والرايات. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٠، ٦٣، ٩٢، ١٩٧.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٠، ٦٣، ٩٢، ١٩٧.

وقد بلغ عدد الطبالين في إحدى حملات الحاجب محمد بن ابي عامر الملقب بالمنصور مائة وثلاثين شخصاً(١).

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٩٩.

الفصل الخامس

التنظيمات التعبوية والمراسم

الفصل الخامس

التنظيمات التعبوية والمراسم

أولاً- التعبئة وأساليب القتال:

التعبئة تعبير عما يقوم به الجيش من تحركات استراتيجية وتكتيكية* لوضعه في وضع القتال. وقد أطلق قدامى الدؤرخين من العرب على هذه المعاني: (التعبئة). فتعبير (عبّأ) مساو عندهم: تعبير (نظّم)، وهم، وإن لم يعرفوا الأساليب التعبوية المتعارف عليها في العصر الحديث، إلا أنهم عملوا بمقتضاها في حروبهم(١).

ويختلف نظام التعبئة باختلاف العقيدة القتالية للجيش، وحسب عدده وتسليحه، والظروف التي يعمل فيها، وغير ذلك من العوامل(٢).

وقد أفاد الفاتحون المسلمون لشبه الجزيرة الآيبيرية من الطبيعة الجغرافية للمنطقة(٣) في وضع نظام تعبئة واضح، فوديان شبه الجزيرة وأنهارها تمتد على هيئة خطوط مستعرضة بين الشرق والغرب، وقد جعل منها المسلمون خطوطاً دفاعية لحماية دولتهم من أخطار الدول القشتالية(٤)، فاتخذوا من وادي نهر ابرة خطاً دفاعياً أول وأسموه بالثغر الأعلى، كما اتخذوا من وادي نهر التاجه خطاً دفاعياً ثانياً وسموه بالثغر الأوسط. أما الثغر الأدنى فأطلق على المنطقة الغربية الواقعة بين نهر دويره ونهر تاجه واعتبروه خطاً دفاعياً ثالثاً(٥). وقد كان الثغر الأعلى أسبق

---

* التكتيك: هو علم اكتشاف حركة القوانين الموضوعية التي تتحكم في إعداد وإدارة أعمال القتال الجزئي خلال مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطور قوى الإنتاج، وتقنية التسليح والحماية والحركة والفكر العسكري المرتبط بها جميعاً. وهو في الوقت نفسه، فن تطبيق هذه القوانين الموضوعية على الحالات الخاصة والمتنوعة والمتغيرة للإشتباكات، والمعارك المختلفة. ويشكل التكتيك مع الاستراتيجية والعمليات وحدة عضوية متكاملة، ولا يختلف عنهما إلا في جزئيه أو خصوصية حقل النشاط الذي يعمل فيه، وحدوده الزمانية والمكانية. انظر:
السامرائي، عبدالجبار، نظم التعبئة عند العرب، مجلة المورد، المجلد١٢، العدد٤، ١٩٨٣، ص٧. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: السامرائي، نظم التعبئة.

(١) السامرائي، نظم التبعئة، ص٧.
(٢) المرجع السابق، ص٧.
(٣) حتامله، ملامح حضارية، ص١٨٢.
(٤) السامرائي، التبعئة العسكرية، ص٤٠.
(٥) البكري، جغرافية الأندلس، ص٩٥.

الثغور الأندلسية في الظهور وخاصة بعد انتهاء القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد من إتمام فتح الشمال الأسباني، وقد كان الثغر الأعلى مجاوراً لأرض العدو وهي بلاد غاله، وامتد هذا الثغر في عصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ / ٧١٥-٧٥٦م) إلى مدينة اربونه التي تعتبر أقصى ثغر في الأندلس(١).

أما الثغران الأوسط والأدنى فقد ظهرا بعد قيام الممالك القشتالية في الركن الشمالي الغربي من أسبانيا وبداية توسعها على حساب اراضي الأندلس وبخاصة عند بداية عصر الإمارة، وبذلك بدأ الصراع المستمر بين المسلمين والقشتاليين. ولذلك اعتبرت الأندلس في نظر المسلمين ثغراً للدولة الإسلامية، وأرضاً للجهاد والمرابطة. ولعلّ هذا هو السبب الذي فرض على الأندلس تجنيد ابنائها منذ الصغر ليكونوا مستعدين دائماً للدفاع عنها(٢).

وكان نظام التعبئة في الأندلس مشابهاً للترتيب السائد في الجيوش، فقد كان الجيش الأندلسي مقسماً إلى: قلب ومقدمة وساقة وميمنة وميسرة(٣). وقد اتبع الأندلسيون هذا الأسلوب منذ عهد الأمير عبدالرحمن الأول (١٣٨هـ / ٧٥٦م) حتى نهاية العصر الأموي(٤) (٤٢٢هـ / ١٠٣١م).

ونظراً لطبيعة التشكيلات المختلفة التي يتألف منها الجيش الأندلسي، فقد كانت له خصوصية في هذا المجال، حيث كانت الكور المجندة تقاتل في أجنادها ضمن كتائب خاصة بها.

---

(١) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص١٨٣.

(٢) ابن خلدون، العبر، ص٢٧٢.

(٣) **القلب**: وهو (القسم الأكبر) من القوات، لأنه مقر القائد العام، وفيه راية الإسلام.

والمقدمة: هي طليعة الجيش المكلفة بصد هجمات العدو من جهة، واستطلاع الأرض ومكامن القوات المعادية من جهة ثانية. وتتألف المقدمة من طلائع، وهي وحدات صغيرة تضم أصحاب الخيول السريعة الماهرين في الرمي والطراد.

والساقة: تسير خلف الجيش، وتضم عناصر الشؤون الإدارية، ومفرزة للحماية، ويطلق عليها أيضاً اسم: الردعة، ويطلق عليها اليوم اسم (المؤخرة).

والميمنة: تكون على يمين القلب، وتكلف بحماية الجناح الأيمن لمجموع التشكيل.

والميسرة: تكون على يسار القلب، وتكلف بحماية الجناح الأيسر لمجموع الشتكيل.

انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨، ص٢٧٢. وسيشار له فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة؛ السامرائي، نظم التعبئة، ص١١-١٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٦-١٣٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٣.

ومن الأمثلة على ذلك ما قام به جند شذونة، حيث قاتلوا بقيادة الفرج بن كنانة سنة ١٧٩هـ / ٧٩٦م في حملة استهدفت عمق جليقية مع القائد عبدالكريم بن مغيث (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م) . وكان هؤلاء الجند هم مقدمة الجيش الذي ناصر المسلمين في معاقلهم المتقدمة(١).

وكانت الكتيبة الواحدة تتألف من جماعة من الفرسان يتراوح عددهم بين مائة وألف(٢). ولكن هذا التحديد لم يكن ثابتاً ولا واضحاً، فقد كان لفظ الكتيبة يطلق أحياناً على الجيش برمته، أو على القطعة العظيمة منه. فقد كان عدد الجند الذين قادهم الفرج بن كنانة سنة ١٧٩هـ / ٧٩٦م يتراوح بين أربعة آلاف في أول غزوة، وعشرة آلاف في الغزوة الثانية. وهي أعداد كبيرة إذا ما قورنت بالأعداد المتعارف عليها للكتيبة الواحدة(٣).

وقد استخدم المؤرخون مصطلحات كثيرة غير الكتيبة، ولذلك فإن من الصعب تفسيرها تفسيراً دقيقاً، مثل: (كثف من الخيل)، و (قطيع من الجند)، و (قطع من العسكر)، و (قطيع من الحشم)(٤).

واستخدموا أيضاً مصطلح (فيلق)، فقد ارسل الأمير عبدالرحمن الداخل سنة ١٥٢هـ / ٧٦٩م بعض (الفيالق) لقتال متمرد من البربر ادعى النسب العلوي(٥)، والفيلق هو الجيش(٦).

وايا كان الأمر، فقد اهتم الأندلسيون بتنظيم الجيش، وحافظوا على تعبئته الفاعلة أثناء القتال. فمعظم الحملات العسكرية التي خرجت من قرطبة إلى الشمال القشتالي كان لها نظام خاص في التجمع والسير، ويبدأ هذا النظام بإعلان النفير العام في أنحاء البلاد للخروج إلى الجهاد، فيتوافد الجنود من مختلف ولايات الأندلس إلى العاصمة قرطبة، ويجتمع هذا الحشد في مكان متسع شرق المدينة يسمى (ساحة العرض أو ساحة الحشد أو فحص السرادق)(٧).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٤-٦٥؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٣-٢٦٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كتب)، ص٢١٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٤-٦٥.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤٣، ٨٤، ٩٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٤، ٨٥، ص١٠٠، ص١٤٧.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٤.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فلق)، ص١١٢٨.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٦٣؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٣٠٠.

وبعد اكتمال حشد الجنود، يخرج إليهم الأمير الأموي وسط الهتاف والتكبير، فيعسكر مع جنده، ويستعرض أسلحتهم المختلفة، ويعين قائد الحملة، ثم يقيم مع جنوده صلاة عامة في المسجد الجامع يتبعها الدعاء بالنصر. ثم يخرج الجيش براياته وأعلامه إلى الجهة المرسومة له. وخلال سيره ينضم إليه قواد وأمراء الثغور الأندلسية وعمّال المدن بجيوشهم وأتباعهم، ثم يتقدم الجميع لملاقاة العدو(١).

وكان التهاون في المحافظة على التعبئة الفاعلة قبل القتال وأثناءه يعني الفشل في المعركة وخسرانها. فإذا لم تتقدم الجيش فرقة استطلاعية لمعرفة أخبار العدو، ومعرفة المسالك والممرات بين الجبال الوعرة، فإن ذلك كان يؤدي إلى هلاك الجيش وضياعه، فقد ضلّ الجيش الأندلسي في عهد هشام بن عبدالرحمن الداخل طريقه في إحدى حملاته في الشمال، وأصابه عناء كبير، ومات عدد كبير من أفراده، وذلك في سنة ١٧٨هـ / ٨٠٤م(٢).

وعندما خرج القائد هاشم بن عبدالعزيز * لمحاربة المتمرد ابن مروان الجليقي سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٥م دون أهبة، ومن غير تعبئة فاعلة قتل عدد كبير من جنده، وأسر هو في المعركة(٣).

وتسبب التهاون في اتخاذ الإجراءات المناسبة لحفظ المياه، أثناء الحملة التي قادها أحمد ابن أبي عبده سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م إلى كورة تدمير، تسبب ذلك في وفاة اثنين وثلاثين رجلاً، وعدد كبير من الحيوانات عطشاً(٤).

وقد أدت هذه الحوادث إلى زيادة العناية بالتنظيم والتعبئة، ولا سيما في عهد عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله، إذ كلف صاحب العسكر نجدة بن حسين (ت٣٢٧هـ / ٩٣٩م) بالإهتمام بذلك(٥).

---

(١) السامرائي، التعبئة العسكرية، ص٤٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٤٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٢-١٠٣.

* هاشم بن عبدالعزيز بن هاشم: نكبه المنذر بن محمد (٢٧٣- ٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م) لأشهر من خلافته بعد أن ولاه الحجابة وأظهر عنه الرضا، وذلك لأشياء حقدها عليه في خلافة أبيه، حيث أمر الأمير بقتله في جمادى الأولى سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م. انظر: ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٨.

(٥) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٣٤٠-٣٤٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ص١٥٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٧٨.

وكان المسلمون في الأندلس – على عادتهم في كل معاركهم الجهادية – يلاقون عدوهم وهم يرددونّ شعارات إسلامية تحفزهم على الاستبسال، حيث يكبّرون، ويرددون: (يا محمد) (صلى الله عليه وسلم). بينما كان الأسبان يرددون (يا سنتياجو *)، ويتصايحون ويولولون ليضعفوا قلوب المسلمين(١).

وكان المسلمون يواجهون عدوهم وفق ترتيب محدد، إذ يتقدم الرجّالة أولاً بدروعهم ورماحهم الطويلة ومزاريقهم المسنونة النافذة، فيرصون صفوفهم ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض، وصدورهم مشرعة إلى عدوهم، وهم جاثمون على الأرض، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه. وخلف الرجّالة الرماة الذين تمرق سهامهم من الدروع، وخلف الرماة الفرسان. فإذا حمل العدو على المسلمين ظل الرجّالة على هيئتهم لا يتزحزحون، ولا يقوم أحد منهم على قدميه، فإذا اقترب العدو، رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق والرماح، مما يضطرهم إلى التفرق يمنة ويسرة، وعندئذ تخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجّالة وتشن الهجوم الرئيسي(٢).

وهذا الترتيب، مع أن المصادر تعيده إلى عصر ملوك الطوائف المتأخر عن موضوع هذه الدراسة، إلا أنه يدل دلالة واضحة على ما كان عليه الوضع عند التعبئة للمعركة في الجيش الأموي الأندلسي، لأن الخبرة في عصر الطوائف إنما هي حصيلة خبرات وتجارب وممارسات سابقة.

ومن الجدير بالذكر أن الأساليب القتالية التي استعملها الجيش الإسلامي في عهد بني أمية كانت متعددة ومتنوعة، منها الإصطفاف واللقاء المباشر مع الأعداء، والمبارزة قبل الإلتحام(٣).

---

* سنتياجو: هو القديس يعقوب، أحد أتباع المسيح عليه السلام، وقد ادعى النصارى الأسبان وجوده في أقصى شمال غربي اسبانية، لتعزيز مقاومتهم ضد المسلمين، وقامت حول مزاره مدينة شنت ياقب المقدسة. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص١١٥؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٤١٤.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٧٧.

(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣١.

ففي إحدى غزوات الحاجب المنصور إلى أرض سرقسطة وقشتالة سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م، بدأت المواجهة بين المسلمين والنصارى بأن خرج نصراني شاك (١) في سلاحه، يكر ويفر، وهو ينادي: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من المسلمين، فتجاولا ساعة، فقتله النصراني، وعند ذلك فرح النصارى بينما اضطرب المسلمون. فطلب المنصور من مقدم العسكر، وهو رجل يعرف بابن المصحفي أن يخرج له رجلاً من المسلمين، فأخرج إليه أحدهم، فتجاولا ساعة عاد بعدها المسلم وهو يحمل رأس النصراني(٢).

ومن الأساليب القتالية أيضاً استخدام الكمائن، ومرابطة قوات قليلة من الفرسان في الأماكن التي يتوقع أن يمر بها الأعداء، ففي محرم سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م خرج الأمير محمد بن عبدالرحمن إلى طليطلة، عندما أعلنت تمردها، فلما سمع أهلها بذلك أرسلوا إلى ملك جليقية أُردون الأول يستمدونه، فنظّم جيشه للقتال في جمع عظيم من النصارى، فلما سمع الأمير محمد بذلك، وكان قد قارب طليطلة، وعبّأ أصحابه، وكمّن لهم الكمناء بناحية وادي نهر سليط Guada Salit وهو رافد لنهر تاجه Taja ، وتقدّم هو إليهم في قلّة من العسكر، فلما رأى أهل طليطلة ذلك، اعلموا ملك جليقية بما عاينوه من قلّة المسلمين، فسارعوا إلى قتالهم وطمعوا فيهم، فلما التقى الجمعان، خرجت الكمائن عن يمين وشمال، فانهزم المشركون وأهل طليطلة(٣).

ومن هذه الأساليب أيضاً مهاجمة المدن والحصون العاصية، والمناورة حولها بقوات مدربة مخصّصة لهذا الغرض، تسبق الجيش المتقدم، وتثير الرعب والفزع في قلوب الأعداء(٤).

كما استخدم العرفاء من المهندسين والبنائين الذين يرافقون الجيش لهدم أسوار المدن المتمردة، ففي إحدى الحملات التي كان يقودها الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٤٤هـ /٨٥٨م إلى طليطلة، قاتل الجيش المتمردين وحصرهم على قنطرة المدينة، ثم أوعز الأمير للبنائين والمهندسين بتخريب القنطرة، فقاموا بذلك دون أن يشعر بهم الأعداء، فتهدمت وانكفأت بمن كان عليها منهم، فغرقوا في النهر (نهر الوادي الكبير) عن آخرهم(٥).

---

(١) شاك، والأصح شاكي: ورجل شاكي السلاح إذا كان ذا شوكة وحدٍ في سلاحه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادة شكا)، ص١٨١.
(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٣١-٣٣٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٧٢.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٥؛ ابن الأثير، الكامل، م٧، ص٧٣-٧٤.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٧٩، ١٩٢-١٩٤.
(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٩٦.

واستخدم البناؤون والنقّابون في عهد عبدالملك المظفر بن الحاجب المنصور (٣٩٣-٣٩٩هـ / ١٠٠٢-١٠٠٨م) أسلوب ثلم الأسوار، وحرق الحطب المضرج بالقطران في الثغرات المثلومة لإرهاب المحصورين، مما يساعد على سرعة استسلامهم(١).

ومن أساليب القتال أيضاً ضرب المدن المحاصرة بالمنجنيق وإشعال الحرائق فيها(٢).

وكان الجيش الإسلامي يلجأ في بعض الحالات إلى بناء مدينة عسكرية* قرب المنطقة المحاصرة أو المتمردة. وقد كان لهذا الإجراء نتائج إيجابية في القضاء على كثير من التمردات الداخلية، نظراً ليأس المتمردين بسبب استمرار الحصار لمدة غير محددة. وقد توسع الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله في استخدام هذا الأسلوب منذ أن أمر ببناء مدينة الفتح بالقرب من طليطلة سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م(٣).

وبالإضافة إلى مدن الحصار، اهتم المسلمون ببناء الحصون والقلاع لحماية مدنهم، فقد أمر الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م) ببناء حصن (شِنت استيبن) لحماية مدينة سالم، وحصن طلمنكة وحصن مجريط في منطقة وادي الحجارة للدفاع عن طليطلة(٤). وكانت هذه الحصون تشحن بالرجال والمعدات لقطع الطريق على وصول الإمدادات إلى المدن المحاصرة، أو للدفاع عن المدن والمناطق الإسلامية(٥).

ونظراً للطبيعة الجبلية الوعرة للأندلس، وكثرة ما يتخللها من أنهار ومياه ومخائض**،

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١-٢٢.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٦٤.

* المدينة العسكرية: هي عبارة عن قواعد عسكرية جديدة تقام بالقرب من المنطقة المحاصرة والمتمردة، ويُقام فيها الأسواق، وينقل إليها الصنّاع، وتشحن بالأقوات والمؤن، ويقيم فيها نخبة من الجند والفرسان الشجعان ويعهد بإدارتها إلى أحد كبار القادة او الوزراء.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩٤-٢٠٣؛ ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٢٨٣، ٣٦٤.

(٤) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٣٠٧.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩٤-٢٠٣؛ ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٢٨٣، ٣٦٤.

** المخاض: الموضع الذي يتخضخض ماؤه فيخاض عند العبور عليه، ويقال المخاضه بالهاء أيضاً . انظر: ابن منظور، لسان العرب، م٤، ط٢، ص٢٤٧.

كان المسلمون يستخدمون الأخشاب لعبور المياه، وتجنّب الإنزلاقات(١).

وكان يرافق الحملات أدلاء متخصصون بتعديل الطرقات الجبلية، وتوسيع شعابها، وتسهيل مسالكها لمرور الجند. كما كان هناك تعاون بين الجيش والأسطول، ففي الحملة الثامنة والأربعين التي خاضها الحاجب المنصور سنة ٣٨٧هـ / ٩٨٨م على جليقية، وهي الحملة التي توجهت إلى شنت ياقب، أُمر الأسطول أن يسبق الجيش البري، وأن يدخل إلى المحيط الأطلسي في موضع محدد على نهر دويره Duero ، وهناك التقى الجيش بالأسطول الذي شكل جسراً عبر عليه الجنود إلى الجانب الآخر من النهر، ونقلت عليه الإمدادات المطلوبة للجيش(٢).

وهكذا فإن من الملاحظ أن الجيش الأندلسي اكتسب - خلال عهد الإمارة إلى أواخر عهد الخلافة - خبرةً كبيرة، لا سيّما في الحروب الجبلية، واستخدم الأساليب التعبوية والتنظيمية التي كانت معروفة في ذلك العهد، كما استخدم أساليب القتال المتطورة التي تلائم الظروف الطبيعية القاسية.

ثانياً- الصوائف والشواتي:

الصوائف: مشتقة من الصيف(٣)، والشواتي: من الشتاء، والصوائف والشواتي حملات عسكرية جرت عادة أمراء بني أمية وحلفائهم على توجيهها إلى دار الحرب، وقد استمر هذا التقليد، حتى أصبحت الصوائف والشواتي وظيفة ثابتة يعهد بها إلى أحد القادة الكبار، أو إلى فرد من أفراد الأسرة الحاكمة، بل إن الأمير أو الخليفة كان كثيراً ما يضطلع بقيادتها بنفسه(٤). وكان أسلوب الصوائف من أفضل الأساليب التعبوية الهجومية التي استخدمها الأمويون في الأندلس.

ونظراً لظروف الأندلس الخاصة، ووجود العديد من العناصر والأجناس فيها، كثرت حركات التمرد الداخلية والتعرضات الخارجية، وأدى ذلك إلى كثرة الصوائف والشواتي، وعدم

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٥-٢٩٦؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٤١٤-٤١٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٧.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٨.

Pamplona على أحد الحصون الأندلسية(١).

وكانت تسبق خروج الصوائف استعدادات طويلة لتوفير المستلزمات البشرية والمالية، ومن ذلك: إعلان التعبئة العامة في جميع الكُور لإمداد الصوائف بالرجال المدربين المستعدين، وحشد جنود الثغور المجاورة للممالك القشتالية، وذلك لخبرتهم ومهارتهم في الحروب الجبلية الوعرة، ومعرفتهم بالمناطق. وكان هؤلاء الرجال يلتحقون بالجيش القادم من العاصمة، أو ينتظرون وصوله، وذلك حسب الموقع الجغرافي الذي تتجه إليه الصائفة(٢).

ففي سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م خرج لويس بن شارلمان ملك اكويتانيا إلى جبهة طرطوشة، فأغزى الحكم بن هشام ابنه عبدالرحمن في جيش كثيف، وكتب إلى عمروس وعبدون عاملي الثغر الأعلى والأوسط بالغزو معه بجميع أهل الثغر، فتقدم عبدالرحمن، وتوافدت عليه الحشود، فهزم المشركين(٣).

وكان المنصور يستدعي جميع المترجلين من الفرسان في الثغور، الذين لا تتوافر لديهم خيول، كان يستدعيهم إلى العاصمة قرطبة، ليشرف بنفسه على توفير ما يحتاجونه من ركائب، ثم يخرج الجميع بانتظام، كما حدث في صائفة سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠١-١٠٠٢م(٤). وقد بلغت استعداداته في هذه الصائفة أقصاها، ففضلاً عن توفير الخيول لجميع المترجلين، قاد معه سبعمائة منها زيادة على عدد الفرسان تحسباً لما قد يحدث في الطريق، كما ترك ألف فرس في اصطبلاته بقرطبة(٥).

وكانت قيادة الجيش تتكتم دائماً أخبار الطريق الذي ستنتهجه حملة الصائفة، حتى تكون ضرباتها مفاجئة للعدو، وقد بقي ذلك تقليداً طوال أيام الدولة الأموية(٦).

وكانت الجيوش التي تخرج إلى الشمال تسلك الطريق المار بطليطلة، ومنها إلى وادي الحجارة Guadalajara ثم إلى مدينة سالم، ومنطقة الثغر الأعلى، ثم تمضي الحملة مع نهر

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٨٥؛ ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص١٨٩-١٩٠.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤٢-٤٤، ٧١، ١١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩، ٧٢، ٩٥، ٩٨، ١٣٨، ١٧٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٢-٧٣؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص١٥٩.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (برواية ابن حيان)، ص٩٩-١٠٠.

(٥) المصدر السابق، ص١٠٠.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٧.

Pamplona على أحد الحصون الأندلسية(١).

وكانت تسبق خروج الصوائف استعدادات طويلة لتوفير المستلزمات البشرية والمالية، ومن ذلك: إعلان التعبئة العامة في جميع الكُور لإمداد الصوائف بالرجال المدربين المستعدين، وحشد جنود الثغور المجاورة للممالك القشتالية، وذلك لخبرتهم ومهارتهم في الحروب الجبلية الوعرة، ومعرفتهم بالمناطق. وكان هؤلاء الرجال يلتحقون بالجيش القادم من العاصمة، أو ينتظرون وصوله، وذلك حسب الموقع الجغرافي الذي تتجه إليه الصائفة(٢).

ففي سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م خرج لويس بن شارلمان ملك اكويتانيا إلى جبهة طرطوشة، فأغزى الحكم بن هشام ابنه عبدالرحمن في جيش كثيف، وكتب إلى عمروس وعبدون عاملي الثغر الأعلى والأوسط بالغزو معه بجميع أهل الثغر، فتقدم عبدالرحمن، وتوافدت عليه الحشود، فهزم المشركين(٣).

وكان المنصور يستدعي جميع المترجلين من الفرسان في الثغور، الذين لا تتوافر لديهم خيول، كان يستدعيهم إلى العاصمة قرطبة، ليشرف بنفسه على توفير ما يحتاجونه من ركائب، ثم يخرج الجميع بانتظام، كما حدث في صائفة سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠١-١٠٠٢م(٤). وقد بلغت استعداداته في هذه الصائفة أقصاها، ففضلاً عن توفير الخيول لجميع المترجلين، قاد معه سبعمائة منها زيادة على عدد الفرسان تحسباً لما قد يحدث في الطريق، كما ترك ألف فرس في اصطبلاته بقرطبة(٥).

وكانت قيادة الجيش تتكتم دائماً أخبار الطريق الذي ستنتهجه حملة الصائفة، حتى تكون ضرباتها مفاجئة للعدو، وقد بقي ذلك تقليداً طوال أيام الدولة الأموية(٦).

وكانت الجيوش التي تخرج إلى الشمال تسلك الطريق المار بطليطلة، ومنها إلى وادي الحجارة Guadalajara ثم إلى مدينة سالم، ومنطقة الثغر الأعلى، ثم تمضي الحملة مع نهر

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٨٥؛ ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص١٨٩-١٩٠.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤٢-٤٤، ٧١، ١١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩، ٧٢، ٩٥، ٩٨، ١٣٨، ١٧٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٢-٧٣؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص١٥٩.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (برواية ابن حيان)، ص٩٩-١٠٠.

(٥) المصدر السابق، ص١٠٠.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٧.

ابره Ebro إلى منابعه حتى تمضي إلى البه والقلاع (قشتاله) حيث الحدود الجنوبية والغربية لمملكة ليون المتاخمة للدولة العربية في الأندلس (١).

وقد تسلك بعض الحملات طرقاً أخرى غير طريق الثغر الأعلى، ففي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن سار القائد البراء بن مالك سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م إلى جليقية من جهة الغرب، أي من باب قلمرية Conimbria في البرتغال الحالية، ونجح في حملته(٢).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن بعض المراجع الحديثة تعتبر سياسة الصوائف أو الغزوات الإسلامية الغارضة سياسة خاطئة، لأنها كانت تنهك قوى الجيوش الإسلامية، وموارد الدولة بصورة مستمرة، دون أن تحقق غاية ثابتة مستقرة، أو توفق في القضاء على الأعداء بصورة حاسمة. فالمنصور، وهو أعظم شخصية سياسية وعسكرية، لم يتمكن من القضاء على الممالك القشتالية، على الرغم من كثرة غزواته التي أسبغ عليها طابع النصر المستمر. ولو وظف ما بذلته هذه الغزوات، التي لم تخرج عن حيز الصوائف، من جهد، وما أنفق في سبيلها من أموال.. لو وظّف ذلك بطريقة مختلفة، لتمكّن من سحق تلك الممالك(٣).

ثالثاً- الأسلحة:

تنوعت أسلحة الجيش الأموي في الأندلس، وتطورت كثيراً، وتفنن الأندلسيون في إتقانها وزخرفتها، بل انصرفت همم الكثيرين منهم إلى آلات الحرب من تروس ورماح وسروج وألجم ودروع ومغافر(٤). وصنعوا الأسلحة الخفيفة والثقيلة، سواء الدفاعية منها أم الهجومية.

أما الأسلحة الخفيفة فمن أهمها:

السيف: ويعتبر السيف من أشرف الأسلحة عند العرب، ولذلك فإن العربي يحافظ عليه،

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، م١، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٣.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥١٩-٥٢٠.

(٤) المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٠٣.

ولا يكاد يفارقه، ويعتز به ويمجّده، ويطلق عليه الأسماء، حتى تجاوزت أسماؤه المئة*.
ومن السيوف التي اشتهرت في الأندلس بجودتها تلك المسماة: السيوف البرذلية**(١). وكان الأندلسيون يصنعون مقابض سيوفهم من السّفن***(٢)، أما أنصالها فكانوا يصنعونها من الفولاذ الذي اشتهرت به مدينة اشبيلية(٣).

الرمح: وهو سلاح قديم، عرفه قدماء المصريين وغيرهم من الشعوب القديمة، وقد شجع الرسول (صلى الله عليه وسلم) على اقتنائه، وقد عرفت الأندلس هذا السلاح الذي يسمى أيضاً (القنا)(٤).

الدرع: وهو قميص مصنوع من الحلقات الحديدية، كان الجنود يرتدونه ليقيهم السهام، وطعنات الرماح، وقد اشتهر الجيش الأموي في الأندلس بارتداء الدروع(٥). وكان يتبع الدرع ملحقات مثل الخوذة (البيضة)(٦)، والقباء(٧)، والمغفر(٨).

---

* ومن اسماء السيوف: الوشاح، اللّجّة واللّجّ، الوقام، السوط، الموصول، الرّداء. انظر: أبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، المجلد الثاني، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ص١٦-١٧ وسيشار اليه فيما بعد: ابن سيده، المخصص.

** البرذلية: نسبة إلى برذل أو بورذيل Bordeaus ، وهي بلدة في آخر بلاد الأندلس من الشمال، في غرب فرنسا. انظر: المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٠٢.

(١) المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٠٢.

*** السّفن: جلد خشن غليظ كجلود التماسيح. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سفن)، ص٢٨٦ . وكان يجلب من مدينة مالقة. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك، ص٣٥.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٩؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص٤٣.

(٣) المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٠٢.

(٤) ابن خلدون، العبر، م٤، ص٣١٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٣.

(٥) ابن خلدون، العبر، م٤، ص٣١٣.

(٦) المصدر السابق، ص٣١٣.

(٧) Dozy, Dictionaire des noms des Vetements, p. ٣٥٢.

(٨) المغفر: وهو زرد ينسج من حلقات الدرع على قدر الرأس، ويلبس تحت القلنسوة، وقبل الخوذة. المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٧٠.

قرطبة السنوي منها ستة آلاف قوس عربية في عهد الحاجب المنصور(١).

أما السهم الذي يسمى ايضاً (النبل) و (النشاب) فكان يصنع من الخشب، وأجود السهام ما صُنع من خشب خفيف صلب. وقد كانت السهام تهدى للخلفاء، فقد أهدى ابن شهيد، احمد بن عبدالملك بن شهيد للخليفة الناصر عام ٣٢٧هـ / ٩٣٨م هدية كان من ضمنها "مائة ألف سهم من النبال البارعة المصنّعة"(٢).

هذا، وقد كانت فرق الجيش النظامية من الفرسان والرجالة تحمل هذه الأسلحة الخفيفة، وكان بعض الفرسان المدرعين مسلحين بالقنا الطويلة والدروع، ويلبسون الأقبية، وعلى رؤوسهم البيضات. وكان بعضهم من الفرسان أصحاب الجواشن، أو الدروع المصنوعة من خيوط معدنية خاصة، أو من سلاسل رقيقة متشابكة تغطي الصدر وتتدلى حتى تصل إلى منتصف فخذي الفارس(٣). ومن الفرسان أيضاً أصحاب التجافيف، أي الخيول المصفحة برقائق الحديد(٤).

أما فرق الرجّالة، فبعضها كان يتسلح بالتروس والرماح، وتمثل هذه الفرق القوات الأساسية من المشاة التي كانت تسند إليها مهام منفصلة، فتعمل مستقلة، أو تعاون فرق الفرسان خلال العمليات الحربية(٥).

وبعضها كان يتسلح بالقسيّ والسهام والدماغات(٦) والأحوزة (٧) والطبرزينات(٨).

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (برواية ابن حيان)، ص١٠١.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٥٨.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٧٤؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٢.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٩؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٥٨؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (جفف)، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٨-٥٠.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٢ و ص١٤٠-١٤١.

(٧) المصدر السابق، ج٢، ص١٤٠-١٤١.

(٨) المصدر السابق، ج٢، ص١٤٠-١٤١؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٨-٥٠

وأما الأسلحة الثقيلة فأهمها:

البرج:

وهو آلة مرتفعة كانت تستخدم لتسلّق الأسوار والصعود إليها، ومن ثم مهاجمة الحراس وقتلهم. وقد انتشر استخدام الأبراج في الجيش الأندلسي لأن كثيراً من المدن والحصون والقلاع فيها كانت محاطة بالأسوار. وكان المتمردون أو الأعداء يتحصنون داخلها، ولا بد مع ذلك من وسيلة لدخولها، وقد اشتهر عدد كبير من مهندسي الأندلس بصناعة هذه الأبراج(١).

المنجنيق:

وهو آلة تستخدم لقذف الحجارة، وذلك لدك الأسوار في حالات تعذر وصول الأبراج إليها لتسلقها واقتحامها. أو لضرب الأعداء بالنفط. فكانت توضع على المجانيق حجارة كبيرة أو قدور نفط، تنطلق باتجاه الأسوار من بعيد لإحداث ثقب فيها يدخل منه الجيش(٢).

وقد استخدم الأمير عبدالرحمن الداخل ستة وثلاثين منجنيقاً في إحدى حملاته على مدينة سرقسطة Zaragoza ، فملكها عنوة(٣). ثم استخدم هذا السلاح في الحقبة التالية بشكل واسع، سواء في القضاء على الثورات الداخلية، أم في الحروب ضد الممالك القشتالية. ففي سنة ١٧٧هـ / ٧٩٤م استخدم القائد عبد الملك بن عبدالواحد بن مغيث المجانيق في حصاره لمدينة جرنده Gerona التي غزاها بالصائفة في عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن(٤) (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٩-٧٩٦)، ودك أسوار المدينة حتى هدمها، ثم دخلها وأحرق أرباضها(٥). كما استخدم في هذا الحصار آلة أخرى تسمى (العرادة)، وهي تشبه المنجنيق(٦)، ولكنها أصغر حجماً منه، ولذلك يسهل استخدامها أكثر، حيث كانت تنصب في الأبراج فوق الأسوار، للدفاع عن المدن الإسلامية.

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٢٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٤٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٤، و ٩٨-١٠٢ و ١٣٨-١٤١، و ١٨١-٢٠٠؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٤٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٤؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٢١.

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص١٥٩؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرد)، ص٧٢٨.

القنبلة الحارقة (النار الإغريقية):

يستخدمها المشاة كسلاح هجومي ضد الأبراج، إذ إن إلقاءها عليها يؤدي إلى احتراقها احتراقاً كاملاً لأن الأبراج مصنوعة من الخشب القابل للإحتراق. وتصنع الكرة الحارقة من القطران والكتان، ثم تشعل وتقذف إما باليد، إذا كانت المسافة قريبة، أو بواسطة المنجنيق إذا كانت بعيدة(١).

وقد استخدم البناؤون والنقّابون وعرفاؤهم أسلوب ثلم الأسوار في عهد عبدالملك المظفر ابن الحاجب المنصور (٣٩٣-٣٩٩هـ / ١٠٠٢-١٠٠٨م)، وكانوا يحرقون الحطب المضرج بالقطران في الثغرات المثلومة لإرهاب المحصورين، ويشعلون النيران في السقوف، مما ساعد على سرعة استسلام أعدائهم(٢).

الدبابة:

استخدم المسلمون الدبابة في وقت مبكر، أثناء عملية فتح الأندلس، فقد عمل موسى بن نصير سنة ٩٤هـ / ٧١٢م دبابة استخدمها في فتوحاته(٣).

والدبابة هيكل ضخم من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد أو اللباد من جوانبه لحماية الجنود. وكانت تتحرك علىبكرات أو اسطوانات خشبية، فتدفع للأمام حتى تلتصق بالأسوار(٤). ويبدو أن الجيش الإسلامي الأموي استخدم الدبابة ثم عدل عن ذلك، بعد أن فشلت في حماية الجنود المسلمين أثناء حصارهم لمدينة ماردة، حيث استطاع الأعداء أن يقضوا على الجنود المسلمين في إحدى الدبابات، وأن يحطموا الدبابة نفسها(٥).

رابعاً- تطور صناعة الأسلحة:

تطورت صناعة الأسلحة في الأندلس، وخاصة في عصر الخلافة، ففي عهد الخليفة الناصر، وعندما اختط مدينة الزهراء، اتخذ فيها داراً لصناعة الأسلحة(٦).

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٢٠٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١-٢٢.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦-١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٤؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٧.

(٤) الجنابي، خالد، تنظيمات الجيش الأموي في العصر الأموي، ص١٤٩-١٥٠.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧.

(٦) ابن خلدون، العبر، م٤، ص٣١٢.

وفي عهد المستنصر بالله، كان يصنع في كل سنة عشرة آلاف ترس، ومن الدرق نحو ذلك، ومن القسي والدروع نحو ذلك. كما كان يصنع له في كل سنة ثمانية آلاف خباء، ومن السيوف والرماح مثل ذلك(١).

وكان المنصور يقتني، إضافة إلى الخيل ومطايا الركوب أربعة آلاف جمل خصصت لحمل الأثقال. أما الأسلحة فكان يحتفظ بكميات كبيرة منها، كالسهام والدروع والتروس والمجانيق وغيرها من آلات الحصار(٢). وقد استفاد الأندلسيون من المعادن المتوافرة في الأندلس، حيث استخدموا الحديد الموجود في مدينة المرية في صناعة الأسلحة، وأنشأوا دار صناعة لهذا الغرض(٣).

وكانت مصانع الدولة، بما فيها مركز الصناعات الحربية في طليطلة(٤)، تنتج الأسلحة كل عام لتزويد الجيش بحاجته للقيام بالحملات الحربية، ففي عهد الحاجب المنصور (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠٠١م) كان يصنع كل عام اثنا عشر ألف ترس عامرية، وعشرون ألفا من النبال شهريا(٥)، أما الأقواس فكانت قرطبة تنتج منها ستة آلاف قوس عربية، بينما تنتج مدينة الزهراء ستة آلاف قوس أخرى من الطراز التركي. وكان في قرطبة مخزون من الأسلحة المعدة للتوزيع على أهلها، وعلى غيرهم من الحشود المتطوعين، أيام البروز (الإستعراضات العسكرية) والزينة(٦). فقد أمر عبدالملك المظفر سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م خزان الأسلحة بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة، وخمسة آلاف مغفر على طبقات الدارعين في جيشه(٧).

وكانت الأسلحة تحفظ في مكان أطلق عليه (خزانة السلاح)، وكان يشرف على هذه الخزانة، وعلى مصانع الأسلحة موظف إداري ذو مكانة رفيعة. وفي بعض الأحيان كان يعهد بهذه الوظيفة إلى أكثر من واحد، فقد عهد الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله بها إلى

---

(١) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١٧٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٩٩-١٠٢.

(٣) المقري، نفح الطيب، م١، ص١٦٢.

(٤) ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٨.

(٦) المصدر السابق، ج٣، ص٤.

(٧) المصدر السابق، ج٣، ص٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٨٧.

ثلاثة هم: حسين بن أحمد الكاتب، ويحيى بن اسحاق ومسلمة بن عبد القاهر المعروف بابن الشرح، وذلك في أول عهده سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م(١)، وفي سنة ٣١٤هـ /٩٢٦م تولاها حسين ابن محمد بن عاصم، واحمد بن يحيى بن حسام، وعبدالوهاب بن محمد بن عبدالرؤوف، وسنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م تولى هذا المنصب اثنان فقط(٢) وهما احمد بن ابان بن هاشم، وحفص بن سعيد بن جابر.

ولم يكن تخزين السلاح مقصوراً على العاصمة قرطبة، وعلى مدينتي الزاهرة والزهراء، وإنما كانت خزائن الثغور مملوءة بها أيضاً، لا سيما مدينة سالم، فقد زودت هذه المدينة في إحدى حملات الحاجب المنصور (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) بستة منجنيقات، ومائتي ألف سهم، وخمسة الاف ترس، ومائتي زوج من المطاحن اللازمة لطحن الحنطة وإعداد الخبز، إضافة إلى مواد أخرى كآلات الحديد(٣).

خامساً- مراسم وداع الحملات الحربية واستقبالها

تعتبر المراسم أو الاستعراضات العسكرية (البروز) من مظاهر قوة الجيش، وهو أمر اهتم به أمراء الدولة الأموية في الأندلس وخلفاؤها، حيث كانوا يودعون الحملات الحربية بمراسم تتسم بالأبهة والفخامة، ويحرصون على أن تعكس هذه المراسم قوة الدولة وعظمتها، وما تتمتع به من رخاء وازدهار، كما كانوا يحرصون أيضاً على استقبال الجيوش المنتصرة بمثل ذلك(٤).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مصادر التاريخ الأندلسي لم تحفظ وثيقة متكاملة تتضمن القواعد والترتيبات الدقيقة التي كانت المراسم تعدّ وفقاً لها، مما يعني أن مثل هذه الوثيقة لم تكن موجودة أصلاً. ولكننا نستطيع أن نستشف هذه القواعد من المعلومات المتناثرة عنها في بعض تلك المصادر.

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨-١٥٩.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٥٩، ١٦٤، ١٩٢، ٢٠٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، (برواية ابن حيان)، ص١٠١.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٢٩٤و ٤٩٠؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٥، ٧٩، ١٠٢، ١٢٩، ١٩٤--٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٥، ١٦٣، ١٧٢، ٢٩٧؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٤٣.

مراسم الوداع:

كانت الحملات العسكرية الحربية المتجهة ضد الممالك القشتالية الشمالية أو المتجهة إلى بلاد المغرب(١) وغيرها، تودع بمراسم تشمل: تجهيز الجيش، واستعراضه، وعقد ألويته ووداعه.

١- تجهيز الجيش:

كانت مراسم إعلان الحرب، وجمع الجيش وتجهيزه بيد الخليفة أو الأمير وحده، وكان ذلك يتم في مكان يسمى: (فحص السرادق)(٢)، وهو من المتنزهات المشهورة التي يقصدها أهل قرطبة للترويح عن الأنفس. وقد أطلق عليه اسم (السرادق) بسبب إقامة السرادق السلطاني فيه عندما يراد القيام بحملة أو غزوة جديدة(٣).

ومن الأمكنةالأخرى التي كان يتم فيها تجهيز الجيش ما يعرف بالمصارة، وهو مكان فسيح يقع خارج المدن، ويعد من متنزهاتها، حيث يخرج إليه الناس في الأعياد والمناسبات، أو للتنزه(٤).

وقد اعتاد أمراء بني أمية، وخاصة الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) أن يبرزوا قبل الخروج إلى الحرب في فحص شقنده Seconda أو مكان الربض القبلي بفج المائدة المطل على باب قرطبة الجنوبي(٥).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٥، ١٦٣، ١٧٢، ٢٩٧.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٣؛ نشر شالميتا، ص٢٨٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٤.

(٣) سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٢١.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٩٤، ويذكر أن مصارة قرطبة نسبة إلى المعركة المشهورة بين عبدالرحمن الداخل ويوسف الفهري والصميل بن حاتم سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م. ولم يكن في مصلى المصارة على طول عهد أمراء بني أمية بناء مشيد ولا محراب ثابت، وإنما كان الإمام يتخذ مقامه حيث يُرى. وأول من بنى محراباً في هذه المصارة هو الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله، وذلك سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨م. ومن الجدير بالذكر أن هناك مواضع كثيرة في اسبانيا ما زالت تحمل اسم Almuzara حتى اليوم، كما توجد مواضع كثيرة تحمل هذا الإسم في مدن المغرب.

(٥) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونيا، ص٩٣-١٠٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٢؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٤٣.

أما الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله فقد استخدم فحص شقندة مرة واحدة سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م(١)، ثم اختار مكاناً آخر يقع إلى الشمال من نهر الوادي الكبير بالطرف الشرقي من المدينة يعرف بـ (فحص السرادق)(٢).

وكانت مدة البروز تستغرق شهراً أو أكثر(٣)، ويبدأ ذلك بإعلان التعبئة العامة في جميع أنحاء البلاد، فتأتي القوات العسكرية، وتعكسر في الفحص أو المصارة، ثم يستعرضهم الخليفة، ويتفقد ما لديهم من عدة وأسلحة، ويسأل عن احتياجاتهم(٤).

ثم يستدعي الخليفة قائد الجيش ويتداول معه - بحضور ولي العهد والوزير صاحب المدينة - أمر العدو وإمكانياته، ثم يكلفه بالقيادة بعد أن يزوده ويزود جيشه بالنصائح اللازمة لتحقيق النصر(٥). ومن ذلك ما اوصى به الخليفة الحكم المستنصر (سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م) قائد قواته غالب بن عبدالرحمن قبل توديعه وخروجه إلى النورمان، حيث قال له: "وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك، والبحر دونك، وربما تحذر ركوبه، فاجعل الطعام ذخيرتك.. واحفظ في الطعام جهدك، ووطّن على الصبر نفسك، ولا تمنّها برجوع إلى بيتك حتى يقطع الله دابر الفاسقين"(٦).

وبعد ذلك يخلع الخليفة أو الأمير الحلل السنيّة على القائد، ويغدق عليه العطايا المالية(٧)، ويقوم بعض الوزراء أحياناً بصرف رواتب الجند، ثم يقوم خزان الأسلحة بتوزيع ما يحتاجونه من أسلحة وعتاد(٨).

ومن ذلك ما قام به الخليفة المستنصر عندما أمر بالتجهيز للتصدي لأعداء الدولة النورمانديين، فقد استدعى الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن، وعهد إليه بإعداد القوات، بينما أمر دري الصغير (الخازن) بإخراج الأعلام من مخازنها بقصر الزهراء، وعقدها عريف

---

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٤٤٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٢٨٧؛ وتحقيق الحجي، ص٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٤.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٠-٢٢١؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢١.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤، ٧٩-٨٠، ١٠٢، ١٢٨-١٢٩.

(٦) المصدر السابق، ص١٣٥.

(٧) المصدر نفسه، ص١٣٠، ٢١١، ٢١٩-٢٢٠.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٥، ٨٠، ١٠٢، ٢٢٠، ٢٣٠.

الخياطين في قنواتها(١)، وفي أثناء ذلك حضر قاضي قبرة(٢) وكبار الأئمة، ومن معهم من المؤذنين للإشتراك في الإحتفال بتوديع قائد الجيش(٣). وعندما رغب في إنفاذه لمحاربة الجلالقة الذين أغاروا على الثغر الأوسط في شعبان سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م، جلس (اي الخليفة) مجلساً خاصاً شهده الأمير أبو الوليد، والوزير صاحب مدينة قرطبة جعفر بن عثمان المصحفي، وبعد أن تلقى القائد أوامر الخليفة بالتأهب لهذه الحملة، خلع عليه كسوة خاصة فيها ثوب أحمر عراقي بديع الصنعة، وقلده سيفين من ذخائر سيوفه، مذهبين في غمدين محليين بالأحجار الكريمة لإعلاء منزلته ورفع مكانته، ولقبه بـ (ذي السيفين)(٤).

٢- استعراض الجيش:

بعد استكمال الاستعدادات للحملة، يستعرض الخليفة الجيش بطريقة مهيبة، إذ يكون بكامل عدته وملابسه الحربية، ويسير راكباً بين قواده وحرسه، تظلله الرايات البديعة. وكان أهل قرطبة يحضرون لمشاهدة هذا الاستعراض الضخم(٥).

وكان ينوب عن الخليفة في هذا الإستعراض أحد كبار قادة الجيش، ولكن بعد أن يجتمع بالخليفة، ويتلقى توجيهاته(٦). في هذه الحالة كان القائد يمتطي صهوة جواده، ويسير نحو فحص السرادق، ويسير من ورائه وعلى جانبيه كوكبة من الفرسان والرجّالة. وحين يصل يجد في استقباله قادة الجيش حسب رتبهم، ثم يستعرض الجيش بنفسه، وذلك للتأكد من وفرة السلاح والعتاد، وكمال العدّة والعدد، ووجود المؤن والعلوفة الكافية للدواب، والتأكد من الروح المعنوية

---

(١) كان الخازن يلي خطة الخزانة منذ أيام الحكم بن هشام أواخر القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي. أبو حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٤-٢٦٥ (هامش رقم ١٠١).

(٢) قبره: مدينة تقع على بعد ثلاثين ميلاً جنوب شرق قرطبة، الحميري، الروض المعطار، ص١٤٩.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٥-٢٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢١٨-٢٢١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٢؛ ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٢١-٢٢٢.

للجند، ومن أنهم استلموا أعطياتهم ورواتبهم. وبعد ذلك يقوم القائد باستبعاد كبار السن وذوي العاهات إلا إذا كانوا من المتطوعين من غير الفرق النظامية(١).

وكان يخيّم علىالمكان أثناء الاستعراض جو من الهدوء والانضباطية، حتى أن الخيل نفسها كانت تتأثر بانضباط فرسانها وعدم حركتهم. فتطرق صامتة بلا صهيل أو حمحمة، وكانت اقل حركة تُخل بهذا الإنضباط والنظام تؤدي بفاعلها إلى القتل دون تردّد(٢). ففي أحد الاستعراضات وقعت عينا الحاجب المنصور على بارقة سيف قد سلّه بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد، "فقال: علي بشاهر السيف، فمثل بين يديه، فقال له: ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه إلا عن إذن؟ فقال: إني أشرت به إلى صاحبي مغمداً فزلق من غمده. فقال: إن مثل هذا لا يسوغ... وأمر به فضربت عنقه بسيفه، وطيف برأسه، ونودي عليه بذنبه"(٣).

وإن دلّت هذه الواقعة على شيء، فإنما تدل على أن المراسم كانت لها قواعد صارمة، لا يجوز خرقها أو الاستهتار بها لأي سبب.

٣- عقد الألوية ووداع الجيش:

أشرنا في الفصل الرابع إلى جانب من مراسم عقد الألوية، وذلك عند الحديث عن صاحب اللواء كمنصب من المناصب العسكرية. ونضيف هنا أن الألوية بعد أن تعقد أثناء قراءة سورة الفتح، يمر بها الجند بصحبة الوزيرين: صاحب الحشم وصاحب الخيل من أمام أحد أبواب القصر الرئيسية، وهو باب السدّة*، حيث يشاهدهم الخليفة وهو جالس،

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٥-٢٦، ٩٧-٩٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٤١٩.

(٣) المصدر السابق، م١، ص٤١٩.

* باب السدة: هو الباب الرئيسي لقصر الخلافة بقرطبة، المطل على ضفة نهر الوادي الكبير، وعلى القنطرة. وكان القصر مواجهاً للمسجد الجامع بقرطبة، وكان له خمسة أبواب: أعظمها وأهمها باب السدة الذي يواجه الرصيف، أي الطريق المرصوفة التي تحاذي ضفة النهر، ومنه كان يدخل الضيوف والوزراء. وكانت أمام هذا الباب سارية عارية تعرض فوقها أهم الغنائم التي كان الأمراء والخلفاء يحوزونها في حملاتهم العسكرية. ثم أصبح من المعتاد أن تعلق فوقها رؤوس من يظفرون بهم من الأعداء. أما الأبواب الأربعة الأخرى فهي: باب الجامع، وباب الجنان، وباب الوادي، وباب قورية. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٦٥.

ثم تسلّم إلى قائد الجيش. فيأمر برفعها في أماكنها المخصصة لها(١).

وكانت قواعد المراسم الأموية تقضي بأن يمر القائد بالجيش من العاصمة قرطبة على مشهد من الناس، ثم يمر من أمام القصر حتى يشاهده الخليفة الجالس فوق باب السدة، فيرفع الخليفة كفيه إلى السماء، ويدعو الله بالتوفيق، ويسأله النصر. ويقلده في عمله هذا ولي العهد. ويبقى الخليفة على هذا الحال حتى يغادر الجيش قرطبة نهائياً(٢).

وفي عهد الحاجب المنصور (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠٠١م) طرأ تعديل بسيط على تلك المراسم تتعلق بمرور الجيش، فقد أصبح الجيش يسير من فحص السرادق ثم يمر من أمام باب الفتح الشرقي، أحد أبواب مدينة الزاهرة التي بناها المنصور بن أبي عامر(٣)، "ففي سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م ركب الحاجب عبدالملك بن أبي عامر لولاية هشام بن الحكم إلى المسجد الجامع بحضرة قرطبة، وخرج على باب الفتح الشرقي من أبواب الزاهرة، واجتمع الناس لرؤيته، فخرج الحاجب عليهم شاكي السلاح في درع جديد سابغة، وعلى رأسه بيضة حديد مثمنة الشكل، ومذهبة شديدة الشعاع"(٤) وقد بقيت هذه المراسم حتى بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس.

مراسم الاستقبال:

كان الخلفاء الأمويون في الأندلس يهتمون بقادتهم، ويقيمون لهم - لدى عودتهم مظفرين حاملين رايات النصر - احتفالات مهيبة. ففي شهر المحرّم سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م أمر الخليفة الحكم المستنصر بإعداد حاضرة الخلافة، وتجهيزها لاستقبال القائد الكبير غالب بن عبدالرحمن عند عودته من عدوة المغرب، بعد الإنتصار على حسن بن قنون الحسني، فنفذت أوامره إلى طبقات جند الاستقبال وقادتهم، وعلية القوم، وصفوة أهل كور الأندلس بالإستعداد للركوب لتلقي القائد المنتصر.

ولما وصل القائد الأعلى تحفّ به القواد الذين انضموا إليه، تقدّمهم جميعاً حرس الشرف

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٥.

(٤) المصدر السابق، ج٣، ص٥.

إلى موضع الاستقبال، فعبر الجميع قنطرة قرطبة(١) التي اصطف على جانبيها الرجّالة القادمون من قرطبة وأقاليمها، بأيديهم الرماح والتروس. وبعد اجتيازهم مروا من بين الفرسان المدرّعين الذين أحضرهم صقالبة القصر وأهل الخدمة، ثم تقدموا بين ترتيب الفرسان الطنجيين المدرعين، ثم نهضوا بين صفي الفرسان الخمسين(٢)، وعبيد الدور، والعبيد الرماة، وعلى جميعهم الدروع والبياضات. ثم نهضوا بين ترتيب العبيد الجعفريين، وقد لبسوا الأقبية البيض، وعلى رؤوسهم مقاريف الوبر(٣) متنكبين قسيّهم، ثم ساروا بين تعبئة الفرسان المدرعين الذين بأيديهم القناة المجردة، ثم نهضوا بين صفي الفرسان أصحاب الجواشن(٤)، ثم تقدموا بين سماطي الفرسان أصحاب التجافيف(٥)، وبين أيديهم في صفيهم أصحاب القرون والطبول.

ثم انتقلوا إلى صفي أصحاب البنود والرايات الرقيقة، والرايات المصورة بصور الأسود والنمور والثعابين والعقبان وغيرها. ثم ساروا بين صفي الجنائب المغربية من خيول ومطايا عليها الأسرجة، والبغال المشابهة لها.

فلما انتهوا إلى باب مدينة الزاهرة ساروا بين صفين من الرجالة والرماة والمماليك، وقد لبسوا الدروع الملونة، وتنكّبوا القسيّ الأعجمية. ثم وصلوا إلى أول أبواب الأقباء حيث اصطف البوابون وأعوان دور الطراز وأعوان دور البريد بأيديهم السلاح الشاكّ، قد انتهوا إلى باب دار الخيل، فتقدموهم ونهضوا بين صفين مرتبين من الرجالة الرماة عليهم الثياب الملونة، وعلى عواتقهم القسيّ. وكان صاحب مدينة الزهراء محمد بن أفلح (ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م) قاعداً على

---

(١) قنطرة قرطبة: هي القنطرة المقامة على نهر الوادي الكبير، تقع تجاه المسجد الجامع من الناحية الجنوبية، وهي رومانية الأصل، جددها المسلمون أيام السمح بن مالك الخولاني، ومن جاء بعده من الأمراء والخلفاء. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٤١٤.

(٢) الفرسان الخمسون: وحدات عسكرية صغيرة، تتكون كل منها من خمسين فارساً. المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٨.

(٣) المقاريف، جمع أقروف، وهو قلنسوة مخروطية الشكل. انظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص١٠٨-١٠٩.

(٤) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٨٨.

(٥) والتجافيف: اصحاب الخيول المصفحة برقائق الحديد. انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٩، ١٩٧.

كرسيها في أهبته الكاملة يرتب ما يلزم ترتيبه. وتقدم الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن فدخل على باب السدّة إلى القصر(١).

وفي القصر كان الخليفة الحكم المستنصر على رأس المستقبلين، فجلس في المجلس الشرقي الموفي على الرياض والسطح العلي(٢)، واتخذ الوزراء وحكام المدن وقاضي القضاة(٣) والوصفاء أماكنهم بين يدي سرير الخليفة إلى آخر مجلس الاستقبال. بينما جلس ولي العهد، الأمير ابو الوليد هشام، ابن أمير المؤمنين في المجلس الغربي المقابل(٤).

وهكذا فإن قواعد المراسم الأموية في استقبال القادة المنتصرين كانت قواعد دقيقة، حيث يتم الاستقبال وفق ترتيب فائق التنظيم. وكانت هذه القواعد تقضي بأن يتوقف القائد العائد منتصراً في مكان قريب من مدينة الزهراء يسمى فحص الناعورة، ويبقى مقيماً فيه حتى يأذن له الخليفة بالقدوم إلى المدينة، وكان يحمل هذا الإذن صاحب الحشم، إذ يسير مع عدد من الجند لتبليغه للقائد الظافر(٥). وعندئذ يمتطي القائد صهوة جواده، ويركب من حوله قادته الخيالة جيادهم، ومن ورائه الخصوم أو الأعداء المهزومون. ثم يسير هذا الموكب بين الصفوف حتى يستقبله الخليفة على النحو الذي ذكرنا.

وقد كان الخليفة يسمح لأعدائه المهزومين الذين يجلبهم القائد المنتصر، بالجلوس في أماكن مخصصة لهم، ثم يتحدث معهم ويلاطفهم(٦).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩٦-١٩٧، ٢١٠.

(٢) السطح العلي يقع فوق باب السدة، وهو الباب الرئيسي بقصر الخلافة بقرطبة، وكان يستخدم للإستقبالات الرئيسية واستعراض الجيوش، ويظهر منه الخليفة على عامّة الشعب. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٩٠.

(٣) هو محمد بن اسحق بن السليم أبو بكر، ولي ديوان المظالم ثم القضاء بقرطبة سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٦م من قبل الخليفة المستنصر. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٧٩.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٠٠-٢٠٢.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩٦.

(٦) المصدر السابق، ص١٩٨-٢٠٠.

وقد كان من مراسم استقبال القائد الظافر أن يحضر قادة جند الكور المجندة الاحتفال، ولكن هؤلاء لا يسمح لهم بمشاهدة الخليفة والسلام عليه إلا بعد انصراف الأعداء المهزومين المستأمنين، حيث يسمح لهؤلاء القادة بالدخول على الخليفة حسب مراتبهم، فأول من يسمح لهم بذلك قادة جند دمشق، وهم أهل كورة إلبيرة وأعمالها من غرناطة، وشاط وشبلين، وبرجه وولايه، وباغه والقندان ولونه ويحصب، ثم جُند حمص، وهم أهل كورة اشبيلية ولبله، ثم جُند الأردن، وهم أهل كورة ريّه، ثم جُند فلسطين، وهم أهل كورة شذونة والجزيرة الخضراء، ثم جُند مصر، وهم أهل كورة تدمير وبلنسية(١).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٠١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٧٧-٧٣.

الفصل السادس

دور الجيش في الحياة العامّة

الفصل السادس

دور الجيش في الحياة العامّة

كانت السلطة في عهد الولاة في الأندلس قبلية، فعلى الرغم من وجود والٍ للبلاد، إلا أن كل قبيلة من القبائل التي شاركت في الفتح، كان لها زعيم تخضع له، وكان هذا الزعيم يسعى باستمرار لتحقيق المكاسب والامتيازات له ولأفراد قبيلته. وكانت بعض القبائل عندما تنفرد بالسلطة تنكّل بغيرها. وبالتالي فإن صراع المصالح كان هو السمة الأبرز في هذا العهد، وخاصة أن تنظيمات الجيش كانت هي الأخرى انعكاساً للتنظيمات القبلية، فكل زعيم قبيلة يرأس رجال قبيلته، ويكون بمثابة القائد العسكري لهم، الذي يوجههم ويقودهم إلىحيث تستدعي الحاجة.

وكان الولاة إذا ما اضطرتهم الظروف للقيام بعمل عسكري، يستنفرون زعماء القبائل الذين يحشدون رجالهم ويتقدمون لنصرة الوالي، وخاصة إذا كانوا موالين له.

وعندما جاء عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس (سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م) وبعد قضائه على واليها يوسف الفهري وصاحبه الصميل بن حاتم سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م في موقعة المصارة سعى إلى إحكام سيطرته القوية على البلاد، وهو يعلم أن ذلك لن يتحقق إلا بالحد من نفوذ زعماء القبائل، وإحلال سلطة الدولة ممثلةً بالأمير محل سلطة القبائل. وهو هدف لا يمكن بلوغه إلا بإيجاد جيش قوي على مستوى الدولة، تذوب فيه كل التناقضات القبلية.

وقد ألّف الأمير عبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٦-٧٨٩م) هذا الجيش في الوقت الذي كان فيه المجتمع الأندلسي يعجّ بالتناقضات. وهي تناقضات كان سببها الرئيسي اختلاف الفئات التي تكوّن منها هذا المجتمع الجديد، فهناك العرب والبربر، وهناك المولدون والشاميون، وهناك المستعربون(١)، وغيرهم.

واختلاف الفئات وتعددها، وتضارب مصالحها أدى إلى الاضطراب، وظهور الفتن، وقيام الثورات.

---

(١) السامرائي، خليل ابراهيم، وطه، عبدالواحد ذنون، ومطلوب، ناطق صالح، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٦، ص١٠٩. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم.

وقد كان للجيش الأندلسي الأموي دور بارز في القضاء على هذه المظاهر السلبية، التي لو انعدم وجودها لكان لدولة الإسلام في الأندلس شأن آخر، ولولا انشغال الجيش بها معظم وقته لتغيرت خارطة أوروبا، وتغير مع ذلك وجه التاريخ.

القضاء على الثوارت والفتن:

ما كاد عبدالرحمن الداخل يلتقط أنفاسه بعد مصرع يوسف الفهري والصميل بن حاتم سنة ١٤٢هـ / ٧٥٨م، حتى أعلن هشام بن عروة الثورة في طليطلة سنة ١٤٧هـ / ٧٦٣م وهذا الثائر هو أحد زعماء القيسية من الفهريين(١) الذين كانت المدينة تعجّ بأنصارهم. وقد بادر الأمير عبدالرحمن الداخل إلى القضاء على هذه الثورة محاولاً أخذ المتمردين على حين غرّة. فاستسلم هشام، وعرض الصلح على الأمير، وأعطاه رهينة من أولاده ضماناً لذلك. ولكن هشاماً الفهري ما لبث أن عاد للعصيان مرة أخرى، فسار إليه عبدالرحمن الداخل سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م وحاصر مدينة طليطلة، وأعدم الابن الرهينة، وقيل أنه قذف رأسه المقطوع إلى المدينة بالمنجنيق(٢). وفي تلك الأثناء وصلته أخبار ثورة أخرى قام بها العلاء بن مغيث اليحصبي (سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م) بتحريض من العباسيين، فانسحب إلى قرطبة دون أن ينال من الثائر المعتصم في طليطلة، من أجل الاستعداد لمواجهة الثورة الجديدة الأشد خطورة، وغيرها من الثورات(٣).

ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي:

بعد أن تولى عبدالرحمن الداخل إمارة الأندلس سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م بدأ يفكر في اجراء تنظيمات عسكرية جديدة، يعتمد فيها على المماليك والبربر القادمين من شمالي افريقية، وذلك للحد من نفوذ رجال القبائل العرب.

وعندما أدرك رجال القبائل، وخاصة **اليمنيين** وحلفاءهم من البربر ما يرمي إليه الأمير، ازدادت مخاوفهم من النظام الجديد، وفي الوقت نفسه ازدادت مخاوف الأمير من زعماء القبائل الذين خططوا للتخلص منه بعد قضائه على يوسف الفهري والصميل بن حاتم، بعد أن أدركوا أنه لن يحقق لهم ما يصبون إليه من سلطان وامتيازات، إذ بدأ بالإعتماد على غيرهم، وأخذ يتسلط على من ساعدوا الفهري والصميل، ويعامل العرب وشيوخهم، وخاصة اليمنيين معاملة الأتباع الذين عليهم واجب الطاعة فقط(٤).

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) من هذه الثورات: ثورة القاسم بن يوسف أحد زعماء طليطلة القيسيين، وثورة رزق بن النعمان، زعيم الجزيرة الخضراء، وهو قيسي أيضاً، وثورة عبدالغافر اليماني في اشبيلية. عنان، دولة الإسلام، ق١، ص١٥٨.
(٤) بيضون، الدولة العربية، ص١٨٩-١٩٠.

وكان أول من ثار عليه من اليمنيين هو العلاء بن مغيث اليحصبي*، رئيس جند مصر في باجه**، وذلك سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م، وسبب ثورته - كما تذكر بعض المصادر العربية - أن الخليفة العباسي المنصور، بعث إليه سجلّ تعيينه على البلاد، وراية العباسيين السوداء(١). وحرّضه على انتزاع الأندلس من الأمير عبدالرحمن الداخل الأموي، وضمّها إلى الخلافة العباسية، واعداً إياه بتعيينه والياً عليها، وبتأييده عسكرياً.

وهذا الذي تذكره المصادر لا يؤيده منطق الأحداث كثيراً، فالخلافة العباسية في ذلك الوقت كانت مشغولة بحل المشكلات العديدة التي تواجهها في المشرق، وليس من المعقول أن تفكر بإرسال الجند للقيام بمغامرة عسكرية، أو لتأييدها في مكان بعيد جداً عن مركز الخلافة في بغداد. ولم يكن بإمكانها إرسال مؤيدين من المغرب العربي لأنها لم تكن مسيطرة على تلك المنطقة في تلك الفترةحيث كانت سلطتها مهزوزة هناك(٢). ولذلك فإن الأقرب إلى الصواب هو أن العلاء بن مغيث قام بثورته، ودعا من تلقاء نفسه إلى الخلافة العباسية تقوية لحركته، وإظهاراً لقدسيتها، مما جعل الكثيرين من الناقمين على الأمير عبدالرحمن الداخل يلتفّون حولها. وليس مستبعداً أن تكون الخلافة العباسية قد باركت هذه الحركة، وأعلنت رضاها عنها، ما دامت تدعو لها.

هذا، وقد سارع الأمير عبدالرحمن للقضاء علىهذه الحركة، ولكن العلاء تمكن من محاصرته في مدينة قرمونة. وبعد شهرين من الحصار صمّم الأمير على الخروج بجنده من المدينة بعد أن تعاهد معهم على النصر أو الموت. وبالفعل فقد انقضّوا على العلاء فقتلوه وقتلوا كثيرين ممّن أيدوه(٣).

---

* تنسبه بعض المصادر أيضاً إلى جذام أو حضرموت فتقول: الجذامي، وأحياناً الحضرمي. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٧؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١-١٠٢.

** تقع حالياً جنوبي البرتغال.

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٧؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١-١٠٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥١.

(٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١١١.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٧-٥٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٢.

وقد قام الأمير بقطع رأس العلاء، وحشاه بالملح والكافور، وبعث به مع رؤوس أخرى إلى مكة المكرمة، حيث ألقيت في طريق الخليفة العباسي المنصور أثناء تأديته فريضة الحج، فانزعج وقال: "الحمد لله الذي جعل بيننا وبين مثل هذا (يقصد عبدالرحمن بن معاوية) من عدونا بحراً"(١).

وبعد القضاء على هذه الثورة ألغى الأمير عبدالرحمن الذي أصبح يعرف بصقر قريش(٢) - جند مصر من الديوان، وحذف لواءه(٣).

ثورة سعيد اليحصبي المعروف بـ (المطري):

ثار سعيد اليحصبي في مدينة لبله سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م، ويتلخص سبب ثورته - كما تذكر المصادر - انه سكر في بعض لياليه، فذكر عنده من قتل من اليمانية، وشدة عبدالرحمن الداخل وقسوته عليهم، فعقد لواءً في رمحه، ولما أفاق، نظر إلى العقدة واللواء، فقال: ما هذا؟ قيل له: لواء عقدته البارحة غضباً لقتل قومك، فقال: حلّوا العقدة قبل أن يُرفع خبرها إلى الأمير عبدالرحمن، ثم غيّر رأيه قائلاً: "ما كنت لأرجع عن رأي(٤)، وما كنت لأعقد لواءً ثم أحلّه بغير شيء"(٥).

وشرع يدعو قومه، فاجتمعت إليه اليمنية، وقوي جمعه، فسار من لبله إلى اشبيلية واستولى عليها قسراً، فارتد واليها عبدالملك بن عمر المرواني* لقلّة جنده، ومكث ينتظر

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٩-١٠.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص٣٦.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٨٨؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٦٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٨٨.

* عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم المرواني القرشي: دخل إلى الأندلس قادماً من مصر سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧-٧٥٨م هارباً من اضطهاد العباسيين وتنكيلهم ببقايا الدولة الأموية في المشرق، فولاه عبدالرحمن اشبيلية، وولى ابنه عبدالله على مورور Moron=

المدد(١). وكانت اشبيلية مطمح كل ثائر أو خارج على حكومة قرطبة لقربها من العاصمة، فالثائر الذيّ يستولي عليها يهدد قرطبة مباشرة، كما كان أهلها مع كل ثائر يؤيدونه ويقاتلون معه، لذلك ظلّت زمناً طويلاً من أهم مراكز الثورة في الأندلس.

سار الأمير عبدالرحمن بقواته لإخماد الثورة، فلم يستطع المطري مجابهته، ولذلك احتمى بقلعة حصينة يقال لها قلعة (رعواق)(٢)، فحاصره عبدالرحمن فيها.

ومما زاد من تفاقم خطر هذه الثورة، واشتداد بأس القائمين بها، محاولة غياث بن علقمة اللخمي مساعدة المطري، وكان غياث بمدينة شذونه، وقد اتفق مع المطري على مساعدته إذا هاجمه عبدالرحمن الداخل(٣).

وعندما علم الداخل بذلك أرسل مولاه بدراً على رأس قوة لمنع غياث وجموعه من إمداد المطري، وقد حال بدر بالفعل دون وصول النجدة لفك الحصار المضروب حول القلعة ومن فيها. وطالت فترة الحصار، وضاق المطري ذرعاً به، ونفد صبره، وقلّ رجاله بالقتل، وفارقه بعضهم(٤)، فحاول يوماً أن يشق له طريقاً بين الجيش المحاصر له، فخرج هو وبعض فرسانه، ونشبت بينهم وبين جيش الأمير معركة حاسمة قتل فيها المطري ومن خرج معه، وأُخذ رأسه إلى الأمير عبدالرحمن، فأمر به فرفع في طرف سنان(٥).

= حيث ابلى عبدالملك بلاءً حسناً في القضاء على المناهضين لعبدالرحمن الداخل فاصطفاه الأمير عبدالرحمن وزوج ابنته كنزه من ابنه هشام ولي عهد الأمير وقدّمه واستوزر ابناءه عبدالله وابراهيم وحكما.

- ابن حيان، المقتبس، تحقق مكي، ص٢٦٩؛ ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٤٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦-٩٧؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٥٩-٦٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٦-٣٨، ٥٦-٥٧، ٦٠.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٣.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٥، و (قلعة راعوق) هي القلعة المعروفة بقلعة وادي ابره Alcala de Gudairo ، وتقع على نهر الوادي الكبير على بُعد ثمانية أميال من منبعه من اشبيلة. مؤنس، فجر الأندلس، ص٩٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٨٨؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٦٦، (ويسميه عتاب بن علقمة اللخمي).

(٤) النويري، نهاية الأرب، م٢٣، ص١٣٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٣.

ثورة أبي الصباح اليحصبي ١٤٩هـ / ٧٦٦م:

كان أبو الصباح (حي بن يحيى اليحصبي)(١) زعيم العرب اليمانية في اشبيلية، من أول الملبين لدعوة الأمير عبدالرحمن الداخل حين قدومه إلى الأندلس (١٣٨هـ / ٧٥٦م)، ومن المبايعين له، أيده وناصره، وقاتل معه في معركة المصارة، وكان له ثقله في تلك الموقعة لمكانته بين قومه. وعندما منع الداخل الجند المنتصرين من الإسراف في قتل الفهريين، تغيرت قلوب الكثيرين من اليمانيين، ومن بينهم أبو الصباح اليحصبي الذي دعاهم إلى القضاء على عبدالرحمن الداخل.

وقد علم الأمير بما يرمي إليه اليحصبي، ولكنه تجنّب مواجهته، تاركاً ذلك إلى أن يحين الوقت المناسب، بل فضّل في هذه المرحلة إكرامه، فقرّبه وعيّنه والياً علىاشبيلية(٢) سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م .

وبعد قضاء عبدالرحمن على ثورة المطري ١٤٩هـ / ٧٦٦م، نقم عليه أبو الصباح الذي كتب إلى من توسم فيهم تأييده في أنحاء الأندلس، وألّبهم على الأمير. وعندما تبين للامير عظم نفوذ أبي الصباح وقوته وتأثيره على الأجناد، حاول التفاوض معه واستدراجه بالحيلة إلى قرطبة، حيث قتله في العام نفسه، فتفرق جنده(٣).

وكان لمقتل أبي الصباح اليحصبي أثر بالغ على القبائل اليمنية في غربي الأندلس، لأنه كان سيد عرب تلك المنطقة، وكان أقرباؤه من كور لبله واشبيلة وباجه، قد ازدادت نقمتهم على عبدالرحمن، وأخذوا يتحينون الفرص للثورة عليه.

وبينما كان الأمير مشغولاً بالقضاء على إحدى ثورات البربر في وسط البلاد سنة ١٥٦هـ / ٧٧٢م ثار اليمنيون في إشبيلية ولبلة وباجة بقيادة حيوة بن ملامس الحضرمي، وعبدالغافر اليحصبي، وانضم إليهما كل من عمر بن طالوت اليحصبي، وكلثوم بن يحصب، وقصدوا جميعاً قرطبة(٤).

ومما زاد من خطر هذه الثورة انضمام بعض البربر المؤيدين لليمنيين إليها.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٩٠.

(٢) المقري، نفح الطيب، م٤، ص٣٣؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٩٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٥-١٠٦.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣١،٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٠-٥١.

وقد سارع الأمير عبدالرحمن للقضاء علىهذه الثورة، مستخدماً أسلوب التفريق بين البربر واليمنيين، مستعيناً بمواليه من البربر في مناطق وسط وغرب الأندلس مثل: بني خليع، وبني وانسوس وغيرهم. فقد دخل هؤلاء مع بني جلدتهم في معسكر الثوار، وأقنعوهم بالتخلي عن زعماء الثورة والإنضمام إلى عبدالرحمن الذي وعدهم بالعطاء، وبضمهم إلى الديوان. وقد نجحت خطة التفريق، إذ تخلى البربر عن اليمنيين أثناء المعركة، فحلّت الهزيمة بهم، وقتل معظم قادتهم(١) سنة ١٥٧-١٥٨هـ / ٧٧٤-٧٧٥م.

ثورات البربر:

كانت أولى هذه الثورات هي ثورة الدعيَ الفاطمي شقنا (١٥١-١٦٠هـ / ٧٦٨-٧٧٧م)، وهو شقنا بن عبدالواحد(٢)، من قبيلة مكناسة البربرية، كان يعمل معلّم صبيان (كتّاب)، وكانت دراسته للقرآن الكريم والحديث النبوي، وبعض الآثار التاريخية دراسة بسيطة، إذ لم يكن فقيهاً ولا مفسّراً، ولا رجل دعوة، ولكنه كان مخادعاً، إذ استغل اسم أمه، وكانت تدعى فاطمة، وادعى أنه فاطمي من نسل فاطمة الزهراء بنت محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأنه من ولد الحسين (رضي الله عنه)، وتسمى بعبدالله بن محمد(٣). وكان يسكن في مدينة شنت برية في شرقي الأندلس(٤)، وهناك دعا الناس إلى اعتناق الدعوة العلوية التي كان يدعو إليها، فاتبعه كثير من البربر المقيمين في منطقته. ثم عظم جمعه، وشاعت دعوته في معظم

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧-١٠٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٠-٥١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٠-٥٠١؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٩٧-٢٠٠.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٦٠٥؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٦٧. وقد سمته بعض المصادر (شقيا) بالياء، وانظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧، حيث سماه (سفين بن عبدالواحد).

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٦٠٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٤.

(٤) شنت بريه: شنت: بفتح أوله وسكون ثانيه. بريه: باء موحدة مفتوحة وراء مكسورة، بعدها ياء مثناة من تحت مشددة Sautaver . وهي من الكور الأندلسية القديمة التي اندثرت، وكان موقعها يشغل مقاطعة قونقة، وقاعدتها شنت بريه، وهي مدينة كبيرة. الحموي، معجم البلدان، م٣، ص٣٦٦.

أنحاء الأندلس، وتبعه كثيرون من بربر مارده وقوريه ومدلين إما إيماناً بدعوته، أو طمعاً بالحصول على امتيازات أو وضع أفضل في حالة انتصاره.

وقد استمرت هذه الثورة نحو عشر سنوات، كان الأمير يسيّر خلالها الحملات المتعاقبة للقضاء عليها دون فائدة، بسبب اعتصام المتمردين بالجبال العالية المنيعة كجبال بلنسيه الواقعة في شرقي الأندلس، وتجنبهم لخوض المعارك الحاسمة في السهول(١). ولكن الأمير تمكن في النهاية من القضاء علىهذه الحركة بالتعاون مع أحد زعماء البربر, وهو هلال المديوني الذي عينه على شنتبريه سنة (١٥٥هـ / ٧٧٢م)، وأوكل إليه مهمة القضاء على التمرد، فاستطاع أن يدبر مؤامرة لاغتيال الفاطمي، زعيم الحركة، وذلك سنة ١٦٠هـ / ٧٧٧م، وانتهت الثورة باغتياله(٢).

وهكذا، فإن هذه الثورة استمرت مدة طويلة، واستنفدت جهوداً كثيرة، وكانت الحرب اثناءها بين الأمير عبدالرحمن الداخل وبين القائمين عليها حرب عصابات، فالثائرون كانوا يلجأون إلى أعالي الجبال كلما داهمهم الخطر، ويتجنبون المواجهة، وكان هذا واحداً من أسباب بقائها مدة طويلة. أما السبب الثاني فهو كثرة مؤيديها وخاصة من البربر الذين وجدوا فيها محاولة جادة لإقامة دولة شيعية(٣) طمعوا في أن يكونوا هم حكامها. وأما السبب الثالث فهو عدم تفرغ الأمير عبدالرحمن للقضاء عليها، إذ كان يضطر بين حين وآخر للعودة إلى قرطبة لإخماد الاضطرابات والفتن المتلاحقة التي كانت تقوم فيها. وعلى الرغم من هذه الأسباب تمكن الأمير في النهاية من القضاء على هذه الثورة، متسلحاً بإصراره العنيد، ومواهبه العسكرية، وسياسة (فرّق تسد) التي اتبعها في تمزيق صفوف البربر.

وقد استمرت ثورات البربر على السلطة الأموية في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل ومن جاء بعده من أبنائه، ففي عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن (الرضا) ثار البربر في رنده

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧-١١١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٤-٥٥.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧-١١١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٤-٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤٩-٥٠.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٨؛ مكي، محمود علي، التشيع في الأندلس من الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، م٢ (ع١-٢)، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م، مطبعة المعهد المصري، مدريد، اسبانيا، ص٩٩، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: مكي، التشيع في الأندلس.

Ronda في الجنوب سنة ١٧٨هـ / ٧٩٥م(١). وهاجموا الإقليم بكامله، وقتلوا العديد من العرب، إلا أن الأمير لم يمهلهم طويلاً، واستعمل معهم العنف، وأنزل بهم ضربة قاصمة أحالت معاقلهم إلى دمار، حتى أن بعضها ظل خالياً من السكان نحو سبع سنوات.

وفي عهد الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م) ثار البربر في مدينة مارده سنة ١٩٠هـ / ٨٢١م بزعامة اصبغ بن عبدالله بن وانسوس الذي كان قائداً للأمير، وعاملاً له على المدينة. ويبدو أنه طمع في الاستقلال بحكمها، فثار، وربما يكون سبب ثورته - كما تذكر بعض المصادر - ناتجاً عن قيام بعض أعدائه بالإيقاع بينه وبين الأمير، مما أساء إلى علاقته مع حكومة قرطبة. وقد استمرت هذه الثورة سبع سنوات لم يستطع اصبغ أن يحقق خلالها أي هدف، فيئس، وطلب من الأمير الأمان، فأمنه، ودعاه للإقامة في قرطبة، وسمح له أن يتردد على ضياعه في ماردة بين حين وآخر(٢).

وفي عهد الأمير عبدالرحمن الثاني قامت ثورة بربرية بقيادة رجل من قبيلة مصمودة، هو محمود بن عبدالجبار بن راحلة، وذلك في مدينة ماردة سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م*. ثم انضم إليه رجل آخر يدعى سليمان بن مرتين، وهو زعيم مولدي، وقد استعان ابن راحلة في ثورته بالملك الأسباني الفونسو الثاني وغيره من الأمراء الأسبان، كما قدم له المساعدة الملك الكارولنجي لويس(٣).

وعلى الرغم من محاولة هذا الثائر الإفادة من الموقع الجغرافي لمدينة ماردة، ومن اصطناعه التحالفات السياسية مع النصارى، إلا أنه لم يصمد أمام الأمير عبدالرحمن الثاني الذي توجه بنفسه للقضاء على هذه الثورة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م. فقد غادر ابن راحلة المدينة، واختبأ في حصن فرنكش على ضفة وادي آنه(٤). ثم ما لبث أن وقع خلاف بينه وبين شريكه سليمان الذي انفصل عنه، وسيطر على بطليوس(٥) وباجه، مما اضطر الأمير إلى ملاحقته قبل أن

---

(١) تقع رنده في إقليم تاكرنه إلى الغرب من مدينة مالقة. الحميري، الروض المعطار، ص٧٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٢.

* ماردة: إلى الغرب من قرطبة، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٥.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩. ووادي آنه، هو النهر الذي تقع عليه مدينة ماردة.

(٥) تقع مدينة بطليوس إلى الغرب من ماردة.

فقهاء كثيرون(١)، منهم يحيى بن يحيى الليثي، وطالوت بن عبدالجبار، وعيسى بن دينار الطليطلي ومالك بن يزيد بن يحيى التجيبي، ويحيى بن نصر اليحصبي، وموسى بن سالم الخولاني وولده، ويحيى بن مضر القيسي الفقيه، وأبو كعب بن عبدالبر وأخوه عيسى، ومن أقارب الحكم محمد بن القاسم المرواني الذي اختاره المتآمرون لرئاستهم(٢).

وبعد هذه الحادثة ازداد سخط الفقهاء والعامة، وأخذوا يتحينون الفرص للإنقضاض على الأمير ثأراً لقتلاهم.

أما الأمير الحكم فقد أدرك خطورة ما قام به، وخشي على نفسه من نقمة الثائرين، فاحتاط للأمر، واتخذ التدابير الكفيلة بحمايته، ومن ذلك: تحصين أسوار قرطبة وحفر خندق حولها، وتقوية أبواب قصره، والإعتماد على المماليك والعبيد في الدفاع عنه، فقد اشترى عدداً كبيراً منهم بلغ نحو خمسة آلاف رجل، منهم ثلاثة آلاف فارس، وألفا راجل(٣)، وعهد إليهم بحراسة قصره، معتبراً إياهم قوة طوارىء مستعدة للتدخل السريع من أجل القضاء على أي حركة مناوئة(٤). وكانت نتيجة هذه الترتيبات هدوء الفتنة، ولكن إلى حين.

فبعد أربعة عشر عاماً بدأ الدور الثاني من فتنة الربض، وذلك عام ٢٠٢هـ / ٨١٧م، وكان السبب المباشر الذي أشعل نارها قيام أحد الحرّاس بقتل أحد الحدادين لتباطؤه في إصلاح سيفه. فقد أثار هذا الحادث غضب أهل الربض من المولدين، وتجمهروا وساروا إلى قصر الأمير، وطوّقوه. وعندئذ صمّم الحكم على القضاء على هذه الثورة نهائياً، فدعا رئيس حرسه الخاص(٥) للدفاع عن القصر، وارسل اثنين من قادة جيشه، فعبرا نهر الوادي الكبير من مخاضة بعيدة عن الجسر الذي يسيطر عليه المتمردون، وهما: عبيدالله بن عبدالله البلنسي،

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٢-٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧١.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣٢٩؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧١؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٣٣.

(٣) ابن خلدون، العبر، م٤، ص١٢٧؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٩؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٣٨-٣٤٢.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٩-١٣٠؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٤٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٩؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٢٣.

(٥) ربيع من تدلفه، وهو نصراني من قرطبة.

وإسحاق بن المنذر القرشي، وتوجها بقواتهما إلى الربض، وأشعلوا فيه النيران. وعندما أحسّ المتمردون بذلك تفرقت صفوفهم، وتوجه قسم كبير منهم لإنقاذ أهله وماله، فوقعوا بين أيدي جند الأمير مما أدّى إلى مقتل عدد كبير منهم، وإنهاء مقاومتهم.

وبعد إنهاء المقاومة تم القبض على نحو ثلاثمائة رجل من زعماء الثورة، وصُلبوا صفاً واحداً على نهر الوادي الكبير. ثم أمر الأمير بهدم أرض الربض وحرثها وزراعتها، بعد نفي أهله إلى خارج الأندلس. وقد ظلّ الربض مهجوراً لما يقرب من قرنين. وبسبب ما قام به الحكم في هذه الضاحية لقّب بالربضي(١).

ومما يُذكر هنا أن بعض الربضيين الذين تم نفيهم خارج الأندلس سنة ٢٠٢هـ / ٨١٨م استقروا في المغرب، حيث سمح لهم ادريس بن ادريس (ادريس الثاني) ١٨٦-٢١٣هـ / ٨٠٢-٨٢٨م أمير الأدارسة بالإقامة في مدينة فاس التي أسسها والده ادريس الأول، وأصبح الحي الذي أقاموا فيه يُعرف بحي الأندلسيين. بينما واصل بعضهم الآخر إبحارهم حتى انتهوا إلى الأسكندرية وأقاموا فيها مستغلين الظروف السائدة، حيث كان يسود المدينة الفوضى والإضطراب بسبب الفتنة بين الأمين والمأمون*. غير أن أهل الإسكندرية ما لبثوا أن أذلّوا الأندلسيين، فثار هؤلاء لكرامتهم وتغلّبوا على المدينة وملكوها. وعندئذ توجّه إليهم عبدالله بن طاهر(٢) أمير مصر من قبل المأمون، وصالحهم على التخلي عنها مقابل مال بذله لهم، وخيّرهم في النزول إلى أي جزيرة من جزر البحر المتوسط، فاختاروا جزيرة اقريطش في أواخر سنة ٢١٢هـ / أوائل سنة ٨٢٨م(٣)، وكانت تابعة للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور ميخائيل الثاني (٨٢٠-٨٢٩م)، فاستولوا عليها بقيادة زعيمهم أبي حفص عمر بن عيسى البلوطي، المعروف بابن الغليظ(٤). وقد أسسوا في الجزيرة دولة اسلامية حكمت نحو مائة وثمانية وثلاثين عاماً (٢١٢-٣٥٠هـ / ٨٢٨-٩٦١م)، ونشروا فيها الإسلام، وأنشأوا فيها المدن، ومنها مدينة الخندق التي اتخذوها عاصمة لهم. وقد أصبحت جزيرة كريت فيما بعد قاعدة بحرية اسلامية مهمة تهدد سواحل الإمبراطورية البيزنطية. ولكن البيزنطيين تمكنوا من

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٦-٧٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٦.

* استمرت الفتنة بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون من سنة ١٩٣ الى سنة ١٩٨هـ، بتولية المأمون الخلافة. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، م٥، ص٢٣.

(٢) عبدالله بن طاهر: قائد الخليفة العباسي المأمون، ولاه مصر سنة ٢١١هـ / ٨٢٧م. انظر: ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٢؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٤٠ (وهي جزيرة كريت المعروفة).

(٤) ينسب أبو حفص إلى فحص البلوط، وهي منطقة تقع إلى الغرب من قرطبة. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٩٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٩٤.

الإستيلاء على هذه الجزيرة في عهد الإمبراطور نيقوفور فوقاس عام ٣٥٠هـ / ٩٦١م، فتفرق المسلمونّ، ورجع قسم من الأندلسيين إلى الأندلس، بينما توزع الآخرون بين مصر وصقلية(١).

حركات المولدين:

المولدون: هم أهل شبه الجزيرة الإيبيرية من الأسبان والقوط الذين اعتنقوا الدين الإسلامي منذ الفتح، واندمجوا في المجتمع الأندلسي الجديد الذي يضم ايضاً العرب والبربر والمستعربين. وقد كان المولدون يطمحون إلى وضع اجتماعي وسياسي أفضل، وذلك بمشاركة العرب المسلمين الحكم والسلطان، ولما لم يتحقق لهم ذلك تمردوا وسعوا إلىالإنفصال، وخاصة أولئك الذين استقروا في مناطق الحدود مع الدولة المسيحية في الشمال، أي، فيما عُرف بالثغور الأندلسية، مثل: سرقسطة في الشمال الشرقي، وطليطلة في الوسط، وماردة في الغرب(٢).

وقد كانت ثورات المولدين وحركاتهم كثيرة منتشرة على مساحة الثغور، وكان الجيش الأموي يتصدى لها باستمرار، إذ قام بدوره في هذا المجال على الوجه الأكمل. ونظراً لكثرة هذه الحركات وتشابهها، وتشابه الموقف منها، فإننا سنقصر الحديث على مثال واحد من مدينة طليطلة، حيث ثار المولودون فيها على الأمير الحكم بن هشام وابنه الأمير عبدالرحمن الثاني. فقد ثار المولودون في طليطلة على الأمير الحكم عام ١٨١هـ / ٧٩٧م بزعامة رجل يُدعى عبيدة بن حُميد(٣). وللقضاء على ثورتهم لجأ الأمير الحكم إلى الإستعانة بمولّد منهم وهو عمروس بن يوسف من مدينة وشقة، وكان من المخلصين له، الذين أسلموا وصدق إسلامهم، والذي شعر أنهم لا بد وأن يطمئنوا إليه ما دام من بني جلدتهم. فقد عينه الأمير على مدينة طليطلة سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م. وعندما أنس إليه أهلها تظاهر أمامهم بأنه أكثرهم حقداً على الأمير الحكم، وأنه أشد حرصاً منهم على الاستقلال عن بني أمية(٤).

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٦؛ المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٣٩؛ الطيبي، أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ١٩٨٤م، ص١٣. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: الطيبي، دراسات وبحوث.

(٢) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٢٨، ص٢٣٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٥٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٤؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٣٦.

وراح عمروس يتلاعب بعواطف إخوانه المولدين، ويمنيهم بتحقيق غاياتهم، وإمعاناً في تضليلهم بنى قلعة على مقربة من نهر تاجة، موهماً إياهم أنها ستكون قلعة للثوار، ومركزاً لتدريب الثائرين. ولما انتهى من بنائها أقام فيها مأدبة كبرى دعا إليها زعماء الثورة، وبعث سراً إلى الأمير الحكم أن يوافيه بقوة عسكرية في الوقت المحدد. فقام الأمير الحكم بالإعلان عن إرسال حملة عسكرية إلى الحدود الأندلسية مع أسبانيا في الشمال لمقاتلة النصارى هناك، بقيادة ابنه عبدالرحمن الذي كانت وجهته الحقيقية مدينة طليطلة، ولكن أعلن غير ذلك حتى لا تتكشف الخطة المتفق عليها بين الأمير وعمروس. وعندما وصلت الحملة إلى مكان قريب من طليطلة أعلن عن انسحاب العدو، وعن تهيؤ الجيش للعودة. وعندئذ خرج عمروس ومعه وجهاء المدينة، ودعوا الأمير إليها، فوافق بعد تمنّع. وفي تلك الأثناء كان زعماء المدينة وكبار الشخصيات فيها قد اجتمعوا لحضور المأدبة الكبرى التي أعدّها عمروس. وفي جوف الليل كانت جثث القتلى من زعماء الثورة تتكدس فوق بعضها بعضاً في حفرة واسعة وراء القلعة. وانتهت بهذه المجزرة الرهيبة التي لم يتفق المؤرخون على عدد قتلاها ثورة المولدين(١)، بأسلوب ذكي من ابتكار الحكم من دون ضجة أو مشقة، ودون أي ردة فعل من أهالي طليطلة، لأن زعماءها المؤثرين دفنوا مع ثورتهم في الحفرة الشهيرة سنة ١٩١هـ / ٨٠٧م (٢).

ولعلّ من أهم الأسباب التي جعلت الثورات تكثر في طليطلة: موقعها الحصين على منحدر يطل على نهر تاجه Tajo، وإحاطتها بأسوار منيعة عالية، وحقد أهلها على عاصمة الدولة الأموية قرطبة، وذلك لأن طليطلة كانت إلى زمن قريب عاصمة دينية وسياسية ذات أهمية كبيرة، غير أن هذه الأهمية انتقلت إلى قرطبة التي أنشئت على حسابها. ولهذه الأسباب أصبحت طليطلة مركز المتمردين من المولدين والمستعربين، ومصدر قلق للدولة الأموية وجيشها ذي اليد الطولى في قمع الثورات(٣).

---

(١) قيل أن عددهم بلغ سبعمائة، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٠. وقيل إن العدد وصل إلى خمسة آلاف وثلاثمائة رجل، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٠.

(٢) سميت هذه المجزرة (بوقعة الحفرة). ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٠-٧١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤-١٥.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٣٥-٢٣٦.

حركات المستعربين:

المستعربون Mozarabes: هم النصارى الأسبان الذين آثروا – بعد الفتح – الاحتفاظ بدينهم، وظلوا في ديارهم، ولكنهم تأدبوا بآداب اللغة العربية، وتعوّدوا عادات العرب المسلمين وتقاليدهم الاجتماعية(١).

وقد عاش المستعربون في كنف الدولة الإسلامية، واندمجوا في المجتمع الإسلامي، وتفننوا في استخدام اللغة العربية الفصيحة، حتى أنهم نظموا الشعر العربي، وقرأوا أمهات كتب الأدب العربي منصرفين عن لغتهم اللاتينية، مما أوصلها في بعض أجزاء أسبانيا إلىدرجة كبيرة من الإنحطاط، وجعلها نسياً منسياً. ولم يكن المستعربون كلهم كذلك، فقد كان بعضهم من رجال الدين المغالين في تعصبهم لدينهم ولغتهم، ولذلك فقد حاول هؤلاء افتعال أزمة مع الحكم العربي الإسلامي المتسامح، وذلك بإظهار الاستخفاف بالإسلام، وشتم النبي محمد (صلى الله عليه وسلّم)، والتقول عليه بالباطل. وكانوا يرمون من وراء ذلك إلىخلق جو من التوتر، والشعور بالاضطهاد، وخاصة أن الشرع الإسلامي لا يتهاون مع مقترفي هذه الجريمة، ويعاقب مرتكبيها بالموت، ومن ثم يبدو للمسيحيين أن المسلمين يقتلون إخوانهم ويضطهدونهم (٢).

ولقد تزعم هذه الفتنة بعض الغلاة أمثال أيلوخيوEulogio ، والفاروه Alvaro، وذلك في أواخر عهد الأمير عبدالرحمن الثاني الأوسط ٢٣٨هـ / ٨٥٢م. وعلى الرغم من قلة عدد الغلاة الذين لم يزيدوا على أربعين شخصاً، إلا أن حكومة قرطبة حسبت حسابهم، وخشيت عاقبة ما يقومون به. ولكنها مع ذلك لم تلجأ إلى العنف في القضاء عليهم، وإنما اكتفت بإصدار الأحكام القضائية ضدهم. وظلت هذه الحركة مستمرة، بل وتطورت إلى ما يعرف بحركة (الإستهزاء) أو (الإستشهاد) الذي حثّ عليه المتطرفون، وهو الموت في سبيل الدين المسيحي. ثم جاء وقت استاء فيه المسيحيون المعتدلون من الاستشهاد، واعتبروه نوعاً من الإنتحار المحرم في دينهم. وفي عام ٢٣٧هـ/ ٨٥٢م عقد المجمع الديني في قرطبة اجتماعاً ضم أساقفة الأندلس برئاسة مطران إشبيلية: غومز بن أنطونيان الذي كان يعمل كاتباً عند الأمير عبدالرحمن الأوسط (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م) وحضر الاجتماع بصفته ممثلاً له، وقرر المجمع إصدار بيان بموافقة جميع الأعضاء باستثناء أسقف قرطبة الذي لزم جانب المتطرفين، استنكروا فيه حركة المسيحيين المتطرفين، وعدّوها مخالفة لتعاليم الكنيسة. ومع ذلك لم تنته هذه الحركة إلا في بداية حكم

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٣٥.

(٢) المرجع السابق ص٢٣٥.

الأمير محمد بن عبدالرحمن الثاني ٢٧٣هـ - ٨٨٦م، وذلك بإعدامه ايلوخيو المحرض عليها، عام ٢٤٥هـ / ٨٥٩م(١).

ومن حركات المستعربين أيضاً، حادثة فلورا (Flora)، الفتاة المسلمة وتلميذة ايلوخيو الذي اكتشف حقيقة تنصرها وترددها على الكنيسة، فقد غادرت بيتها بعد أن شعرت باكتشاف أمرها، غير أن غيابها لم يطل لأن أخاها الأكبر توصّل إلى معرفة مكانها وعاد بها، ولم يكن رحيماً أزاء ارتدادها بعد أن اعترفت بحقيقة إيمانها بالمسيحية، فسلّمها إلى القاضي لتنال نصيبها في المحكمة، وهناك اكتشف القاضي أن تنصرها راسخ، تشربته وهي طفلة من والدتها المستعربة ومن ايلوخيو الذي استهواها وهي شابة، حتى أنها لم تتردد في التفوه بما فاه به الرهبان الذين سبقوها للموت. ويبدو أن انتماءها إلى بيت مسلم خفّف انفعال القاضي الذي اعتقد أن ما أصابها لا يعدو أن يكون لوثة سطحية. وحاول القاضي نصحها هي وفتاة نصرانية أخرى تدعى ماريا، ولكنهما أصرتا على موقفهما. وأخيراً أمر بأن تُلقى وصديقتها في السجن، ولكنها ظلت على اتصال دائم مع استاذها الروحي ايلوخيو الذي كان مسجونا أيضاً، وأخيراً أصدر القاضي حكمه بإعدامهما، وذلك في سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١م(٢).

وبالإضافة إلى القضاء على الثورات وحركات التمرد، كان للجيش الأموي في الأندلس دور كبير في قمع الخارجين على سلطة الدولة من العرب وغيرهم، أمثال عمر بن حفصون الذي يُعد من أشهر هؤلاء.

وقد كان عمر بن حفصون من أسرة فقيرة تعيش في إقليم رنده، اعتنقت الإسلام منذ عهد الأمير الحكم بن هشام. وفي أحد الأيام ارتكب جريمة قتل فرّ على أثرها إلى المغرب، لكنه لم يمكث فيها طويلاً، إذ عاد إلى الأندلس، واستولى على حصن روماني منيع اسمه ببشتر Bobastro في المنطقة الجبلية الجنوبية لإقليم رية.

وفي سنة ٢٦٧هـ / ٨٨٠م التفّت حوله جماعة من المولدين، وأخذ يهاجم المناطق المجاورة، ثم توسع في الإغارة حتى وصل إلى المناطق القريبة من قرطبة ذاتها.. واستمرت حركته طوال عهد ثلاثة من الأمراء الأمويين، هم الأمير محمد بن عبدالرحمن، وابناه الأميران المنذر وعبدالله، ولم يتمكّن أي منهم من القضاء عليها.

وفي أواخر أيامه تحول ابن حفصون إلى المسيحية، ولأكثر من مرة كان يخرج عن

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٦٧-٢٧٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٤١-٢٤٢؛ بيضون، الدولة العربية، ص٢٤٤-٢٤٦.

(٢) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٦٩-٢٧٠؛ بيضون، الدولة العربية، ص٢٤٩.

الإسلام إلى المسيحية، ظناً منه أن ذلك سيزيد من قوته، وبالتالي من فرص النجاح لتمرده، إذ لا بد في هذه الحالة من أن يدعمه المستعربون وملوك الدويلات النصرانية. غير أن هذا التحول الذي كان سياسياً أكثر منه عقائدياً لم يوفر له دعماً حاسماً، وزاد من صعوبة الأمر تولي الخليفة عبد الرحمن الناصر الحكم في الأندلس، الذي قاوم حركته بشدة وإصرار حتى قضى عليها سنة ٣١٦هـ / ٩٢٩م(١).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق انطونيا، ص١٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٦.

الفصل السابع
القواعد البحرية
وحركة الرباط الساحلي

الفصل السابع
القواعد البحرية
وحركة الرباط الساحلي

القواعد البحرية ونشاطاتها :

تمتاز شبه الجزيرة الآيبيرية بسواحلها الطويلة الممتدة على مياه البحر الأبيض المتوسط والمحيط الاطلسي شرقا وجنوبا وغربا، مما جعلها عرضة للغزو البحري من هذه الجهات. وقد أدرك المسلمون هذه الحقيقة منذ البداية، فرسموا لأنفسهم سياسة بحرية اعتمدوا فيها على دور الصناعة القديمة التي كانت منتشرة على تلك السواحل (١). وكانت المنطقة الممتدة بين لقنت Alicante وأكيله Aguila تضم أهم القواعد البحرية، منها: طرطوشة Totosa (٢) وطركونة Tarragona (٣)ودانيه Denia (٤) وبجانة Pechina (٥) واشبيلية Sevilla (٦) والجزيرة الخضراء Algeciras (٧) وغيرها.

وكانت السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة عامرة بالمراكب والسلاح والعدة منذ بداية الفتح العربي الاسلامي، ويشير ابن القوطية الى ذلك عندما يتحدث عن طالعة بلج بن بشر، وهم فرسان الشام الذين حاصرهم البربر في ثغر سبتة سنة ١٢٣هـ/ ٧٣١م،

---

(١) الحميرى، صفه جزيرة الاندلس، ص١٧٠؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٤٦.

(٢) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٥٥٥؛ الحموى، معجم البلدان،م٤، ص٣٠.

(٣) الحموى، معجم البلدان، م٤ ، ص ٣٢.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص٧٦؛ ابن الخطيب، الاحاطه، م٢ ، ص٢٧١.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص٣٧.

(٦) الحموي، معجم البلدان، م١ ، ص ١٩٥.

(٧)الحميرى، صفة جزيرة الاندلس، ص ٧٣.

ورفض والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري (صفر ١٢٣- ذو القعدة ١٢٣هـ/كانون الثاني ٧٤١- ايلول ٧٤١) السماح لهم بالعبور اليه، اذ يقول :"فلما يئس بلج بن بشر منه، أنشأ قربات (بتشديد الراء وفتحها، أي قوارب Carabos)، وأخذ من مراكب التجار، وأدخل فيها من رجاله من جاوره الى دار الصناعة بالخضراء (طنجه)، وأخذوا ما فيها من المراكب والسلاح والعدة، وانصرفوا بها اليه، فدخل بذلك الأندلس" (١).

واعتمد الأمويون في الأندلس على اليمنيين القضاعيين في الامور البحرية في بادئ الامر، فأنزلوهم في المناطق الساحلية الشرقية، وأوكلوا اليهم حراسة الساحل. وكانت بلدة بجانه (٢) أهم قاعدة لهم في هذه المناطق، لما تمتاز به من موقع حصين مأمون، وأرض خصبة عند مصب نهر آندرش Andarax المعروف ايضا بوادي بجانة (٣).
وفي مقابل حراسة السواحل تمتع اليمنيون باستقلال جزئي، كما أصبح لهم الحق في استغلال وادي آرش، ومنذ ذلك الحين أطلق على مناطقهم اسم (أرش اليمن) أي أعطية اليمنية من الأرض والاقطاع (٤).

وقد آلت رئاسة اقليم بجانة او أرش اليمن الى عمر بن أسود الذي يرجع اليه الفضل في تمصير الاقليم. وظل بنو سراج القضاعيون يتولون حراسة ما يليهم من البحر، واقاموا لهذا الغرض برجا او مرصدا للحراسة البحرية (٥) بالقرب من مصب وادي بجانة، فوق المرتفع الذي تقوم عليه اليوم قصبة المرية، باعتبار ان هذا المرتفع هو الموقع الانسب لهذا الغرض. وقد سمي هذا المرصد او المحرس باسم مرية بجانة. ثم توالى انشاء المحارس في مرية بجانة، واخذ الناس ينتجعونها بالتدريج، ويرابطون فيها لصد النورمانديين الذين قاموا بالاغارة على السواحل الاندلسية سنة ٢٤٥هـ/٨٦٤م (٦).

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص ٤١.
(٢) بجانة الآن قرية صغيرة تقع شمال المريّة بنحو عشرة كيلومترات، وتبعد عن البحر بقدر تلك المسافة. الحميري، صفة جزيرة الأندلس،ص٣٧.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس ،ص٣٧-٣٨؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٧٧-٨٦.
(٤) الحميري، صفة حزيرة الاندلس،ص ٣٧ ؛ العذري، ترصيع الأخبار ،ص ٩٢.
(٥) البكري، المسالك والمالك، ط١ ، ص١٢٨.
(٦) الحميري، الروض المعطار، ص١٨٣.

ومنذ سنة ٢٧١هـ/٨٩٠م اجتذبت هذه المدينة العديد من البحريين الأندلسيين، وذلك لما فيها من عيون وبساتين، ولما تمتاز به من موقع استراتيجي. وقد نزلوها بعد ان اتفقوا مع عرب ارش اليمن على تكوين منطقة بحرية دفاعية تضم أرش اليمن ومراسيه ومحارسه، لمواجهة اي اعتداء بحري على هذه السواحل. ثم تغلب هؤلاء البحريون بالتدريج، واصبح لهم الامر في بجانه (١) التي حوّطوا حاراتها وضياعها بسور، وذلك بعد سنة ٢٧٧هـ/٨٩٦م، وهي السنة التي قدمت فيها قوات سعيد بن سليمان بن جودي (ت اواخر سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م) سيد عرب البيرة لمهاجمة البحريين فيها، اذ كانت بجانة قبل هذا التاريخ "مدربة لم يضرب بعد عليها سور" (٢).

ثم تولى رئاسة البحريين في بجانة امير منهم يسمى: عبد الرزاق بن عيسى، وذلك في عهد الامير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) الذي منح اهل المنطقة الحق في توسيع رقعتها بضم القرى والحصون المجاورة، مثل: حصن الحمو، والخايبة، وبني طارق في الغرب، وحصن ناشر في الشرق، وحصن برشانة المنيع في الشمال (٣).

وقد لعب البحريون ببجانة دورا كبيرا في صد الهجوم الذي شنه الكونت سنير Sunier صاحب برشلونه بقطلونية سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م، ففي عهد الامير عبد الله بن محمد انتهز سنير فرصة مهاجمة عرب البيرة لبجانة، وقدم في خمسة عشر مركباً رست بساحل المرية قرب بجانة، وأحرق عددا كبيراً من السفن الاسلامية الراسية في خليج المرية. وعندما عزم على التقدم الى بجانة لنهبها، اصطدم بجماعة من المسلمين المرابطين في المحرس، لكنه تمكن من قتل احد زعمائهم، وهو خلف بن زهري في منطقة الحوض، فخرج البحريون من بجانة ليلا، واشتبكوا من القطلونيين (نسبة الى قتالونيا وعاصمتها برشلونه)، في معركة انتهت بهزيمتهم وانسحابهم، مما اضطرهم الى طلب الصلح، فأجابهم البحريون، وتم الصلح على يد البحري: عبد الرحمن بن مطرف الحاج، وانصرف الكونت سنير بسفنه(٤).

---

(١) الحميري، الروض المعطار،ص٣٨؛ العذري، ترصيع الأخبار،ص٩٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونيا، ص٨٩؛

والمقصود ب (مدربة) هو أنها كانت تتألف من دروب وحارات.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونيا، ص٥٢.

(٤) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونيا، ص٨٩.

وظلت بجانة تحتفظ بمكانتها طوال النصف الاول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ولكنها أخذت تفقد هذه المكانة عندما امر الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م ببناء مدينة المرية وتمصيرها. فقد أصبحت المرية Almeria من أشهر مراسي الاندلس واكثرها عمرانا (١). واصبحت هي وبجانة -على حد قول ياقوت الحموي- "بابي المشرق، منها يركب التجار، وفيها تحل مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب" (٢).

وقد اصبحت المرية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من اهم مراسي الاندلس، بل اشهر مراسيها واعمرها. وبفضل خليجها العميق الفسيح، اصبحت تضم اكبر وحدات الاسطول الاندلسي (٣). وكان عليها سور منيع بناه الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) (٤).

وسبب اختيار الخليفة الناصر لمدينة المرية مرفأ لأساطيل الاندلس اضافة الى كونها معقلا حصينا هو موقعها المرتفع، وقد اشتق اسمها من وظيفتها، اذ كانت تتخذ في الأصل مرأى(٥) ومحرساً بحرياً لمدينة بجانة القريبة منها، والتي لا تبعد عنها أكثر من ستة أميال شمالا. ولذلك سميت (مرية بجانة) (٦).

وتحيط بمدينة المريّة حصون كثيرة من اهمها: قلعة خيران، وحصن برجة الواقع في الجنوب الغربي منها، في واد شديد الخصب، وحصن شنش الواقع على بعد مرحلة منها، وحصن القبطة الواقع الى الجنوب الشرقي من خليجها. وقد ساعدت هذه القلاع والحصون على تدعيم نظامها الدفاعي وزيادة منعتها. والحصانة والمنعة، وكذلك وفرة عدد المدافعين شروط لابد من توافرها في المدن الساحلية، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: ....

---

(١) البكري، المسالك والممالك ، ص١٢٥؛الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٠

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٩؛

والمرية (بالفتح ثم الكسر وتشديد الباء) مدينة كبيرة من كورة البيرة من اعمال الاندلس. الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٥.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢١٠؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٣.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٣-١٨٤.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٣.

(٦) الادريسي، صفة المغرب، ص٢٠٠؛ الحموي، معجم البلدان، م٥، ص١٢٠.

"ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ان تكون في جبل او تكون بين امة من الامم موفورة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو، والسبب في ذلك ان المدينة اذا كانت حاضرة البحر، ولم يكن بساحتها عمران القبائل اهل العصبيات، ولا موضعها متوعر من الجبل، كانت في غرة للبيات، وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها" (١).

وتمتاز المرية ايضا بوقوعها على مصب نهر صغير هو وادى بجانة، اذ تتزود منه بالمياه العذبة الضرورية لسد حاجة السكان (٢). كما تمتاز بوقوعها على خليج هادىء المياه قليل الامواج، اضافة الى ان اتساعه يمكنه من استيعاب عدد كبير من السفن (٣).

والى جانب اهميتها الاستراتيجية كقاعدة للاسطول الاموي الاندلسي، اكتسبت المرية شهرة تجارية، واصبحت محط السفن القادمة من المشرق الاسلامي والاقطار الاوروبية. وكانت مراكب التجار تصل اليها من الاسكندرية وبلاد الشام (٤).

واما اهل المرية فقد عرفوا بوفرة مالهم وغناهم، وقد تأتى لهم ذلك من عملهم في التجارة والصناعة، وخاصة ان مدينتهم كانت باب الشرق، ومفتاح التجارة والرزق (٥).

ومن الجدير بالذكر ان الامويين، اعتمدوا بالاضافة الى العناصر العربية على جماعات بحرية اندلسية من المولدين والبربر والمستعربين لحماية سواحلهم وشن الغارات على اعدائهم. وقد انتشر هؤلاء في بلدان الساحل الشرقي الاندلسي التي كانت تعرف ايضا باسم البلاد البحرية (٦).

وكانت لهذه العناصر مراس، ورباطات، ودور صناعة، وقواعد بحرية. ومن اهم هذه القواعد: اشكوبارس Escombreres الواقعة على خليج قرطاجنة الحلفاء Cartegena، ولقنت Alicante، وأقيلة Aguilas، وكلها في شرقي الاندلس (٧).

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٨٣٩.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٨٣٨.

(٣) سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٢.

(٤) الادريسي، صفة المغرب، ص١٩٧-١٩٨.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٤؛ ابن سعيد، المغرب ج٢، ص١٩٣.

(٦) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨٦-٨٧.

(٧) الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٧٠؛ والروض المعطار، ص٤٦٢؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب، ص٢٤٩.

وانتشر هؤلاء البحريون ايضا في بعض جهات الساحل الافريقي الشمالي على شكل جاليات اندلسية متفرقة، وأسسوا هناك عددا من المدن، منها: مدينة تنس Tenes الحديثة التي أسسها بعضهم في المغرب الاوسط سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م، وكانوا يُشتون فيها قادمين من الاندلس. هذا، وقد أصبحت هذه المدينة مرفقا مهما اجتذب البربر، حيث تجمعوا فيها، وسألوا أهلها "ان يتخذوها سوقا، ويجعلوها سكنى، ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة، فأجابوهم الى ذلك" (١).

ومن المدن التي أنشأها البحريون ايضا: وهران في الجزائر، اذ يرجع الفضل اليهم وعلى رأسهم محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون في تأسيسها سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، وذلك بالاشتراك مع بعض القبائل البربرية مثل: نفزة، وبني سفن من أزداجة (٢).

وكان البحريون الاندلسيون يترددون في سفنهم كل عام بين شواطئ المغرب والاندلس، حيث يقضون فصل الشتاء في المغرب، والصيف في الأندلس (٣).

ومن المرافئ الاخرى التي احتلتها جاليات اندلسية في المغرب، وذلك في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي: بونه (٤)، ومرسى الخرز (٥)، وبجاية (٦)، ومرسى الدجاج (٧).

وكانت للبحريين الاندلسيين مغامرات كثيرة في المحيط الاطلسي، منها ما قام به خشخاش ابن سعيد بن اسود في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي لكشف المحيط وظلماته، فقد ركب البحر مع جماعة، وعادوا بغنائم واسعة واخبار مشهورة (٨).

---

(١) البكري، المسالك والممالك، ص٦١.

(٢) المصدر السابق، ص٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٠-٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٥ (وكان الغزاة يقصدون هذا المرسى من كل افق، لقربه من جزيرة سردانية).

(٦) المصدر نفسه، ص٨٢ (يقول البكري ان هذه المدينة كانت آهلة عامرة بأهل الاندلس).

(٧) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٨) البكري،المسالك والممالك، ص٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس،ص٢٨؛ العذري ترصيع الاخبار، ص١١٨-١١.

ومنها ما قام به الفتية المغررون او المغربيون من اهل اشبونة Lisbao الذين توغلوا في المحيط الاطلسي(١)، ووصلوا الى جزر الخالدات التي تعرف اليوم باسم: جزر كناريا Canarias.

اما نشاط هذه الجماعات في البحر الابيض المتوسط فقد اغفلته المصادر العربية، بينما تحدثت عنه المصادر اللاتينية والبيزنطية باسهاب، ووصفتهم بانهم كانوا قراصنة، مع ان القرصنة كانت شائعة في تلك الازمنة بين المسيحيين والوثنيين والنورمانديين (٢). واذا كان بعض المسلمين قد مارسوا اعمال القرصنة، فان ذلك لم يتم بموافقة حكومة قرطبة (٣).

ومن هذه الاعمال تلك الغارات التي شنها بعض البحريين على الجزائر الشرقية او جزر البليار سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م، مما اضطر اهلها الى الإستنجاد بالامبراطور شرلمان (٧٦٨-٨١٤م)، ووضع انفسهم تحت حمايته (٤).

ومنها ما قام به اهالي ربض قرطبة بعد نفيهم من الاندلس اثر قيامهم على الامير الحكم الاول (١٨٠- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦- ٨٢٢م) في عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م على النحو الذي ذكرناه سابقاً . فقد استقر بعض هؤلاء في مدينة الاسكندرية ثم غادروها الى جزيرة كريت سنة ٢١٢هـ/٨٢٨م، وانشأوا فيها دويلة اسلامية. ومن هناك اخذوا يشنون الغارات على جزر بحر ايجة، وساحل تراقيا وجبل آثوس Athos وغيرها، واستطاعوا ان يوجهوا ضربات قوية لمدينة سالونيك، وهي المدينة الثانية في الامبراطورية البيزنطية، واسروا آلافا من سكانها اقتيدوا الى مختلف الاقطار الاسلامية (٥).
وقد ظل مسلمو كريت زمنا طويلا مصدر رعب للامبراطورية البيزنطية وتجارتها، وعلى الرغم من المحاولات المتكررة التي قام بها البيزنطيون لاستعادة الجزيرة الا انهم فشلوا،

---

(١) الادريسي، صفة المغرب، ص١٨٤-١٨٥؛ الحميري، الروض العطار، ص١٦-١٨.
(٢) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص٢٥١.
(٣) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ج٢، ص١٥٢.
(٤) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص٢٥٢.
(٥) لويس، ارشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة احمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٤٩. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: لويس، القوى البحرية؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص٣٩

بسبب المدد العسكري المستمر الذي كان يأتيها من مصر والشام وافريقية، باعتبارها حصنا اماميا ضد البيزنطيين (١). وقد ظلت كذلك حتى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، عندما ارسل الامبراطور رومانوس الثاني (٩٥٩-٩٦٣م) اسطولا بقيادة القائد البيزنطي نيقفور فوكاس Nicephor phocas، والذي اصبح امبراطورا فيما بعد(٩٦٣-٩٦٩م)، فتمكن من استعادتها (٢).

وفي سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م غزا الاغالبة جزيرة صقلية بقيادة قائدهم اسد بن الفرات بن سنان، وكان جيشه يتكون من عشرة آلاف فارس بعضهم من الفرس الخراسانيين(٣)، وبعضهم الاخر من الافارقة ومن الاندلسيين المقيمين في افريقية. وقد ابحروا من ميناء سوسة الى مدينة سرقوسة Syrcuse شرقي الجزيرة التي استشهد على أسوارها القائد ابن الفرات سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م بعد ان وطد الحكم الاسلامي فيها، واصبحت بعد ذلك مركز تهديد لجنوبي ايطاليا، بل هددت روما نفسها (٤).

وكان المجاهدون المسلون من البحريين يساعدون الأغالبة، ففي عهد الامير عبد الرحمن الثاني الاوسط (٢٠٦- ٢٣٨هـ/ ٨٢٢- ٨٥٣م) توجهت الى جزيرة صقلية حملة بحرية من ميناء طرطوشة Tartasa لتغزيز الحامية الاسلامية فيها، وذلك سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م (٥).

غير ان هذه المساعدات توقفت اثر ابرام معاهدة بين الامبراطور البيزنطي تيوفل (٨٢٩- ٨٤٢م) وبين عبد الرحمن الثاني الاوسط سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م ضد الدولتين العباسية والافرنجية (٦).

---

(١) لويس، القوى البحرية، ص٢٣٩-٣٢٢.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص٢٤١؛ ابن الاثير، الكامل، ص٢٢٢.

(٣) كان اسد بن الفرات من موالي بني سليم، واصله من خراسان من نيسابور، وقد ولد بحران سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م. المالكي، كتاب رياض النفوس، ج٢، نشر د.حسين مؤنس، القاهر، ١٩٥١، ص١٧٢.

(٤) لويس، القوى البحرية، ص٢١٢.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٢٣٨.

(٦) عثمان، محمد عبد العزيز، البحرية العربية في الاندلس، مجلة المورد، المجلد (١٢) العدد (٤)، ١٩٨٣، ص٧٠ . وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: عثمان، البحرية العربية.

ولكن هذا التوقف لم يكن ملحوظا، بل كان ظاهريا وحسب، وذلك لان البحريين كانوا لا يلتزمون عادة بما يقره الحكام، كما ان الامير عبد الرحمن الاوسط لم يقم بأي عمل حاسم ضد نشاط الأغالبة في صقلية رغم كونهم حلفاء للعباسيين، بل اعتبرهم مجاهدين في سبيل الله (١).

وكان اصرار المجاهدين العرب المسلمين على مجابهة الافرنجة استمرارا لصراعهم الطويل معهم منذ معركة بلاط الشهداء (تور- بواتيه) التي استشهد فيها القائد عبد الرحمن الغافقي سنة ١١٤هـ/ ٧٣٣م، فقد استمر هذا الصراع، وقام شارلمان بحملة فاشلة سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م لغزو الاندلس في عهد الامير عبد الرحمن الداخل (١٣٨- ١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨م)، ثم قام بمثل هذه المحاولة ابن شارلمان لويس الحكيم (٨١٤- ٨٤٠م) حيث عمل على بسط سيادة الدولة الكارولنجيه على الجزر القريبة من الاندلس مثل الجزائر الشرقية: (ميورقة* ومنورقة** ويابسة***)، وسردانية، وكورسيكا (٢).

وبسبب هذه المحاولات ادرك الامير عبد الرحمن الثاني الاوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) انه يجابه الدولة الافرنجية بحرياً، لذلك حشد الاساطيل على طول الساحل الشرقي للاندلس، وبخاصة في المنطقة الواقعة بين طرطوشة وبلنسية، وتوجهت الحملات البحرية الى الشواطيء الاوروبية في غالة وايطالية.

---

(١) الدوري، تقي الدين عارف، صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية، بيروت، ١٩٨٠، ص٥٨-٦٠، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: الدوري، صقلية.

* ميُورقة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء وقاف: جزيرة في البحر المتوسط شرق الاندلس، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري، الحموي، معجم البلدان، م٥، ص٢٤٦.

** منورقة: بالفتح ثم الضم وسكون الواو وفتح الراء وقاف: جزيرة عامرة في البحر المتوسط شرق الاندلس، قرب ميورقة، الحموي، معجم البلدان، م٥، ص٢١٦.

***يابسة: جزيرة تقع في طريق من يبحر من دانية الى ميورقة. وفي هذه الجزيرة عشرة مراس، وفيها ايضا: انهار جارية، وقرى كثيرة، وعمائر متصلة، وينبت في ارضها الصنوبر الجيد الخشب، ولذلك تصنع فيها المراكب المشهورة بجودة خشبها. الحموي، معجم البلدان، م٥، ص٤٢٤؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص٢٠

٢- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٩٦

ثم غزا الامير عبد الرحمن جزائر البليار (ميورقة ومنورقة واليابسة) بثلاثمائة مركب سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م، وكانت هذه الجزر خاضعة لحماية الدولة الافرنجية. وسبب غزوها ان اهلها نقضوا المعاهدة التي كان الامير قد ابرمها معهم، وتحرشوا بالمراكب الاسلامية المبحرة في المياه القريبة من جزرهم. وقد أجبرهم الأمير عبدالرحمن على طلب الصلح، والخضوع لسيادة الدولة الأموية(١)، والتعهد بعدم التعرض لسفن المسلمين مستقبلاً. ثم ارسل الأمير فتاه شنطير الخصيّ إلى ابن ميمون*، عامل بلنسية، ليحضر تحصيل الغنائم منهم، ويقبض الخمس، وكان قد صالح بعض أهل حصونها على ثلث أموالهم. وقد جاء ابن ميمون وأحصى رباعهم وأموالهم، وقبض ما تحقق عليهم(٢).

وفي سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م، ورد كتاب من أهل ميورقة ومنورقة إلى الأمير عبدالرحمن الثاني الأوسط يذكرون فيه ما نالهم من نكاية المسلمين لهم(٣)، فكتب إليهم: "أما بعد، فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم، وإغارة المسلمين الذين وجهناهم إليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، وما أشفيتم عليه من الهلاك، وسألتم التدارك لأمركم وقبول الجزية منكم، وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين، والكف عن مكروههم، والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم، ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم، وتمنّعكم عن العود إلى مثل ذلك الذي كنتم عليه، وقد أعطيناكم عهد الله وذمته"(٤).

ويتضح من هذا الكتاب أن جزائر البليار لم تخضع للسيادة الأموية بشكل فعلي ونهائي، وقد بقيت كذلك إلى عهد الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) حيث أرسل إليها قائده عصام الخولاني، فاقتحمها، وأصبح حاكماً عليها سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م(٥).

وفي عهد الأمير عبدالله (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) قامت جماعة من المجاهدين الأندلسيين يقدر عددهم بنحو عشرين مجاهداً باللجوء إلى غابة كثيفة في ساحل غاله وذلك سنة ٢٧٦هـ / ٨٨٩م، ثم سيطروا على المناطق المجاورة واستقروا فيها، ودعوا إخوانهم من الثغور

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٤٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٨.

* يلاحظ أن بيت بني ميمون كان من البيوتات الشهيرة التي قاد أفرادها أساطيل المرابطين والموحدين فيما بعد، وربما كان هذا القائد هو جدّ الأسرة أو ينتمي إليها.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٤٤؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٨.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٤٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٢-١٣٣.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ج٤، ص١٦٤.

(٦) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٢٦٣.

البحرية إلى القدوم إليهم، وأرسلوا في طلب العون والتأييد من حكومات المغرب والأندلس(١). ومع مرور الزمن أنشأوا لهم سلسلة من المعاقل والحصون، أشهرها قلعة فراكسنيتوم Fraxinetum الواقعة إلى الشمال من مدينة طولون(٢). والتي يسميها الجغرافيون المسلمون باسم (دويلة جبل القلال)(٣).

وقد استمرت هذه الدويلة حتى عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥م، وسيطرت على مناطق مهمة من غاله وسويسرة وشمالي ايطالية(٤). وشكلت وحداتها البحرية بالتعاون مع وحدات جزر البليار، ووحدات موانيء الثغر الأعلى في الأندلس مثل: طرطوشة، أسطولاً أندلسياً بديع التنظيم، سيطر على غربي حوض البحر المتوسط في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي(٥).

ولا يعني ذلك عدم وقوع محاولات لمجابهة هذه الدويلة خلال هذه الفترة، ففي عهد الخلافة (٣٠٠-٤٢٢هـ / ٩١٢-١٠٠٨م) حاول الإمبراطور البيزنطي رومانوس ليكابينوس (٩١٩-٩٤٤م) بالتعاون مع هوج ملك إيطاليا وبروفانس استرجاع قلعة جبل القلال عام ٣٣١هـ / ٩٤٢م، وهاجموها براً وبحراً، إلا أن الاضطرابات الداخلية في مملكة إيطاليا أجبرت هوج على الإنسحاب، ومهادنة المسلمين فيها(٦).

وفي العام نفسه، أي ٣٣١هـ / ٩٤٢م خرج أسطول أندلسي من ثغر المرية بقيادة محمد بن رماحس ومعه غالب بن عبدالرحمن (ت٣٧١هـ / ٩٧١م) وسهل بن أسيد، وغزا سواحل غاله الجنوبية إلا أن عاصفة هوجاء قذفت به بعيداً عن تلك السواحل(٧). ويعتقدأن هدف هذه المحاولة كان معاونة دويلة جبل القلال(٨).

هذا، وقد جرت مراسلات دبلوماسية عديدة بين حكومة الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله في الأندلس، وبين أوتو الأكبر، امبراطور الدولة الرومانية المقدسة حول هذه

---

(١) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٢٦٣.

(٢) الحجي، عبدالرحمن، التاريخ الأندلسي، دمشق، ١٩٧٦، ص٣١٣، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: الحجي، التاريخ الأندلسي.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٨٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٧٣.

(٤) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٤٢٥ وما بعدها.

(٥) لويس، القوى البحرية، ص٢٥١.

(٦) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧١.

(٧) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨١.

(٨) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧٢.

الدويلة، وانتهت هذه المراسلات سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م(١) بإعلان الخليفة الناصر للسفير الأوروبّي بأن حكومته ليست لها أي علاقة أو سلطة علىجبل القلال، وأنها لا تتحمل تبعة الأعمال التي تقوم بها تلك الدويلة، وبذلك أعطت الخلافة في قرطبة للسلطات الرومانية مطلق الحرية في اختيار السبل المناسبة لحل هذه المشلكة(٢).

وإن دلّ ذلك على شيء، فإنما يدل على مدى النشاط الكبير الذي ميّز البحارة الأندلسيين في حوض البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، هذا النشاط الذي أجبر كلاً من امبراطور بيزنطة وامبراطور الدولة الغربية على التوسط لدى حكومة قرطبة ممثلة بالخليفة كي يحدّ منه(٣).

الرباطات والمحارس الساحلية ونشاطاتها:

وجدت إلى جانب القواعد البحرية - رباطات ومحارس - على طول سواحل الأندلس، وذلك لرد الغارات البحرية المفاجئة التي كان يقوم بها المسيحيون أو النورمانديون على هذه السواحل. وكان المجاهدون المسلمون يرابطون في هذا الأماكن، ويتصدون للأعداء جهادا في سبييل الله.

ومن أهم الرباطات (أو الربط) الساحلية رباط المرية، الذي شكل نواةً لمدينة المرية، وكان المسلمون يرابطون فيه في حاشية البحر المتوسط لحماية مدينة بجانة من غارات النورمانديين، فعندما قدم هؤلاء المرية، وتطرفوا بسواحل الأندلس، اتخذها العرب المسلمون "مرأىً، وابتنت بها محارس، وكان الناس يرابطون فيها"(٤).

وقد ظلّت المرية مجرد رباط أو ميناء لمدينة بجانة حتى مجيء الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م)، فقد جعلها قاعدة لأسطوله، وبنى حولها سوراً منيعاً من الصخر(٥).

ووجد إلى الشرق من مدينة المرية رباط ساحلي آخر عرف برابطة القابطة أو القبطة. ولعلها قابطة بني الأسود التي أشار إليها البكري كموضع بجوار مرية بجانة(٦).

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٤١٥.

(٢) السامرائي، الثغر الأعلى، ص٢٦٤.

(٣) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧٤.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٣.

(٥) المصدر اسابق، ص١٨٣؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٢٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٠.

(٦) البكري، المسالك والممالك، ص٨٩.

وهناك أيضاً رباط يعرف باسم الامبروي Alambroy يقع على جبل مرتفع يشرف على مدينة دانيه Dania*. وقد سمى الأندلسيون هذا الجبل (جبل قاعون)، ويعرف اليوم باسم مونجو Mongo ، وهو جبل من السهل كشف العدو القادم من بعيد من البحر للمرابطين عليه، وكان المسلمون يلجأون للإختباء فيه عند الضرورة. وقد بنى هذا الرباط تلاميذ الشاعر الصوفي الزاهد أبي عبدالله بن زمنيق (ت ٣٩٨هـ) وما زالت آثاره تطل على البحر هناك(١).

وعلى ساحل مدينة مالقة يقع جبل فارّه (بتشديد الراء وضمها)، أو جبل فارق. وهو موقع اهتم به المسلمون وبنوا عليه حصوناً حتى آخر عهدهم بالأندلس، وكان حسن بن عبدالله بن عباس يدير هذا الرباط(٢).

وكذلك انتشرت الرباطات على الساحل الغربي للأندلس، المطل على المحيط الأطلسي، ومنها: رباط الريحانة من عمَلِ شلب، ورباط النوبة على ساحل المحيط قبالةِ مدينة ولبة Huelva الذي تحول فيما بعد إلى دير للفرنسيسكان(٣). ورباط روطه(٤) الذي ما زال حصنه قائماً باسم Castillo de Ruto عند مدخل ميناء قادس.

وكانت حياة المرابطين تقوم على الزهد والتعبد وذكر الله تعالى بصوت مرتفع والحراسة. إذ كانت الحراسة صفة أساسية للمرابطة، وهدفاً رئيسياً من أهدافها. وقد عُرف الحراس الليليون باسم السمّار(٥).

وكانت حراسة المرابطين تتم في مراقب عالية ملحقة بالرباط، وفي أماكن مرتفعة قريبة منها لكشف السفن المعادية، وهي قادمة من بعيد. ولذلك فإن هذه الربط كانت مزودة بمنارات عرفت باسم الطلائع أو الطوالع (جمع طالعة أو طليعة Atalaya)، وهي مواضع كانت تشعل فيها النار في الليل، ويظهر منها الدخان في النهار(٦)، وذلك كإشارات تحذيرية، فإذا ما

---

* دانيه: من ثغور الأندلس القديمة، تقع جنوب بلنسية على لسان بارز في البحر، ولها ربض عامر، وعليها سور منيع، وقد أصبحت أيام الطوائف قاعدة لمملكة مجاهد العامري، أمير دانية والجزائر الشرقية (البليار). الحميري، الروض المعطار، ص٧٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٢٧١.

(١) المقري، نفح الطيب، م١، ص٩٥.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص١٠٩-١١٠.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٦٤.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٢١.

(٥) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٠١.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٢١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٧.

كشف المرابطون أو السمار عدواً في البحر أشعلوا النار على قمم المناور إذا كان الوقت ليلاً، أو أثاروا فيها الدخان إذا كان نهاراً. وقد يستخدمون في بعض الأحيان الطبل والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة.

وكان المرابطون يستخدمون الإشارات بطرق رمزية متفق عليها، للإخبار عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته أو غير ذلك. وهي طرق تشبه في وقتنا الحاضر صفارات الإنذار الطويلة والمتقطعة التي تستخدم للتحذير، أو للدلالة على انكفاء الغارات الجوية(١).

وقد اقتبس الأسبان عن جيرانهم المسلمين نظم المرابطة منذ وقت مبكر، ومنه اشتقت كلمة Rebato أي الرباط، وكلمة Arrebator أي المرابط المقاتل، ومصطلح Tecarel Rebato الذي يعني الإنذار بغارة معادية(٢).

واقتبس الأسبان أيضاً كلمات: الطلائع Atralaya، والمنارةAlmenara ، والنفير Anafil. وزادوا على هذه الوسائل التي استخدمها المسلمون استخدام النواقيس التي تقابل الطبول عند المسلمين. وذلك بالإضافة إلى اجراس الكنائس. وقد وضعوا النواقيس في كل حصن من حصونهم الساحلية، وسموها: نواقيس الرباط، أي نواقيس الخطر Campana del rebato (٣).

وأمر الأسبان سمّارهم أو حراسهم بعدم اقتناء الكتب أو الأدوات الموسيقية، أو أدوات الصيد، وذلك لكي يتفرغوا تماماً للحراسة(٤).

---

(١) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٠١.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٠٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٠٤.

الفصل الثامن

صناعة السفن الحربية وأنواعها

الفصل الثامن

صناعة السفن الحربية وأنواعها

اولاً- صناعة السفن ومراكزها (دورها):

اهتم الأندلسيون في عهد الدولة الأموية(١٣٨-٤٢٢هـ / ٧٥٦-١٠٣١م) بالقوة البحرية وما يلزمها من المراكب الحربية، وذلك رغبة من الأمويين في حماية شواطئهم الطويلة من غارات الأعداء. وقد اعتمدوا في صناعة هذه المراكب على دور الصناعة القديمة المنتشرة على سواحل الأندلس، وعلى الدور الجديدة التي انشأوها(١). وأطلقوا على هذه الدور قديمها وجديدها لفظ (الصناعة) للدلالة على مكان هذه الحرفة(٢).

وصناعة إنشاء السفن، وان كانت تعتمد على صناعة النجارة، إلا أنها - كما يقول ابن خلدون - "تعد من الصنائع الهامة التي تحتاج إلى فكر هندسي، ومعرفة جيدة بأصول علم الهندسة."(٣)

ومن دور صناعة السفن التي انتشرت في عدة أماكن على سواحل الأندلس، دار أمر بإنشائها الأمير عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٥-٨٥٧م) في اشبيلية، وأمدها بالآلات والنفط من أجل إعداد أسطول حربي(٤). كما أمر ببناء سور حول المدينة(٥)، وذلك

---

(١) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٤٦.

(٢) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، جزءان، نشر دار صادر، بيروت (ب.ت)، ص١٨٩. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: المقريزي، الخطط. ويقول المقريزي: "لفظ الصناعة بكسر الصاد، مأخوذ من قولك: صنعه يصنعه، فهو مصنوع. وصنيع عمله، واصطنعه: اتخذه، والصناعة ما يستصنع من أمر، هذا أصل الكلمة من حيث اللغة. وأما في العرف، فالصناعة اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية التي يقال لها: السفن، واحدتها سفينة."

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٢٦.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٨-٨٢.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٠؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٢؛ البكري، المسالك والممالك، ص١١٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨١.

بعد غزو النورمانديين لها سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٩م. وعندما غزوها مرة أخرى سنة ٢٤٤هـ / ٨٦٣م تّصدى لهم البحارة المسلمون عند مدخل نهر اشبيلية، ودارت بينهم معركة بحرية انهزم فيها النورمانديون المجوس(١).

ويعتبر الخليفة الأموي عبدالرحمن بن محمد الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) المؤسس الحقيقي للأسطول الإسلامي في الأندلس، ففي عهده نشطت حركة إنشاء وصناعة السفن، وأنشأ لهذه الغاية عدداً كبيراً من دور الصناعة في مدن الأندلس مثل طرطوشة* التي أقيمت فيها دار صناعة طرطوشة سنة ٣٣٣هـ /, ٩٤٤م. وكانت المراكب الكبار تصنع فيها من خشب جبال طرطوشة الصنوبري، الذي يتميز بطوله وغلظه وصفاء بشرته وصلابته بحيث لا يفعل فيه السوس ما يفعله بغيره، ومنه كانت تتخذ صواري السفن(٢).

أما دار صناعة السفن الثانية التي انشأها الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله، فكانت في الجزيرة الخضراء Algeciras، فعندما دخلها في ذو القعدة سنة ٣٠١هـ / حزيران ٩١٤م وجد بساحلها مراكب بحرية لابن حفصون (٢٦٧-٣١٦هـ / ٨٨٠-٩٢٩م) وأصحابه، يستخدمونها في التجارة إلى أرض العدوة. فأدخل الخليفة الجند إليها، وسيطر عليها، وأحرق سفن ابن حفصون. ثم استدعى جملة من المراكب البحرية من مالقة واشبيلية وغيرهما، فأقامها بباب الجزيرة وشحنها بصنوف الأسلحة والعُدد، وأعدّ فيها النفط وآلات حرب البحر... وأمر العرفاء بالتجول في السواحل كلها من الجزيرة الخضراء إلى مدينة تدمير، وقطع مرافق البحر كلها عن ابن حفصون وأصحابه، وبذلك أمِن البحر، وأمِن ضرر سفن الأعداء(٣). ولتعزيز هذا الأمان أنشأ داراً لصناعة السفن في الجزيرة الخضراء، وأتقن بناءها، وعلّى أسوارها(٤).

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٢.

* طرطوشة: بالفتح ثم السكون ثم طاء مضمومة، وواو ساكنة، وشين معجمة: مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية من الشرق. وهي مدينة حصينة على سفح جبل، لها سور منيع، وفيها أسواق وعمارات وصناع. ومن طرطوشة إلى مصب نهر ابرة في البحر اثنا عشر ميلاً. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٥٥؛ الحموي، معجم البلدان، م٤، ص٣٠. وما تزال اللوحة التذكارية التي سجل فيها عبدالرحمن الناصر تاريخ إنشاء دار صناعة طرطوشة موضوعة على الجدار الشمالي من كاتدرائية طرطوشة، راجع:

Levi- Provencel, Inscription Arabes d'Espagne, paris, ١٩٣١.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٥٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٤.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٨٧-٨٨.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٣.

وقد أدت هذه التدابير التي اتخذها الخليفة الناصر إلى عزل ابن حفصون، وقطع الإمدادات عنه. كما أنها كانت تدابير وقائية ضد خطر العبيديين الذين كانت قواتهم قد غزت المغرب سنة ٢٩٩هـ / ٩١٢م، وأوقعت بقبيلة زناتة البربرية(١).

وفي مالقة* التي كانت قاعدة للأسطول الحربي والتجاري الأندلسي(٢) دار صناعة لإنشاء السفن(٣).

وكانت المراكب البحرية والحراريق تصنع في لقنت**(٤)، وفي شلب*** التي اشتهرت بخشبها الملائم لهذه الصناعة(٥).

وكانت السفن تصنع أيضاً في شنتمرية (بالبرتغال) من أخشاب الصنوبر الذي ينبت في جزر قريبة منها(٦).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٢٩.

* **مالقة:** بفتح اللام والقاف: مدينة في الأندلس عامرة من أعمال ريه، يقع سورها على شاطيء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. قال الحميدي: هي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق، وأصل وضعها قديم ثم عُمرت فيما بعد، وكثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها حتى صارت أرشذونه وغيرها من بلدان هذه الكورة كالبادية لها، أي الرستاق. الحموي، معجم البلدان، م٥، ص٤٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٨.

(٣) المصدر السابق، ج٥، ص٢١٢.

** **لقنت:** بفتح أوله وثانيه، وسكون النون، وتاء مثناة، وهي عبارة عن حصنين من أعمال لاردة بالأندلس: لقنت الكبرى، ولقنت الصغرى. الحموي، معجم البلدان، م٥، ص٢١.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٥٨.

*** **شلب:** بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره باء موحدة، وقد وجدت بخط بعض أدبائها بفتح الشين. وهي مدينة في غربي الأندلس، بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي إلى الغرب من قرطبة، وتعتبر قاعدة ولاية اكشونبة، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام، الحموي، معجم البلدان، م٣، ص٣٥٧.

(٥) الإدريسي، المغرب وارض السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب: نزهة المشتاق، طبعة ليدن، سنة ١٩٦٨، ص١٨٠. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الإدريسي، صفة المغرب.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٥.

وفي دانية التي اشتهرت بصناعة السفن الكبيرة أو الشواني*، كما كانت قاعدة حربية للأساطيل(١).

وفي قصر أبي دانس** التي أنشأ فيها المنصور بن أبي عامر أسطولاً ضخماً، وجهزه لغزو مدينة شنت ياقب سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م، فسارت السفن في نهر دويرة. وبفضل هذا الأسطول سيطر المسلمون على جزيرة شنت مانكش وغيرها(٢).

وأنشأ الخليفة عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله مدينة الزهراء*** سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م، وبنى فيها دار صناعة للآلات الحربية(٣).

وفي عصر الخلافة الأموية في الأندلس أصبحت مدينة ريّة من أهم الموانيء، وكانت دار صناعتها تقوم بإنتاج أعداد كبيرة من السفن(٤). وأنشأ الخليفة الناصر ايضاً داراً لصناعة السفن في بجانه.

أما مدينة شلطيش Saltes**** فقد ازدهرت فيها صناعة المراسي، وصناعة الحديد. وقد استفادت من صناعتها السفن الكبيرة والمراكب(٥).

---

* تعتبر **الشواني** من أهم القطع الحربية الكبيرة التي يتكون منها الأسطول الإسلامي، وتستعمل لحمل المقاتلة، وقد كانت تقام عليها الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم. وسنتناول بتفصيل أكثر في الصفحات التالية، وذلك عند الحديث عن أنواع السفن. انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٦.

(١) الإدريسي، صفة المغرب، ص١٩٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٦.

** **قصر أبي دانس:** مرسى الأسطول على ساحل البرتغال، جنوب لشبونة. المقري، أزهار الرياض، ج٥، ص١٢٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٤١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩١.

*** **الزهراء:** تأنيث الأزهر، وهو الأبيض المشرق، والنيّر، ومنه سمي القمر: الأزهر. والمسافة بين هذه المدينة ومدينة قرطبة ستة أميال وخمسة اسداس الميل. الحموي، معجم البلدان، م٣، ص١٦١.

(٣) الحموي، معجم البلدان، م٣، ص١٦١؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص١١٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٨؛ سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٧.

**** شلطيش : مدينة تقع الى الغرب من اشبيلية ليس لها سور، وانما هي بنيان يتصل بعضه ببعض، ولها سوق، ومن مدينة شلطيش الى جزيرة قادس مائه ميل. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٥٤٢.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٤٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٠.

ثانياً- المواد اللازمة لصناعة السفن والأسلحة البحرية ومدى توافرها في الأندلس:

يعتبر الخشب من أهم المواد الضرورية لصناعة السفن بأنواعها المختلفة، وقد توافرت في الأندلس أنواع جيدة منه، بل أجود أنواعه، وهو الخشب الصنوبري القوي، الذي كانت تصنع منه ألواح السفن وصواريها ومجاذيفها وغير ذلك مما يلزم لصناعتها(١).

ويكثر هذا النوع من الخشب في: طرطوشة(٢)، وقصر أبي دانس(٣)، وقادس(٤)، ويابسه(٥)، وشلطيش(٦)، وفي ا لجزر الواقعة بإزاء شنتمرية بالبرتغال(٧)، وفي شلب(٨)، وفي قلصة (الواقعة بجوار قونقة).

وفي هذه المدينة الأخيرة كان يقطع الخشب ويلقى في الماء، حيث يحمل إلى دانية وبلنسية في البحر، وذلك بتسييره في النهر من قلصة إلى جزيرة شقر، ومنها إلىحصن قلبيرة، وينقل من هناك إلى المدينتين(٩).

كما يتوافر هذا النوع من الخشب في غابات الجبال والأودية المحيطة ببجاية(١٠).

ومن المواد الأخرى اللازمة لصناعة السفن معدنا النحاس والحديد، وقد اشتهرت بهما المرية(١١) وطليطلة(١٢) وغرناطة(١٣).

وكانت تصنع من الحديد: المسامير والمراسي والروابط والخطاطيف والكلاليب والعرادات والفؤوس واللتوت والدبابيس والجواشن وغير ذلك من الآلات والأسلحة. وأما

---

(١) الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢٢.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٤.
(٣) الإدريسي، صفة المغرب، ص١٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦١.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٥.
(٥) المصدر السابق، ص٩٨.
(٦) المصدر نفسه، ص١١١.
(٧) المصدر نفسه، ص١١٥.
(٨) الإدريسي، صفة المغرب، ص١٨٠.
(٩) الإدريسي، صفة المغرب، ص١٩٥.
(١٠) الإدريسي، صفة المغرب، ص٩٠-٩١.
(١١) الإدريسي، صفة المغرب، ص١٩٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٤.
(١٢) الإدريسي، صفة المغرب، ص١٨٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٢.
(١٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٤.

النحاس فكانت تصنع منه السلاسل(١).

ومن المواد اللازمة أيضاً لهذه الصناعة: الألياف لعمل حبال المراسي، والقطران والزفت الذي كان يستخرج من كورة جيان، ويحمل منها إلى اشبيلية، ثم ينقل إلى دار صناعة السفن في الجزيرة الخضراء(٢).

ويستخدم القطران والزفت لقلفطة* السفن حتى لا تؤثر المياه في ألواحها المغمورة في البحر.

أما المواد المستخدمة في صناعة الأسلحة والآلات البحرية الحربية، فمنها القطران والكبريت اللازمان لصناعة النفط البحري، وهو نوع لا ينطفيء إذا سقط في الماء(٣). والقطران والكتان اللازمان لصناعة النار الحارقة(٤).

والنار الحارقة أو النار اليونانية، عرف العرب المسلمون سر تركيبها، وهي عبارة عن مزيج من المواد الكيماوية يخلط مع الكبريت، ويصنع على شكل سائل يطلق من اسطوانة نحاسية كانوا يشدونها في مقدمة السفينة، ويقذفون منها السائل مشتعلاً. كما كانوا يطلقون هذه النار على شكل كرات مشتعلة في الماء والهواء(٥).

أما النفط البحري الذي كان يستخدمه المسلمون، والذي كانوا يجهزونه من القطران والكبريت ومواد أخرى ملتهبة تزداد اشتعالاً عند ملامستها الماء، فقد كانوا يقذفونه بواسطة آلة تسمى النفّاطة أو العرّادة. كما كانوا يقذفونه بالسهام البعيدة المرمى والنشاب والمنجنيق(٦).

---

(١) الإدريسي، صفة المغرب، ص١٩٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٢-١٨٤.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٣؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٠١.

* القلفطة: هي وضع ألياف بين ألواح الخشب، ثم تسمير هذه الألواح وبعد ذلك وضع طلاء مانع لدخول الماء بينها.

(٣) فياض، د. صالح، مدينة بجاية ودورها الحضاري، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٤٨)، السنة ١٩، ١٩٩٤، ص٨٣. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: فياض، بجاية ودورها الحضاري.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٦.

(٥) زيدان، جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مصر، ١٩٦٤، ط٢، ج١، ص١٧٩-١٨٠. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: زيدان، تاريخ التمدن. وقد ذكر زيدان أن المواد الكيماوية المشار إليها هنا هي: الطرطريك والصمغ الفارسي، والقار الخام، والنيترات.

(٦) المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٨٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٤١٣؛ زيدان، تاريخ التمدن، ج١، ص٢٠٦.

ثالثاً- خصائص السفن الحربية وأنواعها:

أ- خصائص السفن:

يتكون هيكل السفينة عادة من أجزاء أمامية هي: المقدم، والجؤجؤ(١)، والدقل(٢).

ومن الأجزاء المهمة في مقدمة السفينة: الأنجر، وهو مرساة السفينة، وتتكون من ألواح من الخشب تشد من وسطها في موضع واحد، ويفرّغ بينها الرصاص المذاب، فتصير كأنها صخرة. وتشد برؤوس الألواح الخشبية الحبال، وتلقى هذه المرساة في الماء عند التوقف عن الإبحار، فتتوقف السفينة(٣).

أما مؤخر السفينة فيتكون من: السكان أو الخزرانة أو الكوثل أو الدفة، وتستخدم السكّان أو الدفة لتوجيه السفينة ذات اليمين وذات الشمال(٤)، وتحرك لهذه الغاية بحبلين. والكوثل هو الدفة في مؤخر السفينة. وهناك دفة جانبية تستخدم إذا مالت الريح بأحد الجانبين، حيث ترفع على الجانب الأعلى لحفظ التوازن(٥).

ومن أجزاء السفينة الأخرى: القاع، وهو جوفها من الأسفل، والجَمعة، وهو الموضع الذي تجمع فيه المياه الراشحة إلى داخلها. والسلوفية: وهو مقعد الربّان(٦).

أما الهيكل الخارجي للسفينة فيتكون – إضافة إلى جسمها – من دعامات تقوي الهيكل، بربطها بمجموعة من الحبال تعرف بالحزام أو الزنار. وكان هذا الحزام يربط في وضع أفقي، وخاصة من المقدمة والمؤخرة. وكانت الحبال تربط أحياناً بالأعمدة التي تتوسط السفينة حتى لا تتأرجح(٧).

---

(١) الجؤجؤ: هو صدر السفينة.

(٢) الدقل: وهو خشبة طويلة تُشدّ في وسط السفينة، ويمد عليها الشراع ويسمى أيضاً (الصاري) ويجمع الدقل على (أدقال). انيس، ابراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، مادة (دقل). وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: انيس وآخرون، المعجم الوسيط.

(٣) الحموي، تاريخ الأسطول العربي، ص٥٠.

(٤) المصدر السابق، ص٥٠.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٦٧.

(٦) المصدر السابق، ص٦٧.

(٧) ماهر، سعاد، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص١٦٨، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: ماهر، البحرية في مصر.

وكانت السفن تسير إما بالمجاذيف وإما بالأشرعة. وتكون مجاذيف السفن الحربية من صفين متوازيين، يحركهما البحارة في وقت واحد.

وتقسم السفينة الحربية إلى ثلاثة اقسام هي: ساحةالقتال بين طرفي السفينة، وبرج المراقبة عند مؤخرتها، ثم وسط السفينة. ويكون على جانبي السفينة مكان متسع للمجذفين. وكان في بعض السفن شراع أو أكثر يستخدم عندما تكون الرياح مواتية. وتنتهي مؤخرة السفينةالحربية ببروز مدبب يشبه منقار الطائر، يستخدم لخرق سفن العدو المهاجمة. كما كانت توجد في كل سفينة غرفة تستخدم كمستودع للمؤن والمعدات(١).

وكانت صواري السفن تؤخذ من جذوع النخيل، ثم صنعت من خشب الساج. أما الأشرعة فكانت تصنع من خليط من ألياف البردي وأعشاب وألياف الكتان(٢). وأما نهايات الأشرعة فتبطن بالجلد. وهذه الأشرعة لم تكن من لون واحد، وإنما كانت متعددة الألوان. وكانت سفينة أمير البحر (أو قائد الأسطول) تتميز بلون أشرعتها الأحمر أو الأرجواني(٣).

وأما الحبال المستخدمة في السفن فكانت تصنع من الجلد، أو من ألياف البردي والكتان والقنب(٤).

يتبين مما سبق أن البحرية الإسلامية في الأندلس ارتقت بشكل واضح، مما جعل الأسطول الحربي في العصر الأموي يسهم إسهاماً فعالاً ومباشراً في السيطرة على معظم سواحل البحر المتوسط، وفي الدفاع عن الأندلس. وليس أدل على هذا الرقي من انتقال معظم المصطلحات البحرية العربية إلى اللغات الأوروبية، ومنها: أمير الماء التي حورت في اللغات الأوروبية إلى Admiral ، ودار صناعة التي انتقلت بلفظ (ارسنال) Arsnal ، وكلمة حبل التي استخدمت في تلك اللغات بلفظ Cable(٥)، وغيرها من المصطلحات.

---

(١) غولي، جهادية القرة، العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ)، الطبعة الأولى، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، ص٢٦١. وسيشار له فيما بعد: غولي، العقلية العربية.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٤٤.

(٣) غولي، العقلية العربية، ص٢٦١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٤٤.

(٥) عبدالعزيز، محمد، البحرية العربية في الأندلس، مجلة المورد، م١٢، ع٤، ١٩٨٣، ص٧٢. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبدالعزيز، البحرية العربية.

ب- أنواع السفن الحربية:

تكوّن الأسطول الإسلامي الأندلسي في عهد بني امية من أنواع عديدة من السفن والمراكب ذات الأحجام المختلفة، وقد كان اهتمامهم الأكبر منصباً على بناء القطع الحربية التي أطلق على كل نوع منها اسم محدد، ومن أهم هذه القطع:

١- الشواني:

ومفردها شونة أو شينية، وهي سفينة حربية ضخمة، تمتاز بالطول، وتجذف بمائة واربعين مجذافاً. ومن أهم الأسلحة التي تُزود بها: الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم، ونظراً لضخامتها كانت أشبه بالقلعة، تحاصر العدو، وترميه بالنفط، وتحطم سفنه بقوتها(١). وكان بحارتها يقسمون إلى مجموعات: واحدة للتجذيف، وثانية للقتال، وثالثة للإشراف على الشؤون العامة .... وهكذا. ونظراً لحجم الشونية الكبير، وكثرة عدد بحّارتها، كانت تحتوي على مخازن للقمح، وصهاريج للماء العذب، مما يمكنها من البقاء فترة طويلة في عرض البحر(٢).

٢- الأغربة:

وهي سفن حربية كبيرة، لا تختلف عن الشواني إلا في شكل مقدمتها التي تشبه رأس الغراب، ومنه أخذت تسميتها. وقد اشتهرت هذه السفن التي يبلغ عدد مجاذيفها مائة وثمانين مجذافاً ببأسها الشديد، وإنزالها الرعب في قلوب الأعداء(٣).

٣- الحربيات:

مفردها (حربية)، وهي نوع من الشواني، ولكنها أصغر حجماً، وأخف حركة، وأسرع لحاقاً بالعدو(٤).

٤- الحراريق:

وتعرف أيضاً باسم (الحراقات)، ومفردها: (حرّاقة)، وهي مراكب حربية مجهزة بالأسلحة النارية وأنابيب النفط، لقذف سفن العدو بالنار وإحراقها. ولذلك فإنها مجهزة ايضاً

---

(١) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٨٣.

(٢) الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي، بيروت، ١٩٧٤، ص٤٨٩، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: الشكعة، الأدب الأندلسي.

(٣) العدوي، الأساطيل العربية، ص١٥٣؛ عُباده، سفن الأسطول الإسلامي، ص٧.

(٤) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٣٧-٣٨.

بالمجانيق لاستخدامها في قذف كرات اللهب. وعدد مجانيقها نحو مائة(١).

٥- **الطرائد:**

مفردها طريدة التي تجمع أيضاً (طرايد وطرادات)(٢). والطريدة سفينة نقل، كانت تستخدم لنقل الخيول، وتبلغ أقصى حمولة لها أربعين فرساً بالإضافة إلىبحارتها ومؤنهم وما يلزمهم من آلات حربية وأسلحة ومعدات(٣).

وهذا النوع من السفن مفتوح الظهر لتسهيل عملية الشحن والتفريغ(٤).

٦- **المسطحات:**

جمع (مسطح)، وهو مركب بحري كبير ذو سطح واسع(٥)، يُجر في البحر وقت الحرب خلف المراكب الصغيرة، لإنقاذ ركابها من الغرق إذا ما تعرضت مراكبهم لحادث ما. وتعد المسطحات من أضخم قطع الأسطول الحربي(٦).

٧- **الشلنديات:**

مفردها (شلندي)، وسماها العرب أيضاً: (صندل)، أي السفينة المخصصة لنقل البضائع، وذلك لكبر حجمها واتساع سطحها من الأعلى بحيث يحارب الجنود فوقها بينما يجدف المجذفون من تحتهم(٧). وهي مجهزة بطريقة تسمح لعدد من المقاتلين بالتحرك في مساحة كافية للتصرف حسب الظروف إذا ما حاذاهم العدو(٨).

---

(١) العدوي، الأساطيل العربية، ص١٥٣؛ فهمي، علي محمود، التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط١، ١٩٨١، دار الوحدة، بيروت، ص١٤٦. وسيشار إليه فيما بعد: فهمي، التنظيم البحري.

(٢) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٨٩.

(٣) فهمي، التنظيم البحري، ص١٤٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٤٩.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٣.

(٦) النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٤١-١٤٢.

(٧) ابن مماتي، قوانين الدواوين، جمع وتحقيق عزيز سوريا عطية، مطبعة مصر، ١٩٤٣، ص٣٢٩. وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد: ابن مماتي، قوانين الدواوين؛ عباده، سفن الأسطول الإسلامي، ص٦.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤١.

وتستعمل الشلنديات أيضاً لحمل السلاح والمؤن والذخائر، وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة. ولها ساريتان أو ثلاث سوار. ويبلغ طول هذه السفينة ١٩٥ قدماً وعرضها ٣٣ قدماً، وحمولتها ستمائة شخص(١).

٨- **البطس:**

جمع (بطسه)، وهي سفينة حربية كبيرة مخصصة لنقل الجنود المحاربين، إضافة إلى الذخيرة والمؤن والمجانيق. وتتكون من عدة طوابق يشغل كل طابق منها فئة معينة من الجند بأسلحتهم، ولهذا كانت تفرش بالبسط وغيرها(٢). وتسيّر هذا النوع من السفن قلوع كبيرة عديدة، تبلغ نحو أربعين قلوعاً، أما حمولتها من المقاتلين فتصل إلى نحو سبعمائة(٣).

٩- **القراقير:**

ومفردها (قرقور)، وهي السفن العظيمة التي تحمل مؤونة الأسطول وأمتعته، وتحتوي على ثلاثة أسطح، وتُسيّر بأشرعة متعددة(٤).

١٠- **الحمالات:**

وهي المراكب الحربية التي تحمل غلمان الخيالة، والصناع المنوط بهم صيانة سفن الأسطول، كما تحمل الغلال والذخيرة(٥).

وإضافة إلى أنواع السفن السابقة التي تعتبر أهم القطع الحربية وأكبرها حجماً، ضم الأسطول الأندلسي قطعاً أخرى عديدة أقل حجماً، ولكنها بالغة الأهمية، وهي:

١١- **الفلوكة:**

جمعها (فلائك)، وهي سفن صغيرة، تتحرك بالمجاذيف، وتستعمل لنقل الأشخاص، وتعد من توابع الأسطول(٦).

---

(١) هندي، إحسان، الحياة العسكرية عند العرب، دمشق، ١٩٦٤، ص١٧٩. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: هندي، الحياة العسكرية.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص١٢٣؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص١٥٤.

(٣) عبادة، الأسطول الإسلامي، ص١٠-١١؛ ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٣، ص٧٤-٧٥، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية.

(٤) عبادة، الأسطول الإسلامي، ص٧.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٣.

(٦) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٠؛ عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص٧.

١٢- الشبك أو الشباك:

جمعها (شبابيك)، وهي مراكب صغيرة تسير بالمجاديف، ولكل منها ثلاثة قلوع(١).

١٣- الطراد:

سفينة صغيرة على هيئة البرميل، لا سطح لها ولا سقف، وتكاد تكون خالية تماماً من المسامير، وألواحها الخشبية رقيقة وصلبة(٢)، وتستعمل في مطاردة العدو لسرعتها(٣).

١٤- الشيطي:

تجمع على (شياطي)، وهي نوع من المراكب البحرية التي تستخدم لاستطلاع العدو، فمهمتها هي كشف العدو، وإبلاغ قائد الأسطول الإسلامي بأخباره. وهذا النوع من المراكب سريع الحركة، يسير بواسطة ثمانين مجذافاً (٤).

١٥- الشموط:

نوع من السفن الصغيرة، تستخدم للإلتفاف حول السفن الكبيرة(٥).

١٦- العشيري:

تجمع على (عشاريات)، وهي مركب صغير، يسير بعشرين مجذافاً، ويستخدم لنقل المقاتلة والعتاد. ويعتبر من توابع الأسطول(٦).

١٧- السلورة:

جمعها (سلالير)، وهي مركب متوسط الحجم، يستخدم في الحرب والسلم، وله ثلاثة أشرعة واربعون مجذافاً، وقد سُمي بهذا الإسم لأن شكله يشبه شكل (السلار)، وهو نوع من الطيور(٧).

١٨- الخلية:

جمعها (خلايا)، والخلية هي العظيمة من السفن، التي لها زورق صغير يتبعها. ويقال لها الشبكة أو الركوة(٨).

---

(١) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٠؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص١٥٥.

(٢) العدوي، الأساطيل العربية، ص١٥٥.

(٣) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٨٩.

(٤) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٨٢-٨٣.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢.

(٦) عبادة، الأسطول الإسلامي، ص٧.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ، ص٨٨٥.

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢.

١٩- القوطة:

سفينة كبيرة، تعتبر من توابع الأسطول الحربي، إذ تخرج عادة خلف الأسطول المتوجه للمعركة، لتلتقط الجنود الذين يضطرون إلى ترك سفنهم. وتحمل هذه السفينة المؤونة والسلاح. وفي أيام السلم تستعمل كسفينة لنقل الركاب(١).

٢٠- العكيري:

مركب يشبه الغراب من حيث الشكل، ولكنه أوسع منه، يسيره ستون جذّافاً. وهو عادة من دون سقف، ويسقف أثناء اشتراكه في القتال(٢).

٢١- الجلاسة:

نوع من السفن الحربية الكبيرة، تسير بالأشرعة والمجاذيف، وهي أثقل من الشيني. والجلاسة معربة عن الفرنسية Caleasse، ويقابلها في الإيطالية Galeazza ، وفي الإنجليزية Galleass(٣).

٢٢- القارب:

جمعها (قوارب) وهي السفن الصغيرة، التي ترافق السفن الكبيرة، وتلازمها. وتستخدم لنقل حوائج الركاب(٤). واستخدمت هذه القوارب أيضاً لجمع الخراج. حيث كان ينتقل بها الموظفون المختصون بأعمال الديوان من إقليم إلى آخر لهذه الغاية(٥).

ومن الجدير بالذكر أن سفن الأسطول الحربي الأموي، كبيرها وصغيرها كانت مشهورة بجودتها التامة، وصناعتها الفائقة، وإعدادها المتقن. كما كانت مشهورة بذلك أسلحتها ومعداتها القتالية.

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣١.

(٢) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواني، رحلة ابن بطوطة، تحقيق ونشر علي المنتصر الكتاني، جزءان، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٦٩. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة.

(٣) الحموي، محمد ياسين، تاريخ الأسطول العربي، ص٣٨-٣٩؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص٢٧.

(٤) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٥٩.

(٥) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٩٧.

الفصل التاسع

تنظيم الأسطول الحربي ودوره

الفصل التاسع

تنظيم الأسطول الحربي ودوره

اولاً- تنظيم الأسطول الحربي :

أ. القيادة:

سارت الأساطيل العربية سيرها المظفر بفضل القيادة الماهرة التي تولاها عدد من خيرة أمراء البحار العرب، الذين كانوا يتنافسون على التفاني في أداء الواجب، وبذل حياتهم رخيصة في سبيل تحقيق النصر. وكانت قيادة الأسطول الحربي في الأندلس، مثلها مثل قيادة الأساطيل الإسلامية الأخرى، مركزاً مهماً وخطيراً، لأن قائد الأسطول كان يحكم البحر بينما يحكم الخليفة البر (١) .

وكان قادة الأساطيل هم الذين يتولون قيادة المراكب الحربية للقيام بالعمليات البحرية ضد الأعداء، كما كانوا يقودونها أيضاً لنقل القوات البرية عبر الموانع المائية التي تحول دون انتقالها إلى ميادين المعارك. فعندما تحرك النورمان(٢) نحو سواحل الأندلس الغربية، عهد الخليفة الحكم المستنصر إلى أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس (٣) بالخروج إلى المرية، والتأهب لنقل القوات البحرية إلى أشبيلية، وجمع الأساطيل كلها هناك للسير نحو العدو، وذلك في مطلع رمضان سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م (٤). وقد كان ابن رماحس "أكبر قواد الخليفة المستنصر بالله المتكاملين بالعدة" (٥).

ونظراً لأهمية قائد الأسطول ودوره الخطير، كان أحد ثلاثة يستشيرهم الخليفة في أمور الدولة المهمة. أما الشخصان الآخران فهما: قائد جيش سرقسطة، حاضرة الثغر الأعلى، وقاضي قرطبة. وقد درج على ذلك الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله الذي كان يأخذ رأي قائد أسطول المرية، تلك المدينة التي كانت تضم دار الصناعة الرئيسية في الأندلس، بل إن ذلك القائد كان يشارك الخليفة سلطاته إلى حد ما (٦).

---

(١) سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٠.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٤؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٤٩

(٣) المقري، نفح الطيب، م١، ص١٧٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص ٢٤١.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٩٦.

(٦) سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٠

ونظراً للحملات المتكررة التي كان يقوم بها الأسطول الافرنجي في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، تحددت اختصاصات أمراء البحار وواجباتهم والمهام الملقاة على عاتقهم. وكانت كل وحدة من وحدات الأسطول العربي تعد إعداداً تاماً من حيث رجالها ومعداتها، وذلك وفق نظم جعلتها تنفذ أمر أمير البحر بدقة تامة. وكان أمير البحر يتولى رئاسة السفن الحربية جميعها، ومسؤولية إدارة المعركة وسلامة جنده، ولذلك كان يطلق عليه أحياناً اسم (رئيس الأسطول)، أو (المقدّم) (١).

ونظراً لأهمية الأساطيل، كان الخلفاء يضعون موارد الدولة وامكاناتها كافة تحت تصرف قادتها، وذلك في حالة الاستعداد لصد الأخطار الخارجية، كما كانوا يمنحونهم الجوائز المالية، وينفذونها إليهم في مواقعهم، رغبة في تقوية عزائمهم، وحفزهم على المزيد من العطاء. فعندما وصل كتاب من الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن إلى الخليفة الحكم المستنصر بقدوم القائد عبد الرحمن بن رماحس بأسطوله في الوقت المحدد، وانضمامه إلى القائد الأعلى، أرسل إليه الخليفة مكافأة كبيرة (٢).

وكانت مسؤوليات قائد الأسطول تتلخص في اختيار الرجال، وبناء السفن، وتحديد أماكن رسوها، ومنع تسرب المعلومات البحرية، وإدارة المعارك (٣).

أما الرجال الذين كان عليه اختيارهم فهم: قاذفو النفوط، والبحارة، والمجذّفون، والصنّاع، والعمّال. وكان يراعي في هؤلاء تمتعهم بقدر كبير من المهارة والصبر والمعنويات العالية والشجاعة، والقدرة على إصلاح أي خلل (فيما يتعلق بالصناع). كما كان يختار الضباط، ويراعي فيهم العدالة والضبط، وخاصة إذا كانوا ضباط شرطة (٤).

وكان الخليفة ينصح قائد الأسطول بأن يفهم رجاله، ويعرف مؤهلاتهم، وذلك بعقد لقاءات مستمرة معهم، كما ينصحه بأن يكون قدوة لهم، وأن يوجههم ويصحح أخطاءهم بأفضل السبل، وأن يدفع أرزاقهم كاملة دون تأخير (٥).

وفيما يتعلق ببناء السفن كانت واجبات القائد تنحصر في اختيار أفضل المجاذيف والصواري والأشرعة لها، والإشراف على ما يكون منها في الموانىء، وتفقد السفن الجديدة

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٤؛ المقريزي، الخطط، جـ١، ص٤٨٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١١٦.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٢-٣٣.

(٤) فهمي، التنظيم البحري الاسلامي، ص١٥٢.

(٥) العدوي، الأساطيل العربية، ص١٥٩.

للتأكد من متانة بنائها، وتوفير الحراسة لها، والحرص على أن ترسو خلال الشتاء في أماكن آمنة لحمايتها من الرياح. وكانت مهمة حراسة السفن الراسية في الموانىء، تناط بأشخاص يوثق بشجاعتهم وإخلاصهم، حتى لا تغادر سفينة دون علم القائد (١).

وفي مجال المعلومات، على القائد أن يتأكد من أن العيون الذين يجمعونها عن العدو جديرون بالثقة، يخلصون النصيحة، وأنهم من أهل الأمانة والتقوى. ويجب أن تكون لديهم خبرة بالبحر وموانيه، وبالأماكن السرية الخافية، حتى يتمكنوا من جلب تقارير حقيقية عن تحركات العدو واستعداداته. وأن يكونوا قادرين على الاختباء في أماكن آمنة إذا ما واجههم عدو لا يستطيعون مقاومته. ومن مسؤوليات القائد أيضاً الإشراف على النقاط الأمامية، والسيطرة على مافيها من نقاط مراقبة، والتنبه لجواسيس العدو.

ولتحقيق هذه الغايات كان القائد يضع كل مدينة تحت يد رجل يثق به، ويتأكد بنفسه من حراسها والقائمين عليها وعلى بواباتها، ويحرص على عدم السماح للغرباء بدخولها إلا بعد معرفة كل شيء عنهم (٢). كما كان يتحفظ على المعلومات المتعلقة بالشؤون البحرية كالتكتيكات والخطط والأسلحة والمواد الحربية. وإذا ما ضبط أحداً يسرّب أيا من الأسرار العسكرية كان يعاقبه بقسوة حتى يعتبر غيره به(٣).

ولجمع المعلومات عن العدو وأساطيله، كان القائد يوجه سفناً استطلاعية تلون اشرعتها وحبالها باللون الأزرق حتى يصعب كشفها(٤).

ب- النواتية والرؤساء:

كان طاقم السفن الحربية يتألف – إضافة إلى القائد – من النواتيه *، والرؤساء**

---

(١) العدوي، الأساطيل العربية، ص١٥٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٥٩؛ فهمي، التنظيم البحري الإسلامي، ص١٥٣.
(٣) فهمي، التنظيم البحري الإسلامي، ص١٥٣؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص١٦٠.
(٤) غولي، العقلية العربية، ص٢٦١.
(*) النواتيه: مفردها (نوتي)، وهو البحار.
(**) الرؤساء: مفردها (رئيس)، وهو القبطان. انظر حول (النواتيه والرؤساء): المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص٢٨٢.

وكانت واجبات النواتية تتضمن العناية بالأسلحة وتوجيه العمل البحري. أما الرؤساء فوظيفتهم تحديد ما إذا كانت السفن يجب أن تسير بالريح أم بالمجاذيف، وكذلك تحديد أماكن الرسو (١).

وإلى جانب هؤلاء وأولئك هناك فرق الجند المعدة للقتال البحري (٢).

جـ. تعبئة الأسطول:

كانت تعبئة الأساطيل الحربية تشبه التعبئة البرية، حيث تقسم السفن إلى: قلب وجناحين ومقدّمة وساقة. وكانت أحياناً تصطف على هيئة نصف دائرة، حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها طوقته وحطمته.

وأحياناً أخرى كانت السفن تصطف في صفوف مستقيمة، وتهاجم مراكب العدو، وتخيفها بالألجمة المركبة فيها، مما يؤدي إلى غرق تلك المراكب(٣).

ومن الطرق التي استخدمها الأسطول الحربي الأموي في التعبئة، الاقتراب من مراكب العدو وجذبها إليها بواسطة الكلاليب، ثم الوصول إليها على جسر خشبي يمدونه بين مراكب الطرفين، ومن ثم عبور الجنود المسلمين لمواجهة جنود العدو(٤).

وقد اتخذت الأساطيل العربية أساليب عديدة في المعارك الحربية، تتوافق مع أنواع السفن وإمكانياتها، فالمعركة بين الشواني من الطرفين، تختلف عن المعركة بين الشواني من طرف، والبطس والمسطحات من الطرف الآخر. وإذا ما التحمت السفن الإسلامية مع سفن الأعداء بعد جذبها بواسطة الكلاليب، وتبين أن العدو أكثر منهم قوة وعدداً، كانوا يلجأون إلى قطع الكلاليب بضربات قوية بالفؤوس، حتى ينفصل الطرفان(٥).

وكان المسلمون يحرصون على وضع سفنهم في الأماكن التي تكفل لهم النصر، مراعين في ذلك اتجاه الرياح، مع أن الفوز في المعارك الحربية أمر بالغ الصعوبة، بسبب ضيق المجال، واختلاف الرياح واتجاهاتها، أو سكونها عند الحاجة إليها، ولأن الكر والفر المتاح

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص٢٨٢.

(٢) فهمي، التنظيم البحري الإسلامي، ص ١٥٢؛ العدوي، الأساطيل العربية، ص١٥٩.

(٣) العدوي، الأساطيل العربية، ص١٦٨.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٨-١٦٩.

(٥) الحموي، تاريخ الأسطول العربي، ص١٠٨-١٠٩.

في المعارك البرية غير ممكن في البحر(١). ولهذه الأسباب كان الاعتماد كبيراً على الشجاعة، وعلى الروح المعنوية العالية، ولذلك حرص القادة على رفع معنويات جندهم، وحفزهم على الإخلاص والصدق في مواجهة الأعداء لأن البحر لا منجى منه إلا بالنصر(٢). ولذلك أيضاً كانت تتخذ احتياطات وقائية ضرورية، منها إسدال الستائر على المراكب ليلاً، وعدم اشعال النار فيها لكي لا تتكشف للأعداء (٣). ومنها استخدام القلوع الزرقاء كيلا تظهر، ولفة المراكب بالجلود الطرية أو اللبود المبلولة بالخل والماء أو الشب والنطرون، أو الطين المخلوط بالورق والنطرون المعجون بالخل، لكي لا تؤثر فيها نيران الأعداء(٤).

وكانت الحراسة الليلية مستمرة، احتياطاً لغارات الأعداء المفاجئة(٥).

ثانياً- دور الأسطول الحربي:

كان للأسطول الحربي في عهد الدولة الأموية في الأندلس دور مؤثر في حماية البلاد من الاعتداءات الخارجية، حيث ساهم في صد هجوم النورمان على سواحلها الغربية والجنوبية، وحال دون تمكين الفاطميين من العبور إليها وضمها إليهم. كما ساعد المجاهدين المسلمين الذين عرفوا بالبحريين في صراعهم مع الدول الأوروبية على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً(٦).

وسنتناول فيما يلي دور الأسطول الحربي في صد هجمات النورمان، ودوره في الصراع بين الأمويين في الأندلس وبين الفاطميين.

---

(١) العدوي، الأساطيل العربية، ص١٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص١٥٧.

(٤) الحموي، الأسطول العربي، ص٧١.

(٥) عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص٩.

(٦) انظر : الفصل السابع من هذه الدراسة.

أ. دور الأسطول في صد هجمات النورمان:

أغار النورمان على إقليم جليقيه الممتد على ساحل اسبانيا الشمالية، ولكن الملك راميرو الأول أو (رذمير) ملك جليقية تمكن من ردهم سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م (١). فتوجهوا إلى سواحل الأندلس الغربية والجنوبية في أواخر سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان اسطولهم يتكون من مائة وثماني قطع حربية: أربعة وخمسين مركباً وأربعة وخمسين قارباً (٢)، ونزلوا في ثغر أشبونة * (لشبونة)، فكتب عامل المدينة وهب الله بن حزم إلى الأمير عبد الرحمن يخبره بذلك(٣)، فأجابه الأمير بأن يأخذ أهبته ويحتاط. فتصدى لهم ابن حزم، وحد من هجماتهم(٤) مما اضطرهم إلى الاتجاه جنوباً إلى مدينة قادش ثم إلى مدينة شذونة، وبعد ذلك اتجهوا بسفنهم نحو نهر الوادي الكبير قاصدين مدينة اشبيلية، وذلك في الثاني عشر من المحرم سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م. وأقبلوا بسفنهم ذات الأشرعة السوداء التي كانت "كأنما ملأت البحر طيراً جوناً، كما ملأت القلوب شجواً وشجوناً"(٥)، وسيطروا على جزيرة صغيرة عند مدخل نهر الوادي الكبير يقال لها جزيرة (قبطيل* Captel)، المعروفة اليوم بالجزيرة الصغرى وكانت مليئة بالخيول والماشية، فقتلوا أهلها، واستولوا على كل ما فيها، واتخذوها

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٢٥٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٨٧؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٨.

* أشبونة Lisboa: تقع على الضفة الشمالية لنهر تاجه Tajo عند مصبه في المحيط الأطلسي (وهي لشبونة عاصمة البرتغال الحالية). وتتصل بكورة باجة من الجنوب الشرقي، وبشنترين من شمالها الشرقي. الإدريسي، صفة المغرب، ص١٨٣-١٨٦؛ الحموي، معظم البلدان، م١، ص١٩٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٨٧؛ ابن الأثير، الكامل، م٧،ص١٦؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٨.

(٤) ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٨١؛ ابن الأثير، الكامل، م٧،ص١٧؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٨.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٨٧؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٨؛ ابن الأثير، الكامل، م٧، ص١٧؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٣٨٤.

(*) القبطيل: جزيرة تقع عند مصب نهر الوادي الكبير في البحر، ويعرف أيضاً بالعسكر لأنه موضع عسكر فيه المجوس، واحتفروا حوله خندقاً لا تزال آثاره باقية حتى الوقت الحاضر. الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٤؛ مؤنس، غارات النورمان، ص٣١.

قاعدة لهم لكي تحمي ظهورهم إذا ما اضطروا إلى الانسحاب بعد هجومهم على اشبيلية. ثم تقدموا نحو هذه المدينة التي لم تكن مسوّرة، فتصدت لهم بعض السفن الإسلامية، لكنهم استقبلوها بوابل من الأسهم النارية، فاشتعلت فيها النيران وغرقت (١). ثم واصلوا تقدمهم ودخلوا المدينة، واشتبكوا مع المسلمين الذين آثروا البقاء فيها في معركة عنيفة انهزم فيها المسلمون، وذلك غداة الأربعاء، الرابع عشر من المحرم هزيمة نكراء. واستباح النورمان المدينة سبعة أيام، لم يرفعوا "السيف عن كل ذي روح ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان والدواب والأنعام والطيور، وكل ما تناولته سيوفهم ورماحهم"(٢)، واستأصلوا أهلها قتلاً وأسراً، مما أدى إلى فرار من استطاع النجاة بنفسه إلى الجبال المجاورة، وإلى مدينة قرمونة(٣).

وبعد هذه المجزرة التي ارتكبها النورمان انسحبوا بسفنهم إلى جزيرة قبطيل لكي يضعوا ما غنموه فيها، ثم رجعوا إلى مدينة اشبيلية ثانية فوجدوها خالية من الناس، ما عدا بعض الشيوخ الذين تجمعوا في أحد مساجد المدينة ليحتموا به، فقتلوهم عن آخرهم، ولذلك سمي هذا المسجد باسم (مسجد الشهداء)(٤).

وحاول النورمان بعد ذلك الاتجاه شمالاً في نهر الوادي الكبير نحو العاصمة قرطبة، إلا أن شدة التيار، وصعوبة الملاحة في هذا الجزء من النهر، لم تمكنهم من الإبحار، فاستخدموا الخيل لشن الغارات على نواحي اشبيلية، وفي تلك الأثناء استنفر الأمير عبد الرحمن المسلمين، فتوافت إليه الأجناد، وبعد استكمال الاستعدادات توجه الجيش الإسلامي إلى اشبيلية، وكان من قادته: عيسى بن شهيد ، حاجب الأمير (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧-٨٥٨م)، وعبد الله بن كليب*،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، م٧، ص١٧، العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٨-٩٩؛ الشعراوي، أحمد ابراهيم، الأمويون أمراء الأندلس، القاهرة، ١٩٦٩، ص٣٢٠. وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد: الشعراوي، الأمويون أمراء الأندلس.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٣٨٤؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٤٩.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٤؛ النويري، نهاية الأرب، م٢٣، ص٣٨٤؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص١٠٠؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٤٩.

(٤) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٣٦.

(*) هو عبد الله بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي، توفي في أيام هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م) - انظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٣٦-٢٣٧.

ومحمد بن رستم (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩-٨٥٠م)، وعبد الواحد الاسكندراني (ت ٢٣٧هـ/٨٥١م)، وموسى بْن قسّى، صاحب الثغر الأعلى (ت سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)(١).

وقد وضع القائد موسى بن قسي خطة محكمة لاستدراج النورمان إلى كمين نصبه لهم، بعد أن استطلع أخبارهم، وعرف أنهم يخرجون يومياً من اشبيلية على شكل سرايا صغيرة تغير على المناطق المجاورة باتجاه مدينتي قرطبة ومورور. فقد خرج ابن قسي بجنده ليلاً إلى قرية خارج اشبيلية يقال لها (كنتش – معافر)، وكمن فيها. ثم أخفى أحد جنوده في أعلى برج كنيسة القرية، وقام هذا الجندي بالاختباء واضعاً على رأسه بعض الحطب حتى لا تكشفه السرايا النورماندية. ولما خرجت هذه السرايا في الصباح تريد مورور، أشار الحارس للقوات الإسلامية الكامنة. ولما ابتعد النورمان قليلاً خرجت إليهم تلك القوات، وقطعت عليهم طريق العودة إلى اشبيلية، وحملت عليهم بالسيف، في الوقت الذي سارت فيه قوات أخرى نحو اشبيلية لإنقاذها، وفك أسر عاملها المحتجز فيها(٢).

وحاول النورمانديون الانسحاب من إشبيلية نحو سفنهم للخروج بها إلى عرض المحيط الأطلسي، غير أن القوات الإسلامية اقتفت أثرهم، وضربت سفنهم بالمجانيق المنصوبة على ضفتي النهر، مما اضطرهم للنزول إلى البر ومواجهة المسلمين في معركة حاسمة، في قرية طلياطه القريبة من اشبيلية، وذلك في الخامس والعشرين من صفر سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م. وانتهت هذه المعركة بهزيمة النورمانديين ومقتل عدد كبير منهم، وتوجه الناجون إلى جزيرة قبطيل، بينما كان المسلمون يقذفونهم بالحجارة والأوظاف*، ولما رأوا الخطر المحدق بهم طلبوا الصلح، وأطلقوا الأسرى المسلمين، وخرجوا لا يلوون على شيء(٣)، بعد أن احتلوا اشبيلية اثنين وأربعين يوماً.

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٥؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٣٦،٢٦٦،٢٦٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٨٤،٨٦؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ١، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٥-٨٦.

(*) الأوظاف أو الأوظفة: جمع وظيف، والوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق. والمقصود هنا: (مخلفات البعير من العظام). أنظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة (وظف).

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٣، ص٣٨٤؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٨١؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص١٠٠.

وقد كتب الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى المسلمين في أنحاء الأندلس يخبرهم بهذا النصر، كما كتب إلى صنهاجة في طنجة، يعلمهم بما أنزله الله بالنورمان من نقمة، وأرسل إليهم بعض الغنائم(١).

وعمد النورمان أثناء انسحابهم من ثغور الأندلس إلى مهاجمة مدينتي لبلة وباجة، ثم ثغر أشبونة، ثم انقطع خبرهم حين أقلعوا من أشبونة إلى بلادهم(٢)، إلا قلة قليلة منهم تفرقوا بعد الغزو، واستقروا في الأندلس بصفة دائمة، واعتنقوا الإسلام، وكونوا طبقة من المولدين. وقد أقام بعضهم في أشبيلية على نهر الوادي الكبير، حيث اشتغلوا بتربية الماشية وصناعة الألبان، واشتهروا بهذه الصناعة، وخاصة الجبن، حيث أصبحوا ينتجون أجود أنواعه(٣).

وقد كانت لغارات النورمان آثار مهمة على الأندلس، فقد نبهت الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى ضرورة الاهتمام بتحصين السواحل الغربية والجنوبية الغربية المعرضة لغزوهم، فأمر بتسوير إشبيلية(٤)، وإقامة المراقب والمحارس والربط على طول الساحل الغربي المطل على المحيط الأطلسي، وشحنها بالمقاتلة المزودين بوسائل الدفاع العسكري(٥).

كما حفزت هذه الغارات الحكومة الأموية بقرطبة على زيادة الاهتمام بالأسطول الحربي، عن طريق التوسع في إنشاء الدور المختصة بصناعة السفن بأعداد كافية لمواجهة أي غارات في المستقبل، فقد أمر الأمير عبد الرحمن الأوسط "بإقامة دار صناعة بإشبيلية، وأنشأ المراكب، واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس، فألحقهم بها، ووسع عليهم، فاستعد بالآلات والنفط"(٦).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٨٨.

(٢) المقري، نفح الطيب، م١، ص٣٢٤؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٣٨٤؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٢٨١.

(٣) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٣٧.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٣؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، جـ١، ص١٤٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٤٤؛ ابن سعيد، المغرب، ص٢١.

(٥) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٥١.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٧.

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) تعرضت سواحل الأندلس لغزو النورمان مرة أخرى، ففي سنة ٢٤٥هـ/٨٦٩م (١) انطلقوا من قواعدهم التي كانوا قد أقاموها على سواحل فرنسا الغربية، ولكن الدفاع البحري الإسلامي كان يختلف اختلافاً جوهرياً هذه المرة، ذلك أن الأمير محمد الذي كان يتوقع غاراتهم بعد وفاة أبيه سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م عمل على تدعيم البحرية الأندلسية، وإقامة سياج ضخم من الوحدات المقاتلة (الحربيات)(٢) التي كانت تتحرك على سواحل افرنجة المطلة على المحيط، حتى سواحل جليقية دون انقطاع، لرصد تحركات السفن النورماندية، والتصدي لها إذا ما اقتربت من مياه الأندلس. كما أن الأمير محمد بن عبد الرحمن أنشأ نحو سبعمائةٍ من الأغربة، وأعد جيشاً قوياً من مائة ألف فارسٍ تحسباً للظروف والطوارىء(٣).

وبدأ النورمان غاراتهم بالهجوم على السواحل الجليقية، ولكنهم هُزموا بسرعة، فارتدوا من هناك متجهين إلى الجنوب، وظهروا على ساحل غربي الأندلس سنة ٢٤٥هـ/٨٦٠م (٤). وكان اسطولهم يتراوح بين اثنين وستين وثمانين مركباً وفقاً لما ذكره المؤرخون(٥). وقد "وجدوا البحر محروساً ومراكب المسلمين مُعدةً تجري من حائط افرنجة إلى حائط جليقية في الغرب الاقصى"(٦) وعندما تقدم مركبان من مراكبهم، هاجمتها مراكب المسلمين وأسرتهما بما فيهما "من الذهب والفضة والسبي والعدّة" (٧).

ب. دور الأسطول في الصراع مع الفاطميين:

ظهرت الدعوة الفاطمية في تونس، وكانت مذهبية في بدايتها، ثم تحولت إلى ممارسة

---

(١) بعد وفاة الملك هوريك (ملك النورمان) سنة ٢٣٩هـ/٨٥٤م، الذي كان الأمير عبد الرحمن قد تبادل معه السفارة بعد خروج النورمان من مياه الأندلس سنة ٢٣٠هـ/٨٤٣م، انتقضوا سياسية الموادعة مع أمراء الأندلس، وعادوا إلى أعمال القرصنة والغزو البحري التماساً للمغانم، فهاجموا سواحل شبه جزيرة إيبيريا سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م. العبادي وسالم، تاريخ البحرية، جـ٢،ص١٦٢.

(٢) العبادي وسالم، تاريخ البحرية، جـ٢، ص١٦٢.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٥٧.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٨؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٢٨٨.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٩٦؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٨.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٩٦.

(٧) المصدر السابق، ص٩٦.

سياسية تمثلت بتأسيس الدولة الفاطمية في المغربين الأدنى والأوسط منذ عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م(١). وما فتئت هذه الدولة أن اتجهت بأنظارها إلى الأندلس، محاولة التغلغل فيها لإثارة المتاعب والإخلال بالأمن عن طريق إرسال الجواسيس، الذين كانوا يذهبون إلى هناك على هيئة تجارٍ وعلماء ورحالة، وكان من بين هؤلاء: الرحالة ابن حوقل (صاحب كتاب صورة الأرض) وغيره. وقد جمع جواسيس الفاطميين قدراً كبيراً من المعلومات العسكرية والاقتصادية، ووقفوا على مواطن القوة والضعف في البلاد، وساعدوا بعض الثائرين على حكم بني أمية فيها، مثل الثائر عمر بن حفصون(٢).

وكان للمعلومات التي أرسلها الجواسيس إلى الفاطميين دور كبير في توسيع نطاق التدخل الفاطمي في الأندلس. ففي سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، وعندما استقرت الأمور لعبيد الله المهدي، أول خلفاء الدولة الفاطمية، أرسل مجموعة من المراكب البحرية المحملة بالمؤن مدداً لابن حفصون الذي أملوا أن يمدوا نفوذهم بواسطته إلى الأندلس، وخاصة أنه بعث "بطاعته للشيعة عندما تغلبوا على القيروان من يد الأغالبة، وأظهر دعوة عبيد الله"(٣). غير أن الأندلسيين هاجموا السفن الفاطمية في الجزيرة الخضراء، وأحرقوها(٤).

وقد نبهت هذه المحاولة الأمويين في الأندلس إلى ضرورة الاستعداد لمجابهة الخطر الجديد القادم من شمالي إفريقية. فعمل الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر على تحصين الثغور المواجهة لعدوة المغرب، وتقوية الأسطول وإعداده للدفاع عن المرافيء الجنوبية. وفي هذا الإطار ذهب الخليفة الناصر بنفسه سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م إلى جزيرتي: طريف والخضراء. واختار الجزيرة الخضراء وبنى فيها داراً لصناعة السفن، لأن مرساها أيسر المراسي وأقربها إلى العدوة(٥). وأشرف بنفسه على الاجراءات الدفاعية فيها، حيث نظر "إلى احكام أمر البحر،

---

(١) سالم، د. عبد العزيز، العبادي، د. أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط: البحرية الإسلامية في مصر والشام، جـ١، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١، ص٦٣. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص١٦٥؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٣٣.

(٣) ابن خلدون، العبر، م٢، ص٢٩٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص١٦٥؛ ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٨٧.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص٧٣-٧٤.

وشدّ ضبطه على العدوتين، فاستدعى جملة من المراكب البحرية من مالقة واشبيلية وغيرها... فأقامها بباب الجزيرة، وشحنها بصنوف الأسلحة والعدد، وأعد فيها النفط وآلات حرب البحر.. وأمر [العرفاء] بالتجول في السواحل كلها من حد الجزيرة الخضراء إلى حد تدمير، وقطع مرافق البحر كلها عن ابن حفصون وأصحابه، وغلب بذلك على الساحل كله وحصونه وأمن ضرر السفن المختلفة فيه"(١).

وهكذا فقد وجه الخليفة الناصر كثيراً من جهوده لهذا المتمرد الذي أقلق راحته، حتى تمكن من القضاء على حركته نهائياً، تلك الحركة التي تولاها ابن حفصون بنفسه حتى توفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧، ثم تولاها ابنه سليمان الذي قتل سنة ٣١٤هـ/٩٢٧م بالقرب من حصن بوبشتر بعد أن سيطرت عليه القوات الأندلسية، ثم تولاها ابنه الثاني حفص بن عمر الذي قبضت عليه تلك القوات سنة ٣١٥هـ/٩٢٨م(٢).

ولكي يفوت الناصر الفرصة على الفاطميين، ويمنع تدخلهم في الأندلس، ويثبت لهم أنه قادر على صدهم ومهاجمتهم في عقر دارهم، أخذ زمام المبادرة، وأعد العدّة للسيطرة على بعض المناطق المهمة في الجهة المقابلة من مضيق جبل طارق، وجعلها قاعدة أمامية ينطلق منها لمهاجمة الفاطميين. وفي سنة ٣١٤هـ/٩٢٧م سيطر الأسطول الاندلسي على مدينتي طنجة ومليلة(٣). وفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م استولى على مدينة سبتة "وبنى سورها، وألزم من رَضيَهُ من قواده وجنده، وصارت مفتاحاً للعدوة من الأندلس وباباً إليها، كما هي الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف مفتاح الأندلس من العدوة، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين"(٤).

وفي سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م وجّه الخليفة الناصر حملة للسيطرة على جزيرة ارشقول* الحصينة، لكن حملته فشلت، وعادت إلى قواعدها في المرية(٥).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٨٧-٨٨

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص١٩٢-١٩٤.

(٣) سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٢٠٤.

(*) ارشقول: جزيرة قرب سواحل تلمسان في المغرب الأوسط والجزائر. وكانت هذه الحملة استجابة من الخليفة الناصر لرغبة موسى بن أبي العافية في محاصرة ارشقول التي لجأ إليها الحسن بن عيسى بن أبي العيش. انظر : البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص٧٨.

(٥) البكري؛ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص٧٨.

هذا، وقد أصبحت المناطق التي سيطر عليها الأسطول الحربي الأندلسي قواعد للإنطلاق في العمق المغربي، وأصبحت في الوقت نفسه حزام أمانٍ للسواحل الأندلسية المقابلة. ولم يكتف الناصر بذلك، وإنما عمل أيضاً على استمالة حكام المناطق التابعة للدولة الفاطمية، فاستجاب له بعض البربر منهم. وقد أرسل إليهم الأساطيل الحربية لمساعدتهم ضد منافسيهم. ومن هؤلاء الحكام زعماء زناتة المغربية وعلى رأسهم محمد بن خزر، زعيم قبيلة مطغرة الزناتية، الذي كان يسيطر على الغرب الأوسط بأكمله ما عدا مدينة تاهرت(١).

وكانت قبائل زناتة وحلفاؤهم من قبائل صنهاجة في صراع دائم مع الفاطمين، ولذلك فإن محمد بن خزر وجد فرصة مواتية في مساعدة الخليفة الناصر له، فبايعه سنة ٣١٧ هـ/٩٣٠م(٢). ثم تبعه موسى بن أبي العافية الزناتي فأعلن ولاءه للخلافة الأندلسية، وذلك في السنة نفسها(٣). وكان ابن أبي العافية مشهوراً بمقارعة جيوش الفاطميين والقوات المتحالفة معهم. وقد خاض أثناء ذلك سلسلة من الحروب، استمرت سنوات طويلة، فاستنفدت الكثير من طاقات الدولة الفاطمية وقدراتها(٤).

وفعل النفوذ الأموي في شمالي إفريقية فعله، وجذب الانتباه إليه، وخاصة انتباه الأدارسة في المغرب الأقصى، فقد نبذوا الدعوة الفاطمية واعترفوا بخلافة الناصر، بل إن آخرهم الأمير الحسن بن عيسى الحسيني أعلن موالاة الناصر سنة ٣١٨هـ/٩٣١ (٥).

ومن الجدير بالإشارة هنا أن هؤلاء الأدارسة كانوا متقلبين في ميولهم، إذ كانوا يميلون حيث تميل ريحهم، فهم تارة يؤيدون الفاطميين، وتارة يؤيدون الخلافة الأموية في الأندلس، وإذا ما توافرت لديهم القوة والمنعة انقلبوا على الخلافتين معاً.

هذا، وقد أدى الصراع والتنافس بين الأمويين والفاطميين إلى التصادم في اشتباك مسلّح سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م. ويتلخص سبب هذا الاشتباك في أن الخليفة الناصر أمر ببناء مركب كبير في دار الصناعة بالمريّة، وسيّر فيه أمتعة إلى بلاد الشرق، فلقي مركباً في البحر يحمل رسولاً

---

(١) تاهرت : عاصمة الدولة الرستمية، أسسها عبد الرحمن بن رستم، وقد انتهت هذه الدولة على يد الفاطميين. انظر: ابن حيان، المقتبس، نشر سالميتا، ص٢٥٧.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٢٥٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦١.

(٤) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ص٣٠٧،٣٤٧، ٣٦٩، ٣٧١.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٦١-٢٦٣.

من الحسين بن علي، صاحب صقلية إلى المعز لدين الله الفاطمي، فقطع عليه المركب الأموي الطريق، واستولى على ما فيه، بما في ذلك مجموعة من الكتب أرسلها الحسين إلى المعز. ولما بلغ المعز ذلك عمر اسطولاً ووجهه بقيادة الحسين بن علي إلى الأندلس، وقد هاجم هذا الاسطول الفاطمي مدينة المرية في السنة نفسها، ودخل المهاجمون مرسى المدينة، وأحرقوا ما فيه من السفن الأندلسية، واستولوا على المركب الكبير الذي كان قد هاجم المركب الفاطمي. إذ إن ذلك المركب عاد مشحوناً بأمتعته للخليفة الناصر، بعد أن أدى مهمته في المشرق. ثم دخلوا المدينة وقتلوا ونهبوا وعادوا سالمين إلى المهدية(١).

وكان رد الفعل الأموي على ما فعله الفاطميون في المرية أن شنوا غارة بحرية بقيادة أمير البحر غالب بن عبد الرحمن على سواحل إفريقية سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م في ستين سفينة. وكان هدف هذه الغارة الانتقامية سواحل سوسة ومرسى الخرز(٢). ثم شن الأمويون غارات عديدة على القواعد الفاطمية في المغرب العربي، أسفرت عن سيطرتهم على السواحل المقابلة للأندلس، مما أفقد الفاطميين الأمل في تحقيق مطامحهم في الأندلس، فوجهوا اهتمامهم نحو الشرق، وتمكنوا من الاستيلاء على مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، واتخذوها قاعدة له(٣).

---

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ٨، ص١٨٥؛ سالم، تاريخ مدينة المرية ، ص ٣٨-٣٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص٢٢١.

(٣) سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، جـ١،ص٦٨.

الخاتمة

سعت الدولة الأموية في الأندلس إلى إيجاد قوة عسكرية دائمة تتولى مسؤولية الدفاع عن البلاد وتؤمن الحماية اللازمة لنشر مبادىء العقيدة الإسلامية.

وقد كانت قوات الفتح الأولى المكونة من العرب والبربر الذين عُرفوا بالبلديين تشكّل طلائع الجيش الأندلسي، وبعد قدوم أهل الشام فيما بعد، وانضمامهم إلى الجيش الأندلسي، أصبح هذا الجيش يعتمد على البلديين، (عرباً وبربر) والشاميين. وقبل وصول الشاميين قام موسى بن نصير بتقسيم الأراضي بين الجيوش التي دخلتها، كما قسّم بينهم سبيها ومغانمها. في حين تم توزيع الشاميين بعد مجيئهم، على مناطق الأندلس المختلفة، أما نواحي الثغور فقد بقيت مدناً عسكرية ذات نظام عسكري خاص بها حتى نهاية أيام الخلافة. ولم تكن طلائع الفتح الأولى تشكّل جيشاً بالمعنى المعروف، ولكن هذا الجيش أخذت ملامحه تتّضح عند تجنيد الأجناد على يد ابي الخطار الكلبي، الذي وصل إلى الأندلس سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م. وازدادت هذه الملامح وضوحاً عندما أصبح الخليفة يعقد لهم الألوية، فقد كان يعقد للشاميين لواءين، لواءً غازياً ولواءً مقيماً. وكذلك كان الحال بالنسبة للبلديين.

وكانت هناك طائفة ثالثة يسمون (النظراء) من الشاميين والبلديين يغزون كما يغزو اهل البلد من الفريقين ، فقد ادت التدابير الحكيمة التي اتخذها والي الأندلس ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ، بما في ذلك تجنيده الاجناد ، الى استقرار البلاد وهدوئها ، الا إن هذا الهدوء لم يستمر طويلا ، حيث بدات الخلافات القبلية تعصف بالدولة ، وعلى رأسها الخلافات اليمنية والمضرية ، الا ان هذه الفتنة لم تستمر طويلا حيث تمت السيطرة عليها .

وقد كانت الاندلس في الوقت الذي انتصر فيه عبدالرحمن الداخل ، تعاني من الفتن والثورات المشتعلة في كل ناحية ، الا انه استطاع بحنكته ، توحيد الاندلس جغرافيا وسياسيا ، وطوع الزعامات العربية التي سببت تفككها ، واستطاع خلال فترة حكمه التي استمرت نحو ثلاثين عاماً أن يطور امارته في مختلف المجالات، وأن يهيء لها أجهزة مدنية وعسكرية منظمة، على أحسن ما يكون التنظيم، خاصة في المجال العسكري.

وكان العنصر الرئيسي في تشكيل فرق الجيش الأموي ووحداته العسكرية بالأندلس هو طوائف الأجناد، التي كانت تمثل القاعدة الأساسية العريضة في بناء الجيش وتنظيمه وامداده

بالإحتياجات الإدارية والتموينية، وعلى ذلك، فقد كان يتألف من الفرق النظامية والوحدات الإدارّية، فضلا عن الوحدات الخاصة المرتبطة بالخدمة المباشرة في بلاط الخلفاء في وقت السلم، ومعاونة الفرق النظامية ودعمها في زمن الحرب.

وإلى جانب الفرق العسكرية العاملة، التي تنتمي إلى مدن الأندلس وأقاليمها المختلفة، كان هناك فرق الفرسان، والرجّالة، والرماة، والفرق الاحتياطية من المتطوعة والمرتزقة، كذلك، أهل الكور المجندة. وكان منصب القيادة يعتبر من المناصب التي تحتل مكان الصدارة في تنظيمات الجيش الأندلسي، وهم بمثابة حكّام عسكريين لهذه المدن، وكانوا يتبعون والي المدينة، ومهمتهم هي إرسال الجند في حالة التعبئة العامة، كما كان هناك قادة الثغور الذين كانت تُعقد لهم السجلات بولاية أوطانهم.

ومن المناصب المهمة في الجيش، خطة الخيل، والخطة بضم الخاء معناها نظام وتنظيم، وكان المسؤول عنها يسمى صاحب الخيل الذي يعتبر المسؤول الإداري والمشرف على شؤون الخيل وما يتصل بها من وحدات الخدمة والإمداد والتموين.

وكذلك اهتم امراء بني أمية في الأندلس، بتنظيم شبكات للعيون، فكانت عيونهم تسير مع الجيوش، وتلازم الولاة، لما كان لها من أهمية في الإستطلاع، لا سيما في المناطق القتالية، كذلك ربط الأمويون مسألة الأمن الداخلي بالخارجي، واعتبروها مسألة واحدة أولوها جلّ اهتمامهم. وكان صاحب البريد هو المسؤول عن الأمن الداخلي بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى ما يتهدد المسلمين من أخطار خارجية، وقد كان الخلفاء يقومون بأنفسهم بالإطمئنان على ترتيب وتنظيم اعداد خطة البريد.

وقد تصاعد دور العيون مع تصعيد الصراع مع الصليبيين، حيث كان كل طرف يحرص على جمع أكبر قدر من المعلومات لضمان أمن قواته، ولقد كان للخلفاء الأمويين عيون يطالعونهم بأحوال الناس.

ويعتبر اللواء عند العرب رمزاً للقيادة والإمارة، لذلك اهتم الأمويون في الأندلس بلواء الجيش، وكان الخلفاء يحتفظون به ويعقدون به النصر، كما أن منصب العرفاء يعتبر من المناصب المهمة، مع أنه غير محدد تحديداً دقيقاً، لأنه يُطلق على خطط لا على خطة واحدة، وهم صنف من قادة الجيش.

كذلك هناك مراسم خاصة لعرض الجنود بين يدي الأمير، يطلق عليها (خطة العرض)، وهنالك الخازن وهو المسؤول عن تمويل الجيش.

ولم تغفل التنظيمات العسكرية الأموية موضوع التعبئة وأساليب القتال التي كانت تنتهجها الجيوش للحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي، حيث كان نظام التعبئة في الأندلس متطوراً، من حيث تقسيم الجيش إلى قلب ومقدمة وميمنة وميسرة وساقه.

وقد اهتم الأندلسيون بتنظيم الجيش والمحافظة على تعبئته الفاعلة أثناء القتال، فمعظم الحملات العسكرية التي خرجت من قرطبة إلى الشمال الأسباني كان لها نظام خاص في التجميع والسير مروراً بالنفير العام. وقد استخدم العرب في حروبهم الكمائن والمرابطة، واستخدموا كذلك المنجنيقات لضرب المدن المحاصرة، هذا فضلاً عن الحصون الكثيرة والقلاع الدفاعية التي بناها الأندلسيون.

لقد نجح الأندلسيون في مجال التعبئة والتنظيم والتعاون بين القوات البرية والبحرية، وانتهاج أساليب القتال المتطورة التي تلائم الظروف الطبيعية القاسية للمنطقة، حيث كانوا يرسلون الحملات في الصيف والخريف والربيع، وكان يُطلق عليها الصوائف والشواتي.

وتنوعت الأسلحة التي كان الأندلسيون يستخدمونها، بدءاً بالسيف والرمح والدرع والترس والسهم والقوس، كأسلحة فردية خفيفة. وكان هناك أسلحة ثقيلة هجومية ودفاعية، وهي المجانيق والأبراج والقنابل الحارقة والدبابة وغيرها، وقد انتشرت صناعة هذه الأسلحة في المدن الكبرى الأندلسية وخاصة قرطبة.

وكانت تقام في الدولة الأموية مراسم معروفة ومقررة أثناء توديع الحملات العسكرية المتجهة ضد الممالك الأسبانية الشمالية، أو المتجهة إلى عدوة المغرب، وكانت هذه المراسم تشمل تجهيز الجيش واستعراضه، والاحتفال بعقد الألوية، واستقبال الجيش الظافر.

ولقد ساهم الجيش البري في بناء الدولة، وذلك بتوفيره الأمن الداخلي، بعد القضاء على الثورات والفتن الداخلية الكثيرة التي كانت تجري بين الحين والآخر.

ولم يقتصر البناء العسكري على المجال البري، بل تعداه إلى المجال البحري، لما للبحرية من أهمية في درء الأخطار وفتح الأمصار، وقد كان إنشاء اسطول حربي على درجة عالية من الكفاءة والمنعة، أمراً ضرورياً لرد الغزوات البحرية عنها، ولذلك انتشرت دور

صناعة السفن على طول السواحل، خاصة السواحل الشرقية، منذ أيام القوط حكام شبه الجزيرة الايبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي، هذا الفتح الذي كان مستحيلاً لولا استخدام السفن.

ولقد اهتم الولاة كثيراً بالسفن وصناعتها، وخاصة الأمير عبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٦-٧٨٨م) والذي اهتم اهتماماً كبيراً بالحياة العسكرية، حيث أعاد الحياة إلى دور صناعة السفن القديمة، وأمر ببناء سفن حربية في مراسي طركونه، وطرطوشه، وقرطاجنه، وأشبيلية وغيرها. ومع مرور الزمن أصبح للأندلس اسطول ضخم يضم عدداً كبيراً من السفن الحربية يقدر بنحو ثلاثمائة سفينة. وبلغت البحرية العربية الأندلسية في عهد عبدالرحمن الناصر، ومن بعده ابنه الحكم المستنصر، مبلغاً عظيماً من السيطرة، امتدت إلى سواحل فرنسا الجنوبية.

وهنا يجب أن ننوه إلى دور البحرية الأندلسية في الحياة العامة، وفي الفتوحات، وفي درء الأخطار الخارجية عنها، لقد كان البحارة الأندلسيون يتحلّون بنشاط كبير في حوض البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، إلى درجة جعلت كلاً من امبراطور بيزنطة وامبراطور الدولة الغربية يتوسطان لدى الخليفة في قرطبة للحد من نشاطهم.

وكان للأسطول العربي الأندلسي سفنه الحربية الكبيرة والصغيرة وغيرها من المراكب اللازمة للملاحة، واشتهرت تلك السفن، كبيرها وصغيرها، بالجودة التامة في الصنع وحسن الإعداد، لا سيما من حيث معدات القتال الموجودة على ظهرها، ولأهمية الأسطول البحري، فقد كان قائد الأسطول يتم اختياره من قبل الخليفة نفسه، مع وجوب أن يكون من أسرة عريقة ومشهورة.

وقد ساهم الأمويون بجيشهم البري واسطولهم الحربي في بناء الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس التي امتدت قروناً طويلة، وفجّرت الأضواء في زوايا أوروبا المعتمة.

أولاً: المصادر

- ابن الآبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد ربه ابن ابي بكر القضاعي، (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).

- ابن الآبّار، الحلّة السيراء، الجزء الثاني، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦٣.

- ابن الآبّار، التكملة لكتاب الصله، نشر وتصحيح: عزت العطار الحسيني، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٥٦. وطبعه اخرى من نشر: الفريد بل وابن ابي شنت، الجزائر، ١٩١٩.

- ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م).

الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، الطبعة الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة، بيروت، ١٩٦٥.

- ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني، (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٧م).

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، القسم الأول، المجلد الاول، بيروت، ١٩٧٩م.

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواني، (ت ٧٧٠هـ).

رحلة ابن بطوطة، تحقيق ونشر: د. علي المنتصر الكتاني، جزءان، بيروت، ١٩٧٩.

- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي، (ت٨٧٤ هـ/١٤٦٩م).
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩.

- ابن حبيب، عبدالملك بن حبيب الالبيري، (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م).
مبتدأ خلق الدنيا، الجزء الخاص بتاريخ الاندلس من (تاريخ عبدالملك بن حبيب)، نشر : د. محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، م٥، عدد ١-٥، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي، (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).
جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي، (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين، (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٩م).
- ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الاندلس، تحقيق: د. محمود على مكي، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية - احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م الجمهورية العربية المتحدة.
- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الاندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، الجزء الثالث، نشر ملشور، م.أنطونيا، باريس، ١٩٣٧م.
- ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، الجزء الخامس، نشر شالميتا، المعهد الاسباني - العربي للثقافة، مدريد، كلية الاداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.

- ابن خاقان، الوزير الكاتب ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الاشبيلي، (ت ٥٣٥هـ/ ١١٣٤م).
- ابن خاقان، مطمح الانفس ومسرح التآنس في ملح اهل الاندلس، تحقيق: محمد علي الشوابكة، دار عمان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، (طبعة القسطنطينية الاولى عام ١٣٠٢هـ).

- ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبد الله محمد التلمساني، (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).
- ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطه، حققه وقدّم له: محمد عبد الله عنان، دار المعارف بمصر، الجزء الاول، القاهرة ١٩٥٥، والجزء الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ابن الخطيب، اللّمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الافاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨م. (هنالك طبعة من تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٤٧هـ).
- ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامي (او كتاب اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام)، تحقيق: ليفي بروفنساك، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت - لبنان، اذار ١٩٥٦م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي، (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٨م).
- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، القسم الأول، المجلد الرابع، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٨م.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨م.

- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
• وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ثمانية اجزاء،(الثامن منها فهارس)، تحقيق:
د. احسان عباس، الاجزاء، الأول، الرابع، الخامس، والثامن، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ١٩٧١م، ١٩٧٧م و ١٩٧٢م، على التوالي، والاجزاء، الثاني، الثالث، السادس والسابع، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م، ١٩٧٠م، (د.ت) و ١٩٧١م على التوالي.

- ابن دحيه، ابو الخطاب عمر بن حسن، (ت ٦٣٣هـ؟١٢٣٥م).
المطرب من اشعار اهل المغرب، تحقيق: ابراهيم الابياري واخرون، بيروت، ١٩٥٥.

- ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر، (ت ٢٨٤هـ).
الاعلاق النفيسة، طبع في مدينة ليون المحروسة، المجلد السابع، بمطابع بريل، ١٨٩١م.

- ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الاندلسي، (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م).
المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د. شوقي ضيف، جزءان، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٥م، وطبعه الاخرى، القاهرة، ١٩٦٤م.

- ابن سيده. ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي الاندلسي، (ت٤٥٨).
- المخصص، المجلد الثاني، السفر السادس، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، (د.ت).

- ابن الشبـاط، محمـد بن علي بن الشبـاط المصـري التـوزري، (ت ٦٨١هـ).
وصف الاندلس، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق:
(احمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، م
١٤، مدريد، ١٩٦٦.

- ابن صاحب الصلاة، عبدالملك بن محمد الباجي، (ت بعد ٥٩٤هـ).
تاريخ المن بالامامه، تحقيق عبدالهادي التازي، دار الاندلس، بيروت،
١٩٦٣.

- ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م).
- ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبعة بريل،
١٩٢٠ مسيحية.

- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، الجزء الاول، تحقيق: عبد المنعم عامر، نشر
لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
- ابن عبد الحكم، - فتوح افريقيا والاندلس، تحقيق وتقديم: عبدالله انيس الطباع،
مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦.
- ابن عبد ربه، الفقيه احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، (ت ٣٢٨هـ/ ١٩٤٠م).
العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، الجزء الخامس، (د.ت).

- ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي، (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م).
البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولال،
وليفي بروفينسال، دار الثقافة، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، بيروت،
١٩٨٣م.

- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمَغْرِبْ، الجزء الثالث، تحقيق: ج.س.كولال، وليفي بروفينسال، دار الثقافة، الطبعة الثالثة، بيروت - لبنان، ١٩٨٣.

- ابن غالب، محمد بن ايوب، (عاش في القرن السادس الهجري، كان حياً عام ٥٦٥هـ).
- نص اندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الانفس في اخبار اهل الاندلس لابن غالب عن كور الاندلس ومدنها بعد الاربعمائه، نشر د. لطفي عبدالبديع، مجله معهد المخطوطات العربية، م١، ق٢، القاهرة، ربيع الاول ١٣٧٥/نوفمبر ١٩٥٥.

- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م).

- تاريخ علماء الاندلس، قسمان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

- ابن قتيبه، الدينوري ابو محمد عبد الله بن مسلم، (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
الامامة والسياسة، (منشور ضمن كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطيه، نشر خوليان، ريبيرا، مدريد، ١٩٢٦م)، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.

- ابن القوطيه، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي، (ت ٣٦٧هـ/ ١٩٧٧م).
تاريخ افتتاح الاندلس، نشر خوليان، ريبيرا، مدريد، ١٩٢٦م، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.

- ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
البداية والنهاية، مطبعة السعادة بجوار محافظة العاصمة، عمان، د.ت.

- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس، (ت بعد ٥٧٣هـ).
تاريخ الاندلس، تحقيق: د. احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن احمد الانصاري، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
لسان العرب المحيط، اعداد: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).

- ابن مماتي، شرف الدين ابي مكارم، (ت ٦٠٦هـ).
قوانين الدواوين، جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطيه، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٣م.

- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماه، (ت ٧٣٢هـ).
تقويم البلدان، طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ مسيحية.

- الادريسي، الشريف ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الشريف السبتي، (ت حوالي ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م).
- الادريسي، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، (مأخوذة من كتاب، نزهة المشتاق في اختراق الافاق)، نشرة: دوزي، ودي عويه، ليدن، ١٨٦٦م، تحت عنوان Description Del' Afrique Et De L'Espagne.
- الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، الجزء الخامس، تحقيق شيرولي.... وآخرون، نابولي: بروستات أبود. ج. بريل، نوجدوني باتا فورم، ١٩٧٥.

- الاصطخري، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، (ت ٤٠٠هـ).
مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الادارة العامة للثقافة، القاهرة - الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

- البلاذري، ابو العباس احمد بن يحي بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م. (هنالك طبعة من مراجعة رضوان محمد رضوان بيروت، ١٩٨٣).

- البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب بن عمرو البكري، (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).
- البكري، جغرافية الاندلس واوروبا، (من كتاب المسالك والممالك)، تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، دار الارشاد للطباعة والتوزيع، الطبعة الاولى، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
- البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب، (من كتاب المسالك والممالك)، الطبعة الاولى، دار المثنى، بغداد، (د.ت).

- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الروحي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٠م).
تاريخ الاسطول العربي، دمشق، ١٩٤٥م.
معجم البلدان، خمسة اجزاء، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م).

- الحميري، الروض المعطار في خير الاقطار، تحقيق: د. احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

- الحميري، صفة جزيرة الاندلس، (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار)، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: ليفي بروفينسال، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن اسد القيرواني، (ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م). قضاة قرطبة، مطابع سجل العرب، مصر ١٩٦٦م.

- الزركلي، خيرالدين
الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٩، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.

- السلفي، احمد بن محمد (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م).
اخبار وتراجم اندلسية، (مستخرجة من معجم السلفي)، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.

- السمعاني، ابوسعد عبدالكريم بن محمد بن منصور، (٥٦٢هـ/١١٦٦م).
الانساب، عشرة اجزاء حقيق الخمسة الاجزاء الاولى، عبدالرحمن بن يحي اليماني، وحقق الجزء السادس والسابع والثامن والتاسع، محمد عوامة، وحقق الجزء العاشر، عبدالفتاح محمد الحلو، ونشر جميع اجزاءه محمد أمين دمج، بيروت، ١٩٧٦-١٩٨١.

- السلاوي، احمد بن خالد الناصري، ت (٧٠٨هـ-١٣١٥م)
الاستقصاء في اخبار المغرب الاقصى، الجزء الاول، القاهرة، ١٣١٢هـ.

- صاعد، ابو القاسم، صاعد بن احمد بن عبدالرحمن بن محمد بن صاعد الثعلبي، (ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م).
طبقات الامم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧.

- الضبي، احمد بن يحي بن احمد بن عميره، (ت (٥٩٩هـ/ ١٢٠٣).
بغيه الملتمس في تاريخ اهل الاندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، (طبعة مدريد ١٨٨٤).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م).
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الاولى، المجلد الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثانية، المجلد الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المجلد السادس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.

- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري المالكي الشهير بابن ابي رندقه الطرطوشي، (ت ٥٢٠هـ).
سراج الملوك، بوب وعلق على الفاظه بمعرفة المكتبة المحمودية التجارية، ميدان الجامع الازهر بمصر، الطبعة الاولى، المطبعة المحمودية التجارية، مصر، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

- العذري، احمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائي، (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م).
نصوص من الاندلس (من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك)، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

- العصفري، خليفة بن خياط، (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م).

تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن مخلد، تحقيق: سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٧م.

- العلايلي، عبدالله.

الصحاح في اللغة والعلوم. اعداد وتصنيف نديم مرعشلي، اسامه مرعشلي، المجلد الثاني، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، (د. ت).

- الغساني، محمد بن عبدالوهاب (ت ٥١٩هـ).

رحلة الوزير في افتكاك الاسير، تطوان، ١٩٣٩.

- القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي.

الامالي، الجزء الاول، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب العربية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢/١٢٨٣م).

آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠.

- القيرواني، ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق، (ت بعد سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م).

تاريخ افريقيا والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، ١٩٦٨م.

- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه نبيل خالد الخطيب، الطبعة الاولى، الجزء الخامس، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- المالكي، ابو بكر عبد الله بن عبد الله (ت بعد ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م.
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم، الجزء الثاني، تحقيق: د. حسين مؤنس، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.

- مؤلف، مجهول.
أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيها بينهم، طبع في مدينة مجريط، بمطبعة ربدنير سنة ١٨٦٧ مسيحية.

- مؤلف، مجهول.
الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق: سعد زغلول، دار النشر المغربية، دار الشؤون الثقافية، الدار البيضاء، ١٩٨٥.

- مؤلف، مجهول.
ذكر فتح الاندلس ومن استخلف فيها من الامراء الى ملوكها الثوار، نشر دون خواكين دي كوثاليت، الجزائر ١٨٨٩م.

- مؤلف، مجهول.
الرسالة الشريفية الى الاقطار الاندلسية ، (منشوره ضمن كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطيه)، نشر خوليان ريبيرا، مدريد، ١٩٢٦م، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.

- مؤلف، مجهول.
مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٧.

- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م).
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، (من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين)، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، الجزء الاول، بيروت، (د.ت).

- المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد المعروف بالبشاري، (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة خياط، بيروت، (د.ت)، (هنالك نشرة لـ دي غويه، ليدن، ١٩٠٦م).

- المقري، الشيخ شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد التلمساني، (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).
- المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء الاول، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- المقري، ازهار الرياض في اخبار عياض، الجزء الخامس، تحقيق: سعيد احمد اعراب، د. عبد السلام الهراس، (اعيد طبع هذا الكتاب تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة).
- المقري، - ازهار الرياض في اخبار عياض، الجزء الثاني، (اعيد طبعه تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية ودولة الامارات العربية المتحدة)،(د.ت).

- المقـريزي، تقـي الـدين ابو العبـاس احمـد بن علي، (ت ٨٤٥ هـ-١٤٤٢م).
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - المعروف بالخطط المقرزية-،
جزءان، نشر دار صادر، بيروت، (د.ت)، (طبعة القاهرة، ١٣٢٤هـ).

- الانصـاري، ابوعبـدالله محمـد بن محمد بن عبـدالملـك، (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م).
الذيل والتكمله لكتابي الموصـول والصلة، السفر الرابع والخامس،
تحقيق: احساب عباس، بيروت، ١٩٦٤، ١٩٦٥.

- الانصـاري، شمـس الـدين ابو عبـد اللـه محمد ابي طـالب الانصـاري، (٦٥٤-٧٢٧هـ).
نخبة الدهر في عجائب البر والبحـر، بغداد، مكتبـة المثنى ١٩٦٣،
(طبعة ليبزيخ، ١٩٢٣م).

- النـويري، شهـاب الـدين احمـد بن عبـد الـوهاب، (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).
- النـويري، نهـاية الارب في فنـون الادب، الجزء الثالث والعشرون، تحقيـق: د.
احمد كمال زكي، مراجعة: د. محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.
- النـويري، نهـاية الارب في فنـون الادب، الجزء الرابع والعشـرون، تحقيـق: د.
حسين نصـار، الهيئـة المصـرية العـامة للكتـاب، القـاهرة، ١٩٨٣م.

- اليعقـوبي، احمـد بن ابي يعقـوب بن واضـح الكـاتب، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).
كتـاب البلـدان، نشره دي خويان، ليـدن، ١٨٩٢، (وكـذلك نشـر
بالمطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٧م).

ثانياً: المراجع الحديثة

- أوراسيوس، بول،
تاريخ العالم، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الطبعة الاولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.

- بيضون، ابراهيم،
الدولة العربية اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

- الجنابي، خالد جاسم،
تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي، وزارة الثقافة والاعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد- العراق، ١٩٨٤م.

- حتاملة، د. محمد عبده،
ملامح حضارية في الاندلس، بحوث ودراسات مهداه الى الاستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبه بمناسبه بلوغه الخامسة والستين، تحرير ناظم قلاس، عمان، ١٩٨٩.

- الحجي، عبد الرحمن علي،
التاريخ الإندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطه (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)، الطبعة الاولى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- خماش، د. نجده،

• الادارة في الاندلس في عهد عبد الرحمن الداخل، مجلة دراسات وابحاث تاريخية، العددان (٢٦،٢٥)، جامعة دمشق، حزيران، ١٩٧٨م.

- الدوري، ابراهيم ياسين خضير،

عبد الرحمن الداخل في الاندلس وسياسته الداخلية والخارجية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

- الدوري، تقي الدين عارف،

صقلية- علاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية، بيروت، ١٩٨٠م.

- دوزي، رينهارت،

تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي واخرين، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٣.

- زيدان، جرجي،

تاريخ التمدن الاسلامي، الطبعة الثانية، الجزء الاول، مصر، ١٩٦٤م.

- سالم، د. عبد العزيز،

- سالم، د. عبد العزيز، تاريخ مدينة المريه الاسلامية، قاعدة اسطول الاندلس، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م.

- سالم، د. عبد العزيز، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس، (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبه)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندريه، (د.ت).

- سالم، د. عبد العزيز، قرطبه حاضرة الخلافة في الاندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١م.

- السامرائي، خليل ابراهيم صالح واخرون،
تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، مديرية دار الكتب والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٦م.

- السامرائي، الثغر الاعلى الاندلسي، دراسة في احواله السياسية، (٩٥-٣١٦هـ/٧١٤-٩٢٨م)، رسالة ماجستير، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٦م.

- السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك النصرانية وبالدولة الاسلامية، رسالة دكتوراه غير منشوره، كلية الاداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م.

- السامرائي، عبد الجبار محمود،
نظم التعبئة عند العرب، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، وزارة الثقافة والاعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد- العراق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

- الشعراوي، د. احمد ابراهيم،
الامويون امراء الاندلس، الجزء الاول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.

- الشكعة، د. مصطفى،
الادب الاندلسي، بيروت، ١٩٧٤م.

- شنوان، د. يوسف،
جند الشام في الاندلس والتأثيرات الشامية- زمن الامير عبد الرحمن الداخل -، مجلة المؤرخ العربي، العددان (٤٢،٤١)، السنة (١٦)، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- طه، عبد الواحد ذنون،
الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.
- طه، استقرار القبائل البربرية في الاندلس، مجلة اوراق، العدد السابع، يصدرها المعهد الاسباني - العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨١م.
- طه، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في العصر الاموي، مجلة المورد، العدد الاول، المجلد السابع عشر، وزارة الثقافة والاعلام، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ربيع ١٩٨٨م.
- الطيبي، د. امين توفيق،
دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس، الدار العربية للكتاب، تونس - ليبيا، ١٩٨٤م.

- العبادي، د. احمد مختار، وعبد العزيز، سالم،
تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط، الجزء الثاني، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨١م.

- العبادي، د. احمد مختار،
دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، الطبعة الاولى، الاسكندرية، ١٩٦٨م.
- العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

- عثمان، محمد عبد العزيز،
البحرية العربية في الاندلس منذ بداية تأسيسها الى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، وزارة الثقافة والاعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد- العراق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

- العدوي، د. ابراهيم احمد،
الاساطيل العربية في البحر المتوسط، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، ١٩٥٧م.
- العسلي، د. بسام،
المذهب العسكري الاسلامي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- عنان، محمد عبد الله،
دولة الاسلام في الاندلس (الخلافة الاموية والدولة العامرية)، العصر الاول، القسم الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- عنان، دولة الاسلام في الاندلس (من الفتح الى بداية عصر الناصر)، العصر الاول، القسم الاول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

- عياده، عبد الفتاح،
سفن الاسطول الاسلامي، ١٩١٣م.
- غولي، جهاديه القره،
العقلية العربية في التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الاول، ١٣٢هـ-٢٣٢هـ، الطبعة الأولى، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

- فياض، د. صالح،
مدينة بجايه ودورها الحضاري، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٤٨)، السنة (١٩)، وزارة الثقافة والاعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد- العراق، ١٩٩٤م.

- فهمي، د. علي محمود،

التنظيم البحري الاسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة عبده قاسم، دار الوحدة، الطبعة الاولى، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

- لويس، ارشيبالد،

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة احمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠م.

- ماجد، عبد المنعم،

العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٦٦م.

- ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٨م.

- ماهر، سعاد،

البحرية الاسلامية واثارها الباقية، نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

- محمود، محمود عرفه،

تنظيمات الجيش الاموي بالاندلس في عهد المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد الثلاثون، المجلد الثامن، تصدر عن جامعة الكوفة، ربيع ١٩٨٨م.

- مكي، د. محمود علي،

التشيع في الاندلس (من الفتح حتى نهاية الدولة الاموية)، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، المجلد الثاني، العدد (٢،١)، مدريد، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

- مؤنس، حسين،

- غارات النورمانديين على الاندلس، المجلة التاريخية المصرية، العدد الاول، المجلد الثاني، القاهرة، مايو ١٩٤٩م.

- مؤنس، حسين، فجر الاندلس، دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية (٧١١-٧٥٦م)، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

- مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والاندلس، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ١٩٨٠.

- النخيلي، درويش،

السفن الاسلامية على حروف المعجم، الطبعة الثاني، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٩م.

- الهاشمي، د. التهامي، الراجي،

نظم وادارة بني اميه، من خلال المقتبس لابن حيان، مجلة المناهل، العدد (٢٩)، السنة (١١)، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، الرباط - المغرب، مارس، ١٩٨٤م.

- هندي، احسان،

الحياة العسكرية عند العرب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٤م.

ثالثاً: المراجع الاجنبية

1. Chaubes (R), Kelly (F.M.), A Short of Costume and armour, (London, 1931).

2. Dozy (R), Dictionnarie detaille desnoms des vetements Chezles Arabs,..., (Amsterdam, 1845).

3. Levi- Provencal Inscription arabes d,Espagneo, (Paris, 1931).

ملحق

امراء وخلفاء بني امية في الاندلس

ملحق

امراء وخلفاء بني امية في الاندلس

١- عبد الرحمن الاول (الداخل)

١٣٨-١٧٢ هـ / ٧٥٥ - ٧٨٨ م .

٢- هشام الاول

١٧٢-١٨٠ هـ / ٧٨٨ - ٧٩٦ م .

٣- الحكم الاول

١٨٠- ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م .

٤- عبد الرحمن الثاني (الاوسط)

٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢ م .

٥- محمد الاول

٢٣٨ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦ م .

٦- المنذر بن محمد

٢٧٣ - ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ - ٨٨٦ م .

٧- عبد الله بن محمد

٢٧٥ - ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢ م .

محمد (والد عبدالرحمن الناصر)

لم يحكم .

٨- عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله)

٣٠٠-٣٥٠ هـ/ ٩١٢- ٩٦١ م .

وفي عهده اعلنت الخلافة العربية الاسلامية

في الاندلس عام ٣١٦ هـ/٩٢٨ م .

٩- الحكم بن عبدالرحمن (المستنصر بالله)

٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م.

١٠ - هشام بن الحكم (المؤيد بالله)

٣٦٦- ٤٠٣ هـ/ ٩٧٦- ١٠١٢ م .

---

* السامرائي ، واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٠٠

أولاً: فهرس الاعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

ثانياً : فهرس الأماكن

(أ)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

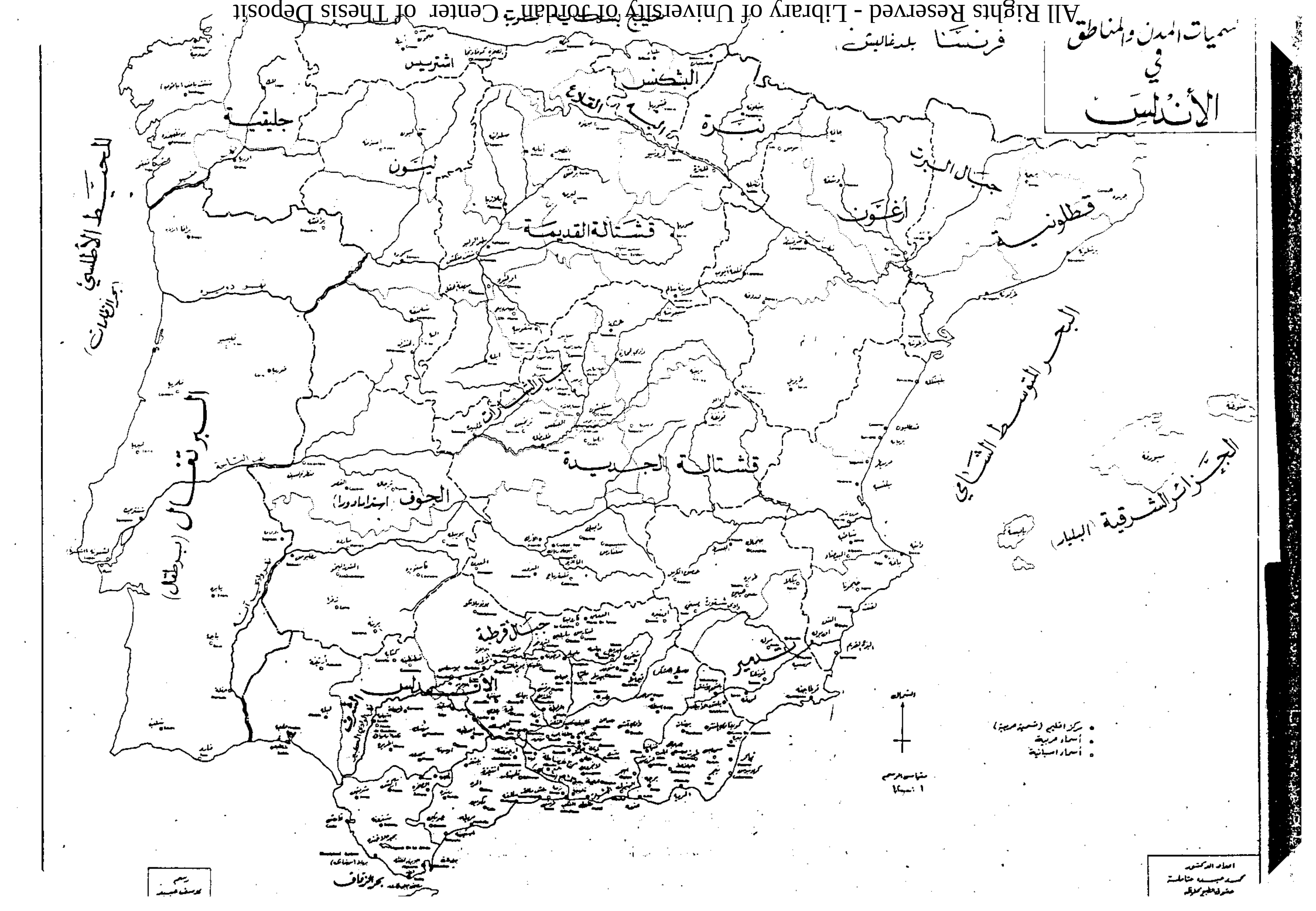
(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)


مسميات المدن والمناطق
في
الأندلس
فرنسا بلد غاليش
البشكنس
نبرة
جليقية
ليون
أشتريس
قشتالة القديمة
أرغون
جبال البرت
قطلونية
المحيط الأطلسي
(بحر الظلمات)
البرتغال (برطقال)
قشتالة الجديدة
الجوف (اشترمادورا)
البحر المتوسط الشامي
الجزائر الشرقية (البليار)
جبال قرطبة
تدمير
الأندلس
الشمال
مركز اقليم (تسمية عربية)
أسماء عربية
أسماء اسبانية
بحر الزقاق

Burning Grenade and Tanks. This military Industry was spread in the Andalusian cities particularly Qurtabah.

The military campaiens were forewelled, and received and raising it's flags by organized celebrations.

Not only the Ummyad interested in building organized Strong Army, but also intrested in building fleet capable to protect it's long coast, so the ships industry spread a long the coast, particularly the eastern coasts. Abdul Ruhman Al-Dakhel return life to the old ships industry and issued orders to build the war ships. By the course of time, Andalusia has a large fleet.

At the Age of Al-Khalifah Abdul Rahman Al-Naser, and his successor bin Al-Hakam Al-Mustanser, the war fleet was capable to dominate the southern coasts of France, and it played crucial role in Islamic Conquest and defending the risks. The Andalusian Sailors were of great energy around the Mediterrian Sea and Atlantic Ocean.

The war fleet was consisted of different kinds of ships wheither small or large, and it was charactrized all by making accuarcy, and well-prepared and equipped with different kind of weapons. The importance of the fleet leader will not be less than the ground leader, so, the Khalifeh himself used to choose those both leaders.

Finally, we shall point out in this summary to both the Andalusian Army and the fleet which contributed in soldarity in building the Genuene Islamic Culture in Andalusia which prevails Eight Centeries and it's features still extended till today.

The other important positions were: the Horse owner who was undertaken the responsibility of setting up the Horses Plan or Horses Organization and he was the person in charge of Administrative matters regarding the Horses Affairs. The postman, the person who undertook to transmit the news between the capital and the Army Commanders in combat fronts and contributing in transporting money to these fronts.

The other Military positions were the brigade Commanders, the corporal and the personnel officer in charge who was responsible for moblizing soldiers to combat, besides the barneaks Security and protection and the Military Operations. Also, the parade officer (Al-Ared) in charge who was responsible for demonstrating the soldiers in front of the commander to check their conditions and readiness. The storeman who as responsible for providing money and supplies to the Soldiers in the combat front. The Drumer, the drumers were used to marching in front of the military compaiens moving towards war to provoke the soldiers motivation. Moreover, the Andalusian Army knows the "SPY" and the person in charge of prisons.

The Ummyad Military Organizations did not overlook the moblization subject and combat Techniques, the Army was divided into Heart, Advance, Right Wing, Left Wing and Rear.

There was special systems for the Military Campaiens headed from Qurtubah to North Spain in Assembly and Marching. It was depend on set up ambushes to the enemy and these Military Campaiens were known according to seeson by Summers and Winters Time.

The Andalusian Army used different kinds of light and heavy weapons such as: Swords, Arrows, Shields, Plaques Moble tower,

The first features of an organized Andalusian Army appeared when the soldiers recuirting started by Abi-Al Khatar Al-Husam bin-Derar Al-Kalbi who was arrived in Andalusia in 125 A.H / 742 A.C. these features increased clearly when the Shami's only obliged to join service and got readiness for Jihad (struggle), particularly during the Ummyed state Age in Andalusia (138-422 A.H / 756-1031 A.C).

At this Age, which was considered the Age of Abdel Rahman Al-Dakhel (138-72 A.H / 756-788 A.C), the interest in the Army and it's military organization increased. The main element in forming the Army Divisions and it's military units was the soldiers groups which represented the broad key base for building, organizing and providing the Army with the Administrative and supplies requirements.

What we can conclude from the Andalusian History Sources inquisition that the Army during the Ummyad Age was consisted of: combat teams, Administrative units, special units attached directly to the Khalifs court in Peace-Time, and the Cooperation between the regular combat teams in War-Time.

In addition to the combat teams, administrative units and special units which was the Andalusian Army consisted of, there were military teams belong to Andalusia cities and it's different districts and the most important of these teams are as follows: Cavalary teams, Explorer teams marks manships and reserve teams from the volunteers, mercenaries and Al-Kowar recruits.

The Military Organization of the Andalusian Army requires a number of positions mainly the leadership position. There was a supreme Commander of Army, Teams Commanders, Cities leaders and Gaps commanders.

ABSTRACT

The Andalusian Army
(138-422 A.H / 756-1031 A.C)

Sahar A. M. M. Al-Majali

Supervised By
Prof. (Dr.) Mohammad A. Hatamleh

Andalusia lies in the opposite side of the Northen coast of Arabian Morocco, and separated by what is called Al-Zeqag Sea or Strait of Gibratar. this name was given to the area of Iberia Peninsula which was dominated by moslems. It is meant by Andalusia, nowadays, the Southern Spain where Several cities playes a key political roles during the Arabs and Moslems days such as: Qurtuba, Ishbeliah, Grenada and Marieh.

The Andalusia Conquest Started in Ommyad Khalifs Age Al-Waleed bin-Abdelmalk by Mousa bin Nuseer, that was after the moslims had setteld in North Africa. The Khalifah had sent a scouting compaien under command of Abi Zarah, Tareef bin Malik Al-Ma'fri in 91A.H/ 710 A.C, and other bigger campaien under command of Tariq bin Ziad, hence, Mousa bin Nuseer himself entered the Andolusia, and the Islamic conquest movement initiated which was coatinued for four years through which the country conquest extended from the Far South to Albert mountains and Biski Gulf in the North.

The first conquest Forces was consisted of Arabs and Barbars men and formed the first Army precursors, but it was not an Army as a known one.